

تأليف : على حلمى

الشرطة والأمن بمصر

فى مختلف العصور

العصر الفرعونى

تأليف

على حلمى

قائد كلية الشرطة ومدير البحيرة سابقا
وعضو لجنة الدستور عام ٥٣/١٩٥٤

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى

أبنائى وإخواني رجال الشرطة

وإلى

مواطني أبناء الجمهورية العربية المتحدة

وأبناء الدول العربية الشقيقة

أهدى هذا الكتاب ،

علي حلمي

تقديم

الدكتور أحمد فخرى

عالم الآثار الكبير

أستاذ التاريخ القديم بجامعة القاهرة سابقاً وبالجامعة الأردنية فى عمان حالياً

منذ سنوات أربع التقيت بالصديق الكريم مؤلف هذا الكتاب ، فحدثنى عن مشروعه فى وضع مؤلف عن تاريخ الشرطة فى مصر على مر العصور ، وكان طبيعياً أن يطلب منى أن أذكر له أسماء بعض الكتب التى تناولت موضوع الشرطة فى عهد قدماء المصريين ، فأجبته بأنه لم يكتب حتى الآن فى أى لغة من اللغات كتاب خاص عن هذا الموضوع ، بل هناك معلومات متفرقة فى بعض المؤلفات ، وكان رأيه ورأيى إذ ذاك ، أن ما سيكتبه عن الشرطة فى أيام المصريين القدماء لن يزيد عن فصل واحد فى أول الكتاب .

وقدرت بينى وبين نفسى أن هـذا لن يكلفه إلا بعض الجهد القليل ، لأن مثل هذا الفصل سيكون كافيا للمهتمين بتاريخ الشرطة بوجه عام ، أما المتخصصون فى الدراسات المصرية القديمة فلهم مراجعهم الخاصة ، ولكنى كنت مخطئاً فى هذا التقدير .

لقد عرفت السيد اللواء / على حلمى منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، واتصلت بينى وبينه مودة روحية ، وإن كانت تمر أحياناً سنوات عديدة بين لقاء وآخر ، وكنت أجل فيه دائماً الكثير من الصفات الطيبة ، ولكنى أعترف اليوم بأنى لم أكن أعرف فيه هذا الإسراف فى التصميم عند البحث ، فإنه أبى أن يقتنع بالرجوع إلى كتابين أو ثلاثة لتلخيص ماجاء فيها عن الشرطة فى أيام الفراعنة ، أو الاعتماد على مناقشة الموضوع مع زميل أو زميلين من رجال الآثار ، بل قرأ وناقش حتى اندمج أو كاد يندمج فى تاريخ المصريين القدماء .

وفى شهر يولية عام ١٩٦٧ ، عند عودتى من أحد أسفارى إلى أرض الوطن العزيز ، سعدت مرة أخرى بمقابلة المؤلف ، ولكنه لم يكن وحده فى هذه المرة بل كان فى صحبته ملف ضخم من الصور والأوراق ، ورجانى أن ألقى نظرة على ما بذل من مجهود .

لقد تطور الموضوع كله ، ولم يصبح الجزء الخاص بعصر الفرعونية فصلا فى أول الكتاب ، ليمهد لما يلى من فصول ، وإنما أصبح كتاباً مستقلا ، لأنه رأى أن ما وضعه من مادة علمية يجب الانتفاع به ، خصوصاً وأن هذه الفترة من تاريخ مصر ملأى بكل ما يدعو للفخر والاعتزاز .

فما من شك أن مصر كانت من أهم مراكز تطور المدنية الإنسانية ، وعلى ضفاف هذا النيل العظيم ، أخذت الجماعات الصغيرة تتطور ، وازداد عدد أفرادها واتسعت رقعة حقولها ، وأصبح من الضرورى وجود سلطة مركزية تصون الأمن وتحمى الضعيف ، وتحد من سلطة القوى والشرير ، ونعرف أيضاً أن مصر هى أقدم بلاد العالم فى تنظيم الشرطة كما نفهم مدلولها فى العصور الحديثة .

لقد جمع هذا الكتاب بين دفتيه كثيراً من المعلومات ، لا عن تاريخ الشرطة فحسب ، بل وعن تاريخ مصر أيضاً ، وربما كانت كثرة المعلومات التاريخية فوق ما يحتمله بعض القراء ، ولكن هناك آخرين فى حاجة شديدة إليها ، وللمؤلف كل الحق فى عرض موضوعه كما يشاء ، وإنى واثق أن كثيراً من القراء سيشكرون للمؤلف اهتمامه بكل هذه التفاصيل.

هناك نقطة أخرى أحب أن أذكرها فى هذا التقديم ، لو أن أحد المختصين فى الدراسات المصرية القديمة أراد كتابة مثل هذا الكتاب، لكان تبويبه وطريقة عرض الموضوع مختلفة عما نجد هنا ، ولكن السيد اللواء/ على حلمى رجل إدارة وشرطة ، ولهذا ربما كانت طريقته فى معالجة الموضوع وتحليله طريقة عملية وذات طابع مختلف .

ولا شك أنه مع حبه للشرطة ورجال الشرطة لم يتعصب لهم ، بل ذكر فى

بعض المواضع من كتابه ، ما يعرفه المؤرخون عن انحراف بعضهم فى أوقات سادت فيها الفوضى وضعفت فيها البلاد .

وأخيراً ، فإنى أهنىء الصديق الكريم بما بذل من مجهود ، وأحيي فيه من كل قلبي تلك الهمة والمثابرة والدأب على البحث ، بدلا من ركونه إلى الراحة ، فهو مثل نادر للنشاط ، مثل جدير بأن يحتذى . كما يسعدنى كل السعادة أن أكتب هذا التقديم ، لا لكى أحيي المؤلف فحسب ، بل ولأحيى ظهور هذا الكتاب الفنى فى موضوعه ، ولا شك أنه كسب للمكتبة العربية بوجه عام ، ولتاريخ الشرطة بوجه خاص .

وأسأل الله جل وعلا ، أن يطيل فى حياة مؤلفه الفاضل ، حتى نرى جميع الأجزاء الأخرى وهى مطبوعة ومتداولة بين القراء ، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق ؟

احمد فخرى

تعريف الناشر
بالكتاب

تعكس النظم الشرطية فى كل بلد أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فمن طريق الشرطة تمارس السلطات أسلوبها فى اقرار العدل أو إشاعة القهر ، فى العمل على التطوير أو الحرص على الجمود .. ومن هنا كانت أهمية تاريخ الشرطة فى بلدنا — على وجه الخصوص — يعكس ما مر عليه من كفاح طويل ، نحتاج لاسترجاعه لاستلهام القوة واستخلاص العبرة .

والكتاب الذى بين يديك ، هو أول محاولة علمية جادة ، ترجع بأصول نظم الشرطة والأمن فى بلادنا منذ العصر الفرعونى حتى الآن .. وإذا كان هذا السبق يكفيه فى باب الفضل ، فقد أضاف إليه فى باب العلم حرصه على أن يكون على مستوى المحاولة الكبيرة التى لا تقف بالضرورة عند مجرد السرد التاريخى لنظم الشرطة ، بل والتعرض لملامح النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية عرضاً ، وما يتصل منها كأساس — التشريع والقضاء — للنظم الشرطية تفصيلا .

وإلى جانب العمق فى المضمون ـ الذى يتطلبه المتخصص فى العلوم الشرطية والإدارية ـ حرص المؤلف على البساطة فى العمق الذى يعين على تفهم العلوم لغير المتخصصين فيها .

وقد وفق المؤلف فى كل ذلك غاية التوفيق، متميزا بالربط بين الماضى التليد والحاضر المجيد .ولعل ما أعان المؤلف على الجمع بين ذلك كله ـ إلى جانب التخصص فى العلوم الشرطية والإدارية والتبحر فيها معلماً ومطبقاً إياها أغلب سنى حياته ـ الاطلاع الدائب والبحث الواعى فى مجال العلوم الإنسانية ، وما أضافه إلى ذلك

كثمرة لرحلاته العلمية العديدة بين دول المشرق والمغرب ، وخبرة عميقة فى مجال الكتابة والتأليف .

والكتاب الذى نقدمه اليوم ، هو حصيلة قيمة لهذا الجهد الكبير ، وفيه يتناول المؤلف تاريخ الشرطة والأمن فى العصر الفرعونى ، حيث جمع من شتات المراجع التاريخية والبنود المتناثرة فى النقوش مادة غزيرة فوق معلوماته وخبراته الكثيرة ، دعمها بالصور والخرائط التى تقرب إلى ذهن القارىء جغرافية ذلك العصر وأسلوب الحياة فيه ؟

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

لما كان الإنسان اجتماعياً بطبعه لا يستغنى عن الاجتماع ببنى جنسه، كان العمل على توفير الأمن، تلبية لحاجة إنسانية ضرورية لبقائه، ودعامة أساسية لاستقرار المجتمع، ومن هنا كان العمل على إقرار الأمن هو المهمة الأساسية للدولة، والمظهر الذى يعلن عن سلطان الحكومة القابضة على زمام الأمر فيها .

ولذلك كان من أهم واجبات الحكومات منذ عرفت، بذل أقصى الجهود فى سبيل توفير الأمن الضرورى للأفراد والمجتمع، فأعدت من أبنائها من ينهض بذلك، وحددت لهم الاختصاصات ومناطق العمل، وزودتهم بما رأته ضرورياً لأداء مهمتهم، أولئك هم رجال الشرطة الذين يعملون على منع وقوع الجرائم قبل حدوثها، وتتبع مقترفيها بعد وقوعها، وقد يمتد اختصاصهم إلى أنواع أخرى من الخدمات فى بعض الحكومات التى لم يستكمل التنظيم الحكومى فيها مقوماته الأساسية، ولم يراع فيها نظام التخصص بدقة، ويتضح من ذلك مدى الارتباط الوثيق بين نظم الشرطة وبين شكل الحكومة ومدى المهمة التى تقوم بها .

ولما كان شكل الحكومة ومهمتها نابعين من طبيعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تحيط بالمجتمع الذى تعمل فيه، فإن نظم الأمن الداخلى تكون فى تطورها مظهرا لتطور هذه الظروف، سواء فى الشكل الذى تتخذه أو المهمات التى تلقى على رجالها أو اللون الذى تصطبغ به علاقتهم بسائر أفراد المجتمع .

وفى ضوء ما تقدم ، تبدو أهمية الدراسة التاريخية الدقيقة لتطور أنظمة الشرطة وتطور المجتمع الذى تقوم بمهمتها فيه ، وظروفه المتنوعة التى سبقت الإشارة إليها ، ونظم الدولة وحكوماتها القائمة بشئون هذا المجتمع .

وارتباط نظم الشرطة بتطور الحكومة على النحو السالف ، يجعل نظرة المجتمع إلى رجال الشرطة مرتبطة إلى حد كبير بنظرته إلى الحكومة ذاتها ، ولعل تاريخنا القريب خير شاهد على ذلك .

فحين كان الاستعمار جاثماً على صدر شعبنا والحكومات القائمة فى عهده مقهورة بسلطانه ، كان الشعب يرى رجال الشرطة فى صورة بغيضة ، وقد أكد الاستعمار ذلك بهيمنته وسلطانه ، وعرقلة كل مايستهدف إصلاح شئونهم ، ورفع مستواهم الثقافى والاجتماعى .

وقد بلغت هذه الصورة غايتها فى عهد الامتيازات الأجنبية التى كانت شر نكبة على البلاد ، فلما ألغيت هذه الامتيازات وقطع دابر الاستعمار ، وبدأ الإصلاح يدب فى هذا المرفق الحيوى — مرفق الشرطة العتيد — اضمحلت تلك الصورة، وأخذ الشعب ينظر إلى الشرطة نظرة حب وتقدير وتكريم ، لما لمسه فى عامتهم من الجد والعزم ، والعمل المتواصل بما فيه الخير والصلاح واستقرار الأمن، وراحة العباد بكل ما فى طاقتهم من كفاية وحول وقوة وصدق وطنية وإخلاص ، وبأحدث الوسائل وأدقها، سواء فى طرق العمل وأساليبه ، أو المعدات والتسليح ، أو وسائل الاتصال وغيرها .

ولذلك فقد ذابت الرواسب التى كانت بين أفراد الشعب ورجال الشرطة ، وساد الفهم تحت الشعار الصادق « الشرطة فى خدمة الشعب » .

ومما يجب أن يذكر أنه قد أعيد تنظيم هيئة الشرطة بواسطة وحدة التنظيم

والإدارة من مصالح وإدارات وزارة الداخلية ومديريات الأمن بالمحافظات ، تحديداً للاختصاصات ومنعاً لتداخل المسئوليات ، وعززت بكثير من الإمكانيات والضباط الأكفاء فى شئون الأمن العام .

ومن هذه المصالح — مصلحة الأمن العام بإداراتها المختلفة : من مباحث جنائية ، ومكافحة المخدرات ، ومكافحة جرائم النقد ، وحماية الآداب والأحداث ومباحث التموين ، وشرطة السياحة ، وقسم الرقابة الجنائية ، وقسم الرخص، وقسم التخطيط والمتابعة ، والبحوث الفنية والقانونية ، والإرشاد الفنى ، والتسجيل الجنائى ـ ومصلحة تحقيق الشخصية : ومن أقسامها المعمل الجنائى ، والتصوير الجنائى ـ ومصلحة الهجرة والجوازات والجنسية ـ ومصلحة الشرطة ـ ومصلحة الدفاع المدنى — ومصلحة التفتيش العام — ومصلحة الأحوال المدنية — ومصلحة الإدارة العامة — ومصلحة التدريب .

ومن الإدارات : إدارة المباحث العامة — وإدارة كاتم أسرار — وإدارة المرور المركزية ـ وإدارة شرطة السكة الحديدية والنقل والمواصلات — وإدارة شرطة الكهرباء — وإدارة الشئون العامة ، وإدارة الميزانية — وإدارة الشئون القانونية .

وكلها تبذل أقصى الجهد فى القيام بواجباتها ، مع التناسق التام والنظام الدقيق وإنجاز العمل فى أقرب وقت ، حتى لا يرهق ذوو المصالح بمعاناة الانتظار أو الاضطرار إلى التقدم لعدة مصالح وإدارات فى موضوع واحد .

وقد عملت الوزارة على تنسيق التشريعات والنظم المتصلة بالأمن العام، وإدخال التخصص فى مختلف الأعمال الشرطية والفنية، وبذلك تطورت الشرطة عملياً وعلمياً على أحدث الأسس وأوفاها .

وفى سبيل إعداد رجال الشرطة ، أنشئت المعاهد والدراسات الثقافية والفنية والقانونية والاجتماعية ، كما أوفدت كثير من البعثات إلى الدول المتقدمة فى شتى ضروب الأمن العام .

ولم تغفل الدراسات الأكاديمية ، فقد أنشىء معهد الدراسات العليا لضباط الشرطة: ليكون باكورة فتح جديد لاستمرار تطور نظام الشرطة ورجالها ، وأصبح مركز إشعاع للريادة الشرطية ، وينبوعا لتخريج أفواج قيادية على درجة عالية من الإعداد والتأهيل ، لشغل المناصب العليا من مديرى الأمن ونوابهم ، ومديرى المصالح والادارات ووكلائهم وغيرهم .

كما أنشىء معهد تدريب الضباط : لتأهيلهم بفرق حتمية لتولى المراكز القيادية الوسطى، كوظائف مأمورى الأقسام والمراكز ، ورؤساء الوحدات ،وبه نظام تخصص للقيام بأعمال الأمن العام الفنية، من مباحث جنائية،ومرور،واطفاء ، ومعمل جنائى ، وجوازات،وغيرها .

كما استحدث نظام الخدمة السريعة — على سبيل التجربة — بدائرة قسم شرطة قصر النيل،الذى يتلخص فى تلقى غرفة العمليات اللاسلكية للبلاغات العاجلة — عن طريق التليفون رقم ١٢٢ — فتنتقل إحدى سيارات اللاسلكى فى الحال إلى مكان الحادث ، وبمجرد وصولها يقوم ضابط الشرطة بالعمل على فض النزاع ، والتحقيق على الطبيعة ، بواسطة نظام الاقرارات الذى وافق عليه وزير العدل ، فيدون الطرفان والشهود أقوالهم فى إقرارات كتابية تقدم إلى ضابط الشرطة المختص ، ويكون لهذه الاقرارات قوة المحاضر، بحيث تكون صالحة لتحويلها من النيابة إلى المحاكم للقضاء فيها .

ومن مزايا هذا النظام سرعة الإجراءات دون تعطيل لأعمال المواطنين وأوقاتهم، وعدم تكدس المشتكين فى القسم .

ونظراً لأهمية أعمال العمد ومشايخ البلاد فى مكافحة الاجرام وصيانة الأمن العام ، قد انشئت مراكز لتثقيفهم ، ورفع مستواهم وكفايتهم الإدارية .

وهناك مشروع تحت الدراسة على وشك أن يبدأ به فى محافظة أسيوط ، يتلخص فى استبدال الدوريات اللاسلكية والآلية بالدوريات السوارى وغيرها من الدوريات التقليدية ، وإنشاء شبكة لاسلكية تخدم هذا الغرض .

ولا جدال فى أن العبء الملقى على عاتق رجال الشرطة عبء جسيم ، فهم يقومون بمختلف الخدمات الاجتماعية : كمكافحة الحرائق، وحماية الآداب والأحداث، والخدمات السياحية ، وغيرها ، فوق مهمتهم الأساسية فى حفظ الأمن الداخلى ، مع مافيها وحدها من مصاعب وأخطار ، إذ عليهم مكافحة الجرائم ، والكشف عن الجانى ، وأدلة ارتكاب الجريمة ، ملتزمين فى ذلك بأحكام القوانين ، مع مايعانونه فى هذا السبيل ، من خوف الخائفين من أداء الشهادة ، ومن تضليل المشايعين ، وجهل البسطاء .

ورغم الارتباط الوثيق بين تطور الشرطة وتطور المجتمع نفسه، ورغم جسامة المهمة التى تقوم بها ودقتها ، فإن المكتبة العربية تخلو من مؤلف يتتبع تاريخ الشرطة والأمن فى مصر منذ أقدم العصور ، وهو مادفعنى إلى هذه الدراسة، مؤدياً بعض ما لأبنائى وزملائى رجال الشرطة فى عنقى من حقوق، مستعيناً بالله تعالى، مستهدياً بما وقفت عليه من مراجع ، مستفيداً بتجاربى الطويلة ، ومن ظروفى الخاصة التى شرفتنى بالتدريس فى كلية الشرطة نحو العشرين عاماً ، وبالعمل فى مختلف ميادين الخدمة الوطنية والشرطية والإدارية ، حتى شغلت منصب قائد كلية الشرطة ، ومدير مديريات : قنا وسوهاج والبحيرة والمنوفية ، وقت ان كان المدير ينهض بوظيفتى « المحافظ ومدير الأمن» وعضو لجنة الدستور عام ١٩٥٤/٥٣ ، وبما أتاحته لى رحلاتى العلمية إلى البلاد الأوروبية والأمريكية والأسيوية والافريقية، من بحث ودرس ومقارنة واقتباس ما يلائم البيئة ، وبما قدمته للمكتبات الشرطية والإدارية والاجتماعية والرياضية والنظامية من بحوث ومؤلفات ، موجود بعضها بمكتبات الكليات الجامعية ، والمعاهد العليا ، والمدارس بمختلف مستوياتها والمراكز الاجتماعية ، ودور الثقافة ، وكذلك ببعض الدول العربية الشقيقة .

ولقد توخيت فى هذا الكتاب السهولة بقدر ماتسمح به طبيعة المنهج

العلمى ، ويقينى أن الفائدة التى أرجوها منه لا تقف عند رجال الشرطة وحدهم ، ولا تتعداهم إلى الراغبين فى البحث الاجتماعى فحسب ، بل آمل أن تمتد إلى كل الباحثين ، حتى يبدو بوضوح تأثير تطور المجتمع فى تطور نظمه .

ومنذ كنت قائداً لكلية الشرطة ، كان يجول بخاطرى أهمية إنشاء معهد للدراسات العليا للضباط ، ولقد كان سرورى عظيما بإنشاء هذا المعهد الذى أتيحت لى فرصة زيارته يوم ١٩٦٣/١٠/١٠ ، وسرنى أن وجدت على رأسه أحد صفوة أبنائى اللواء/الصادق حلاوة ، فلما أبديت له ارتياحى للنظم المتبعة فيه ، أخبرنى أنه ينقصه وضع مؤلف عن « تاريخ الشرطة والأمن بمصر منذ أقدم عصورها » وقال أنه يرى فى شخصى خير من يخرج هذا المؤلف .

ومما لا ريب فيه ، أن العناية بدراسة الحضارة الشرطية قديماً ـــ فى مختلف معاهد الشرطة ـــ من أهم الوسائل للاشادة بآثارنا المصرية القديمة التى لازالت موضع إعجاب العالم وتقديره ، وتراثاً خالداً تعتز به مصر فى سائر العصور ، وبقدر العناية بهذه الدراسة ، تكون المحافظة على هذا التراث الثمين .

وفى اليوم التالى لزيارتى لهذا المعهد ، عكفت على هذه الدراسة للكشف عن مصادرها ودرس أصولها فى المراجع الوثيقة بمختلف المكتبات العامة والمكتبات الجامعية ، ومكتبة المتحف المصرى ، حتى تمكنت بعون الله من تحقيق هذا الأمل .

وبعد أن نقل اللواء / الصادق حلاوة من هذا المعهد مديراً عاماً لكلية الشرطة ، وتولى بعده إدارة هذا المعهد اللواء/شفيق عصمت محمد ، وهو أيضاً من خيرة أبنائى الممتازين ، تحدثت معه فى الكثير من مباحث هذا الكتاب

فأبدى إعجابه التام به ، وسر من أنه على وشك الطبع لحاجة الشرطة عامة والمعهد خاصة إليه .

ولقد تتبعت ببحثى تاريخ نظم الشرطة والأمن منذ العصر الفرعونى حتى الآن،وفى سبيل توضيح الصورة، أشرت إلى نظم الحكم والحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى كانت سائدة فى تلك العصور، وأوضحت نظم التشريع مقارنا فى كل ذلك بين النظم فى العصور المختلفة ، وقسمت بحوث الكتاب إلى أربعة أجزاء :

الأول : العصر الفرعونى فى ضوء الحضارة المصرية القديمة .

الثانى : العصور اليونانية والرومانية والبيزنطية .

الثالث : العصر الاسلامى .

الرابع : العصر الحديث .

وقد خطر لى إتماماً للفائدة ، أن أضمن هذا الكتاب نبذة تاريخية موجزة عن حضارة بلادنا القديمة الباهرة ، وخاصة فى عهد الملك « تحتمس الثالث » الذى امتد نحو العشرين عاما ، فى انتصارات باهرة متعاقبة ، أتم فيها تأسيس الإمبراطورية المصرية ، بفضل كفاية الجنود وشجاعتهم وعبقرية قائدهم ومهارته ، وبفضل توافر استقرار الأمن داخل البلاد .

ولقد راعيت فى الموضوعات التى تناولتها بالبحث سرد بعض النصوص التاريخية استشهادا واستكمالا لمادة الكتاب العلمية .

لذلك فإنه من الضرورى ذكر مصادر تلك النصوص لكل عصر مر بتاريخنا القديم :

العهد العتيق : مصدره — الرواية .

الدولة القديمة: مصدرها — « نصوص الأهرام » التى يوجد فيها كثير مما يرجع إلى العهد العتيق .

الدولة الوسطى: مصدرها — كتاب الطريقين « نصوص التوابيت »
وقد أخذ كثيرا عن « متون الأهرام » .

الدولة الحديثة: مصدرها — « كتاب الموتى » وهو مأخوذ من كتب العصر السالف ، وعنه أخذ كتاب « ما يوجد فى العالم السفلى » (كتاب البوابات)

العصر المتأخر: مصدره — النصوص السالفة جميعا .

ولا يفوتنى هنا ، أن أقدم جزيل الشكر ، لكل من عاوننى على البحث ، ويسر لى موارده ، وأخص منهم :

أساتذة التاريخ بجامعاتنا ، وبخاصة الدكتور أحمد بدوى ، والدكتور أحمد فخرى ، والدكتور نجيب ميخائيل ، وعلماء مصلحة الآثار ، وبخاصة الدكتور حسن صبحى بكرى ، والدكتور عبد القادر سليم ، والقائمين بالعمل فى المكتبات العامة ، والجامعية ، ومكتبة المتحف المصرى وبخاصة الدكتورة ضياء أبو غازى .

وبعد — فهذا جهد لاأدعى له الكمال ، وان كنت آمل أن يكون بداية لدراسات أكثر استفاضة ، وأقدمه تحية متواضعة لأبنائى وزملائى من رجال الشرطة ، فيها بعض العرفان لما سعدت به معهم من زمالة كريمة وتقدير متبادل، ثم أقدمه رمزاً للرغبة الموجودة فى نفوس المواطنين كافة ، من المساهمة الإيجابية فى البناء .

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

على حلمى

العَصرُ الفِرعَونيّ

مقدمة

مقدمة العصر الفرعونى

يعتبر قدماء المصريين من الرواد الأول الذين عرفوا نظام الشرطة فى التاريخ القديم ، وقد أقاموا فى وادى النيل حضارة من أقدم حضارات العـالم .

ولما كانت مصر هبة النيل ، فقد عنى المصريون القدماء بالملاحة فيه باعتباره الوسيلة الرئيسية للمواصلات ، والقيام بمختلف الشئون الإدارية والتجارية ، وتمكين الحكومة المركزية من بسط سلطانها فى ارجاء البلاد وكان لديهم « شرطة نهرية » لحراسة السفن وضمان سلامتها وركابها من اللصوص،وكان ذلك من أهم وسائل استتباب الأمن واستقراره .

كما عنوا بتأمين طرق الصحراء ودروبها ، والقضاء على الأشرار الذين كانوا يغيرون فيها على البعثات التى كانت مهمتها استغلال مناجم الذهب والنحاس ، والمحاجر فى الصحراء الشرقية بسيناء ، وقد كانت مصدر ثروة كبيرة فى ذلك الحين .

تلك كانت مهمة الشرطة فى البلاد فى ذلك العهد البعيد ، فضلا عن قيامها بحراسة المقابر للمحافظة على مافيها من النفائس والذخائر ، وبالمعاونة فى تحصيل الضرائب ومراقبة الموازين والمكاييل فى المعاملات وغيرها .

ولقد سن المصريون القدماء القوانين ، وأسسوا النظم الكفيلة بتحقيق العدالة وحماية الحقوق من العدوان ، وردع الجناة واستقرار الأمن ، ومن ذلك الاستعانة فى التحقيقات بالمرشدين ، وأهل الخبرة ، وانتقال القضاة لمحل الجريمة أو النزاع للمعاينة ، والاستعانة بالكلاب البوليسية فى الحراسة واقتفاء آثار المجرمين والقبض عليهم ، وتشريع عقوبة الإعدام فى الجرائم الخطيرة ، وإنشاء نظام السجلات لقيد ثروات المواطنين،وسن قانون « من

ابن الملك هذا، وإنشاء سجلات لقيد أسماء المجرمين الخطرين المتخصصين فى أنواع معينة من الجرائم ووسائل ارتكابهم لها، والاعتماد فى الاثبات على الأدلة، وعدم الأخذ بالشبهات ضمانا للعدالة وصيانة للحقوق .

قامت هذه النظم ، وتقررت هذه المبادىء ، وشرعت تفاصيلها ووسائلها فى مصر فى عهدها البعيد ، وسبقت بها الدول المعاصرة إذ ذاك ، وعنها أخذت الدول كثيراً من المبادىء والتشريعات ، ولا شك أن ذلك مما تفخر به مصر ويعتز به أهلها على مر العصور .

وقد كانت حضارتها نبراسا اهتدت به أمم ، وسارت عليه دول ، ولا يزال منها فى التاريخ الحديث وفى الأمم الراقية دلائل وآثار ومفاخر .

وقد كان للعوامل الطبيعية والدينية والاجتماعية والنفسية أثرها الحسن فى كل ذلك فى استتباب الأمن خصوصا « الوازع الدينى » لعقيدتهم وإيمانهم بأنهم سيحاسبون فى الحياة الأخرى على أعمالهم فى الحياة الأولى .

ولقد سعدت مصر الفرعونية باستقرار الأمن ، وخاصة فى النصف الأول من عصر (الدولة القديمة) وبذلك تيسر لها إقامة المعابد العظيمة والأهرامات الشاهقة، والابداع فى مختلف الفنون ، والإسهام بنصيب وافر ، لا فى خدمة بلادنا العزيزة فحسب ، بل فى خدمة الإنسانية ، وخاصة فى ميدان الكشوف الهامة ، مما سنشير إليه فيما بعد .

وكان بعض حكام الأقاليم يفخرون بقوة جنودهم ، وبكفايتهم فى المحافظة على الأمن ، فسجلوا فى نقوشهم : « إن المرأة التى لا زوج لها تبيت وحدها وباب بيتها مفتوح لا تخشى شيئاً » .

ويقول «تف إيب» حاكم أسيوط : «إذا جن الليل مدحنى كل من نام فى الطريق ،لأنه أصبح آمنا كمن ينام فى بيته، وجنودى خير حام له فى وحدته».

وكانوا يحرصون على تدريب رجال الشرطة بصفة مستمرة على ما يقوى

سواعدهم ، ويحيى فيهم اليقظة والشجاعة والقدرة على النهوض بعملهم ، كالتدريب على الرماية ، والسباحة ، والمصارعة ، وحمل الأثقال ، والمبارزة بالسلاح أو بالعصا .

وبذلك كان بمصر القديمة حضارة ونظم اجتماعية ، وفيها نمو وازدهار ورخاء وأمن ونظام .

ولقد أشرنا فى شتى فصول هذا الكتاب إلى المراجع التى تؤيد ذلك كله .

وكان لكل ما تقدم الأثر الفعال فى النهضة الكبرى التى شملت كل شئون الحياة المصرية فى معظم فترات التاريخ الفرعونى، مما أدى إلى توافر النظام والأمن فى أرجاء البلاد، فمكنها ذلك من الانتصارات الرائعة المتعاقبة ، وأنشأت من وراء ذلك أول امبراطورية عرفها التاريخ .

وسنتناول فى هذا الكتاب بالتحليل والتفصيل دراسة الموضوعات الآتية :

- نشأة الشرطة وتطورها .
- وظيفة الشرطة وأقسامها .
- لمحة تاريخية عن حالة الأمن فى مصر القديمة .

الباب الأول

الشرطة

نشأتها وتطورها

الفصل الأول :

١ — القبيلة — والمقاطعة — ونشأة المدينة ، والإقليم ، والدولة .

٢ — المجتمع المصرى القديم والأمن .

٣ — الأمن فى عصر ما قبل الأسرات .

٤ — قدماء المصريين أول من عنوا بوضع نظام للأمن الداخلى .

الفصل الثانى :

عوامل استتباب الأمن ودور الشرطةفى المحافظة عليه .

الفصل الأول

١ — القبيلة والمقاطعة

ونشأة (المدينة، والاقليم، والدولة والمجتمع)

القبيلة : كانت القبيلة الركيزة الأولى التى يرتكز عليها المجتمع المصرى فى عهوده الأولى ، والمقصود بها جماعة من الناس تربطهم صلة القرابة يقطنون جهة واحدة ، لها رمزها الخاص ومعبودها ، يحكمها مجلس قبلى ، وفق تقاليد تعارفوا عليها فيما بينهم . فإذا ما اتحدت عدة قبائل تكون ما يطلق عليه «العشيرة» .

وقد اتخذت كل عشيرة لنفسها إلهاً معبوداً ، وشعاراً خاصاً يعرف باسم (الطوطم) كالقطة ، والتمساح ، والأسد ، إلى جانب الإله الخاص لكل قبيلة .

المقاطعة : تطور نظام القبيلة فى مصر إلى نظام المقاطعة ، وهى عبارة عن مساحة من الأرض يستغلها سكانها دون اعتبار لأواصر القرابة[1] .

نشأة المدينة : ثم تكونت القرى والمدن بالبلاد ، وقامت بينها علاقات اجتماعية ربطت السكان بعضهم ببعض ، نتيجة لتبادل المصالح المشتركة والمنافع العامة ، وبخاصة الشئون الزراعية المختلفة .

الاقليم : ثم انتقل بعد ذلك نظام المجتمع إلى مرحلة جديدة تكونت منها الأقاليم المتميزة الحدود ، وكان لكل إقليم عاصمة ومعبود خاص .

---

(١) — د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ١ ص ٥٨ — ٦٢ طبعة ثانية عام ١٩٥٧ ،

وول ديورانت : **قصة الحضارة** ج ١ تعريب د . زكى نجيب محمود ص ٤٠ طبعة ثانية عام ١٩٥٦ ،

و د. سليم حسن : **مصر القديمة** ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٠ عام ١٩٤٠ .

وأصبح الإقليم بعد ذلك هو النواة الأولى لنشأة النظام الإدارى فى البلاد على مر العصور ، وبتقدم الزمن نشأت الحكومة المركزية ، وكانت أيام النصف الأول من الدولة القديمة فى مجموعها أيام سـلام وأمن مستتب ، وظلت البلاد قوية متماسكة طوال هذه الفترة .

الدولة والمجتمع: كانت الدولة والمجتمع بمثابة التدرج الهرمى ، وكان الملك على رأسه يحكم فوق وزرائه الذين كانوا يرأسون حكام الأقاليم ، وكان من نتيجة عنايته توفير الرخاء العظيم للدولة ، والسلام والطمأنينة التامة للمواطنين فى كثير من العصور، فى أمن شامل ونظام كامل. (٢)

٢— المجتمع المصرى القديم والأمن

لقد عرف المصرى القديم الاستقرار عندما انتقل من حياة الصيد والتنقل، فمارس الزراعة ، وبناء المساكن ، وتعهد النبات حتى ينمو ، وكانت هذه الخطوة الحضارية الأولى فى حياته النواة المدنية، ولقد ساعد كثيراً نهر النيل السعيد — مع نشاط الفلاح وكده وجلده — على قيام حضارة خالدة .

يرى تشيلد : « إن الإنسان قديماً فى المجتمع المصرى الأول ، كان يعتمد على نفسه فى كافة احتياجاته ، فيعد طعامه وملابسه وكوخه ، ويصنع باقى لوازمه الأخرى ، ويتبادل السلع مع الآخرين، وذلك فى مجتمع زراعى متشابه .»

كايرى: « أن التخصص فى الوظيفة جاء مع الثورة المدنية، وأصبح كل فرد مختصا بحرفة معينة ، وبذلك ظهرت المواهب بشكل ملحوظ ، واختصت فئات من الناس بمختلف المهن ، وأصبح الزارع يجد من يعده بكل احتياجاته المنزلية وغيرها من مأكل وملبس ومسكن وخلافه» .

« وترتب على ذلك تفرغ الفلاح لعمله، فأجاد الزراعة ، وأصبح للتجارة شأن ،

---

(١) د . محمد انور شكرى : **حضارة مصر والشرق القديم** ص ٦٧ و ٦٨ .

ونمت الثروة وأزداد عدد السكان، وأدى التخصص إلى إجادة كل فرد لمهنته فى مختلف الفنون والصناعات» .

«وقد أدى تعاون الأفراد فى مصالحهم المشتركة بالمجتمعات الكبيرة إلى اتفاقات تحكم هذه المجتمعات فى نظام وتعاون ، وعندئذ نشأ التنظيم الإدارى ، ونشأ القانون العام ، ونشأت الحاجة إلى الدين » .

«وأدت الثورة المدنية إلى قيام دولة كبرى تشتمل على عدد من الموظفين يقومون بتنظيم الأعمال المدنية والكهنوتية ، يتبعها قوة من حفظة الأمن والنظام ، لضمان بقاء هذا التنظيم واحترام القانون واستتباب الأمن[1]» .

ولقد كانت المشروعات الموضوعة لاستثمار الأراضى الزراعية مفتقرة فى تخطيطها وتنفيذها إلى عناية حكومة منظمة قوية ، وقد بدأت الأسرات بمملكة موحدة ، كشفت النقوش أن الملك كان يوجه لشئون الرى عناية كبرى ، وكان له دور خاص فى الطقوس التى تقام عند شق ترعة جديدة .

ولقد استمرت حضارة السنين الأخيرة من عصر ما قبل الأسرات إلى أربعمائة سنة على بدء الأسرتين الأولى والثانية ، ثم فى عصر الأسرة الثالثة والأسرة الرابعة كانت الحكومة الجديدة مستقرة وعلى درجة كافية من الأمن.[2]

٣ — الأمن فى عصر ماقبل الأسرات

حرص المصريون القدماء — فى عصر ماقبل الأسرات — على ضرورة

---

(١) جون واسون : **الحضارة المصرية** — تعريب د. أحمد فخرى ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٩٤ عام ١٩٥٥ ، و د. نجيب مخائيل : **مصر فى الشرق الأدنى القديم** ج ٤ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص ٣٢٤ .

(٢) نفس المرجع المتقدم — وإرمان، ورانكه: **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** ، تعريب د . عبد المنعم أبو بكر والأستاذ محرم كمال ص ٨ .

حفظ الأمن فى البلاد ، فقد كانوا فى العصر الحجرى الحديث نصف مستقرين ثم أصبح لهم فى العصر المذكور نظام أنشأوا فى ظله قراهم ومساكنهم وصناعاتهم واهتموا بملكية الأرض وفلاحتها ، وتكوين إقليم لكل مجموعة من القرى بحدود تفصله عن الأقاليم الأخرى، ثم شعروا بالحاجة إلى اختيار زعيم تتوافر فيه صفات الأهلية للزعامة والرياسة فنصبوه حاكما عليهم ، للقيام بارشادهم وتنظيم شئونهم المشتركة ، والدفاع عنهم إذا هوجموا من عدو ، والإشراف على الأعمال الزراعية والرى ، والمحافظة على الأمن ، وغير ذلك .

ومن ثم نبعت الحاجة إلى من يقوم بتنفيذ تعليمات الحاكم ، وفض المنازعات بين الأفراد فى الشئون الزراعية والصناعية وغيرها ، والعمل على استقرار الأمن .

وقد بدأت فى ذلك الحين مقومات الاستقلال الإدارى والدينى والاقتصادى فى كل إقليم، وسار ذلك مع مرحلة الاستقرار جنبا إلى جنب.

الاتحاد الأول والثانى بين مملكتى الوجهين البحرى والقبلى :

وقد وقع التنافس بين حكام مجموعات القرى فى الوجهين البحرى والقبلى، فأدى إلى قيام حاكم مستقل لكل منهما .

وسارت البلاد على ذلك شوطاً بعيداً إلى أن دب النزاع بين الحاكمين، وقامت بينهما الحروب المديدة ، وانتصر حاكم الوجه البحرى على حاكم الوجه القبلى ، وتكونت مملكة متحدة عرفت باسم (الاتحاد الأول) عاصمتها هليوبوليس ثم انتهى عصر الاتحاد الأول وانفصلت المملكتان وبقيتا كذلك مدة ، ثم شن زعماء الصعيد الحرب على زعماء الدلتا وانتصروا عليهم، وانتهى الأمر باخضاع الدلتا، وأصبح للصعيد القوة التى جعلت زعماءه يضعون الأساس (للاتحاد الثانى).

وانتهى الأمر إلى تأسيس مملكتين وحّد بينهما فرعون مصر «مينا» ووضع فوق رأسه تاج الوجهين الذى كان من أثره توحيد البلاد، وكان ذلك حوالى عام ٣٢٠٠ ق م .(١)

وأصبح فاتحة عصر أطلق عليه (عصر الأسرات) وهو عصر يتميز بوضوح معالمه التاريخية ، وبما كان للمصريين فيه من حضارة عظيمة . كما سيأتى فى (الباب الثالث)(٢).

٤ — قدماء المصريين أول من عنوا بوضع نظام للأمن الداخلى :

استلزمت حضارة قدماء المصريين استخدام من يقومون بما يقارب أعمال الشرطة لحفظ الأمن الداخلى، الذى لا يتم الاستقرار وبناء المجتمع إلا به، فكانوا النواة الاولى لحفظ الأمن منذ أربعين قرنا .

قال الدكتور أحمد فخرى :

« .. ما من شك أن مصر كانت من أهم مراكز تطور المدينة الإنسانية وعلى ضفاف النيل العظيم أخذت الجماعات الصغيرة تتطور ، وازداد عدد أفرادها ، واتسعت رقعة حقولها ، وأصبح من الضرورى وجود سلطة مركزية تصون الأمن، وتحمى الضعيف ، وتحد من سلطة القوى والشرير وكانت مصر أقــــدم بلاد العالم فى تنظيم الشرطة كما نفهم مدلولها فى العصور الحديثة ».(٣)

وذكر الدكتور « مارسيل ليكلير » مدير شرطة باريس سابقاً فى كتابه تاريخ الشرطة : « إن استخدام الشرطة دليل على وجود مجتمع راق منظم ، وكان قدماء المصريين اول من استخدم الشرطة منذ عام ٢٩٨٦ ق .م .

---

(١) — برستد: **انتصار الحضارة** تعريب د. احمد فخرى ص ٦٧ ، ٨٤ عام ١٩٦٢ ، ود. ابرهيم رزقانه: **حضارة مصر والشرق القديم،** ص ٤٥ — ٤٧ ، ود . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ١ ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) — برستد : **انتصار الحضارة** ، تعريب د . احمد فخرى ص ٨٣ و ٨٤ .

(٣) د . أحمد فخرى **التقديم** بأول الكتاب ص ٥ .

لما بلغته إذ ذاك من الحضارة العالية التى سبقت بها كثيراً من الشعوب ، ولاشك أن الشرطة من أثمن مايمتلكه الشعب من مقوماته الاولى» .[1]

وقال المؤرخ « جيمس كرامر » فى كتابة (البوليس فى العالم) :

« لمصر تاريخ عميق للشرطة، وقد أشير إليه فى عصر الأسرة الرابعة» .[2]

يتبين من الأقوال المتقدمة لنخبة من كبار أساتذة التاريخ القديم — مصريين وأجانب — أن الحضارة المصرية القديمة نشأت فى وادى النيل ، وشغلت فى ذلك الزمن السحيق مركزاً ممتازاً بين أقطار العالم القديم، ومثلث أكبر دور فى سبيل إرساء قواعد المدنية منذ نحو خمسة آلاف عام ق . م . ، وعم فضلها كل المتصلين بها من مختلف الشعوب ، وظلت مدنيتها تتطور وتتقدم باستمرار ، بفضل ما كانت تتمتع به من أمن مستتب ، وطمأنينة تامة ، هيأت للعاملين فيها بمختلف المجالات الإبداع والنبوغ والكشف والاختراع ، فقد تم اختراع الكتابة التى كان التوصل إليها بداية للعصر التاريخى كذلك اكتشف المصريون أول تقويم عرفه تاريخ البشرية فى القرن الثالث والاربعين ق . م ، وراجت التجارة داخل الديار المصرية وخارجها .

وقد تميزت مصر أيضاً بقيام المدن والوحدات الإقليمية والإدارات المحلية بعد اختفاء نظام العشائر ، ثم استحدثت نظماً إدارية ، حددت اختصاصات بعض الوظائف وكبار الموظفين، وكانت لها بعض تقاليد خاصة فى الفن والدين .. الخ .

وبديهى أن توافر صيانة الأمن فى أرجاء البلاد ، الذى ساعد مساعدة فعالة على إبراز هذه المدنيّة بأجلى صورها ، والتى شع نورها وعم خيرها

1— Dr.Marcel Leclère: Histoire de la police, Paris 1947 p. 586.
2 — James Cramer: The World's Police, London 1964 p. 582.

أرجاء العالم القديم ، إنما كان يرتكز الكثير منه على مجهودات النواة الأولى لمن قاموا بما يقارب أعمال رجال الشرطة فى ذلك الحين، وسنزيد الموضوع إيضاحاً فى الفصول التالية[١].

(١) د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ، ص ٣١ ، ٥٣ — ٥٧ ،
وبرستد : **انتصار الحضارة** ، تعريب د . أحمد فخرى ص٧١ ، ٧٢ ،
و د. مصطفى عامر: **تاريخ الحضارة المصرية فى العصر الفرعونى** ، لوزارة الثقافة ج ١ ص ٥٨ — ٧٠ .
د . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ، ج ١ ص ١٠٩ .

الفصل الثانى

عوامل استتباب الأمن

ودور الشرطة فى المحافظة عليه

تنقسم هذه العوامل إلى :

(ا) العوامل الطبيعية .

(ب) العوامل الاجتماعية والعقائد الدينية .

١ — العوامل الطبيعية

الموقع الجغرافى وأثره :

لموقع مصر الجغرافى حيث البحر المتوسط شمالا والبحر الأحمر شرقاً ، أثر كبير فى رخاء البلاد وازدهارها .

ولقد نمت زراعاتها، وأفاء عليها النيل من خيراته ، ما جعل أهلها فى رغد من العيش ، وبسطة فى الرزق ، مضافا إلى ذلك ما يفىء إليها من مناجم الذهب والنحاس والمحاجر التى كانت الدولة تبذل الجهد الكبير فى الحصول على كنوزها الزاخرة . فمكن ذلك حكومتها من توفير الرخاء والأمن لسكانها فى داخل البلاد وفى الصحارى الشاسعة .

وقد ساعدتها مناعة حدودها الطبيعية على الشعور بالاطمئنان والأمن غالباً من التهديد الخارجى ، ووقايتها من شر الغزوات فى كثير من الأوقات ، حيث يتكبد الغزاة صعوبات جمة فى اجتياز البحار والصحارى ، فضلا عن أنها تبعدهم عن قواعد تموينهم ، وإن كانت هـــذه المناعة لم تحل دون هجمات « الهكسوس » وغيرهم .

مساندة الشرطة للجيش :

وكما كان لمصر جيش قوى يحمى الذمار ، كان لها شرطة يقظة توفر الأمن الداخلى ، وتبعث الطمأنينة فى النفوس ، وكان هذا من شأنه أيضاً تفرغ الجيش إلى إحراز النصر فى الخارج .

مهمة الشرطة فى الصحارى :

كان للصحراء الشرقية خاصة أهمية كبرى عند قدماء المصريين من الناحية الاقتصادية لاحتوائها على سلسلة جبال جرانيتية موازية لشاطىء البحر الأحمر ، وعلى مناجم الذهب والأحجار المرمرية والصخور الصلبة .

ولذلك اهتموا بكشفها وحفرها واستخراج خيراتها ، كما درسوا جغرافية سيناء واستخرجوا منها المعادن والأحجار ، وقد استخدموا من قاموا بأعمال رجال الشرطة فى المحافظة على هذه الكنوز وصيانة الأمن فى طرقها ، فقاموا بمهمتهم خير قيام [1] .

نهر النيل :

وللنيل أثر كبير من الناحية المادية والأدبية فى الحياة المصرية فى الوجهين البحرى والقبلى ، وكان الشريان الطبيعى فى مصر القديمة لا للحياة فحسب ، بل المواصلات كذلك ، إذ كان هو الوسيلة الرئيسية للمواصلات ، باستخدام السفن فى مسافة طويلة بين الشمال والجنوب تبلغ ١٠٧٣ ك . م ، فكما أن مصر كانت تغدو بدونه صحراء قاحلة ، فإن المواصلات عن غير طريقه كانت مستحيلة .

وكان لذلك أثره فى صيانة الأمن والسلام ، وفى الرخاء وتبادل التجارات وتسهيل الاتصال بين السكان .

---

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٢ طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ،
وجون ولسون : **الحضارة المصرية** تعريب د . أحمد فخرى ص ٤٢ و ٤٣ ،
وبرستد : **تاريخ مصر من أقدم العصور** ، تعريب حسن كمال ص ٣ ، ٤ ،
و د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٢ ص ٢٦٠ و ٢٦١ .

وقد كان للنيل الفضل الأول فى تقدم مصر وثرائها الذى قام على الزراعةوكل مايتصل بها من أعمال فى العصور القديمة ، وبلغ اهتمامهم العظيم بحفر القنوات والترع لخدمة الزراعة أنهم فى أوائل تلك العصور لقبوا حاكم الإقليم بلقب «عدج مر» أى حافر القناة .(١)

أثر الحكومة الاتحادية فى البلاد :

سبق أن أشرنا إلى توحيد المملكتين فى الوجهين البحرى والقبلى،ونزيد هنا أن هذا التوحيد كان له أثر بالغ فى حسن إدارة البلاد ، والنهوض بها إلى المستوى العظيم فى ظل حكومة قوية الدعائم ، فقد عملت الحكومة فى مجال الزراعة — وهو أهم المجالات وقتئذ — على تنظيم الرى وحفر الترع الكبيرة والقنوات الصغيرة وتنظيم العلاقات الزراعية بين المزارعين ، وتسهيل وسائل الانتقال ، لتبادل المحاصيل ، ووقاية البلاد من غوائل الفيضان .

وقد كان ذلك من أهم أسباب اتساع الرقعة الزراعية فى البلاد ؛ ويسر الفلاحين وثرائهم وقدرتهم على استثمار الأرض وإنتاجها ووفرة حاصلاتها ؛ وعلى دفع الضرائب المفروضة على الزراعات، ولقد ساعد هذا الرخاء على توطيد الأمن.

ومن أهم ما قامت به الحكومة المتحدة فى مجال الحياة الاجتماعية :

إنشاء نواة الشرطة لحفظ الأمن الداخلى وحراسة الطرق والمواصلات، وفض المنازعات ، وغير ذلك من المهام ، وقد اقتضى ذلك استحداث تنظيمات إدارية للشرطة لضمان حسن سير العمل ودقته (٢) .

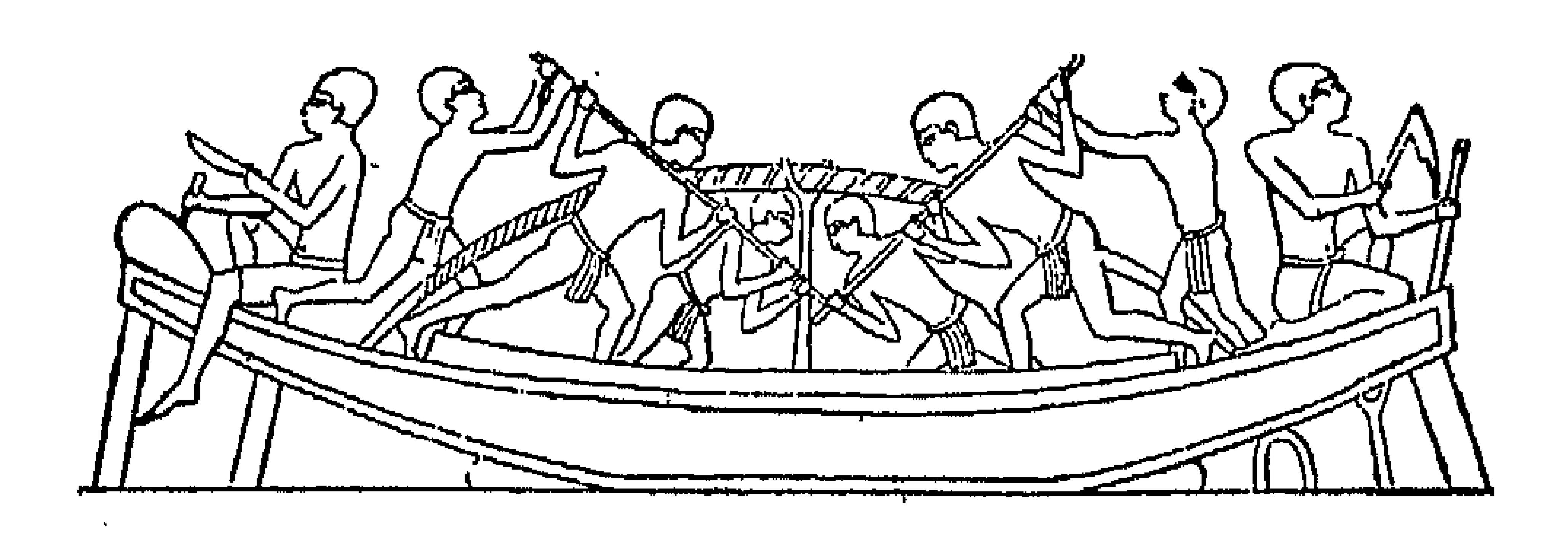
---

(١) د. نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الأدنى القديم** ج٢ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص ٣٢٥ ، و د. احمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٣ طبعة ثانية عام ١٩٦٠ .

(٢) د . محمد أنور شكرى: **حضارة مصر والشرق القديم**، ص ٧٠ ، ٧١ ، ٨١ ، ١٠٨ ، ود . مصطفى عامر : **تاريخ الحضارة المصرية فى العصر الفرعونى** لوزارة الثقافة ج ١ ص ٥٨ — ٧٠ .

صناعة السفن بمصر القديمة :

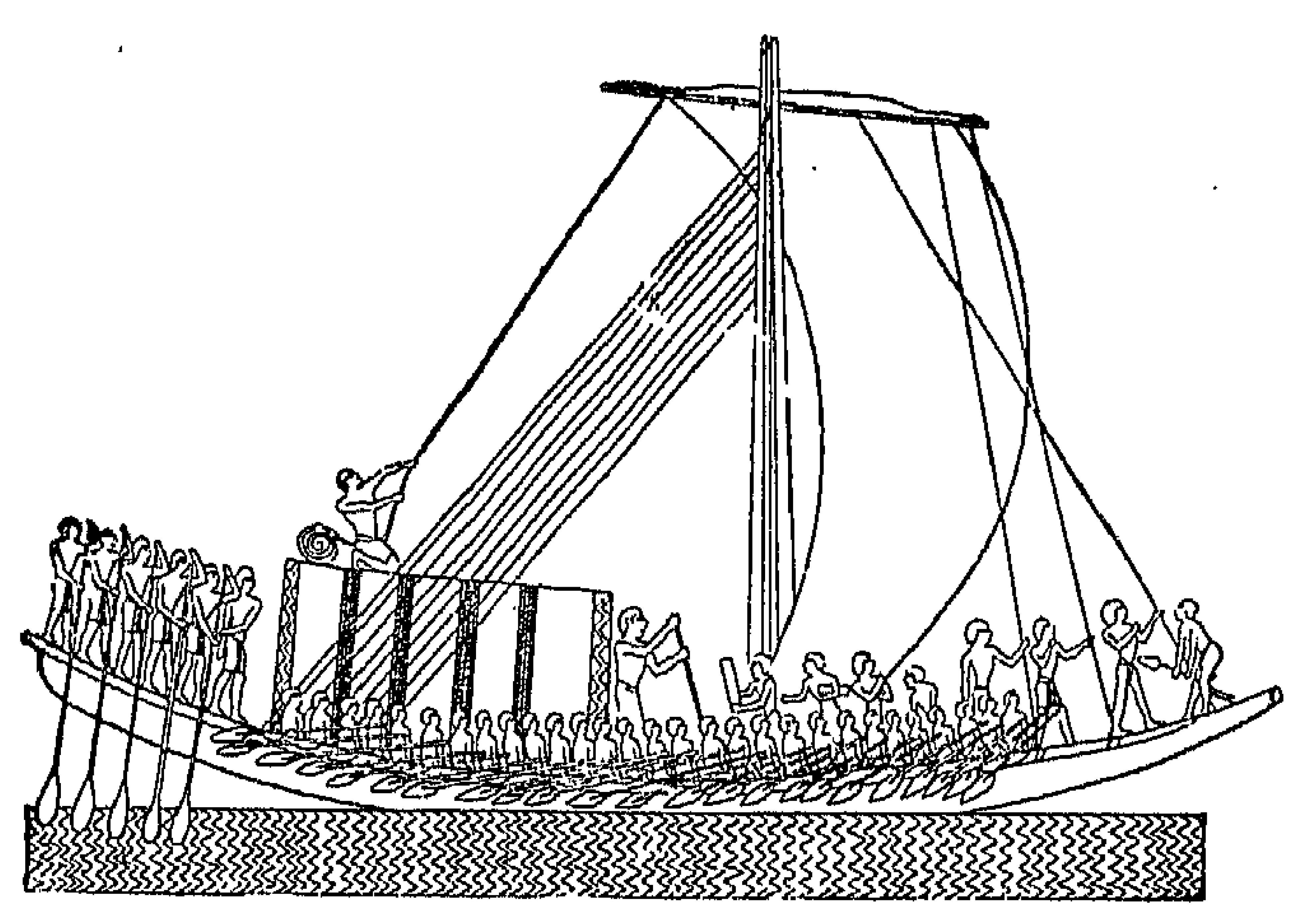
كان المصرى — منذ عصر ماقبل التاريخ — يعنى بصنع زوارق خفيفة صغيرة الحجم ، من سيقان البردى يربط بعضها ببعض ؛ ثم تدرج إلى صنع سفن من الخشب — فى عصر ماقبل الأسرات — وتقدمت هذه الصناعة ، وخاصة فى عهد الدولة القديمة حيث وجدت رسوم مصانع لها فى مقابر ذلك العهد ؛ يعمل فيها النجارون بغاية النشاط .



(شكل ١) صناعة السفن فى الدولة القديمة

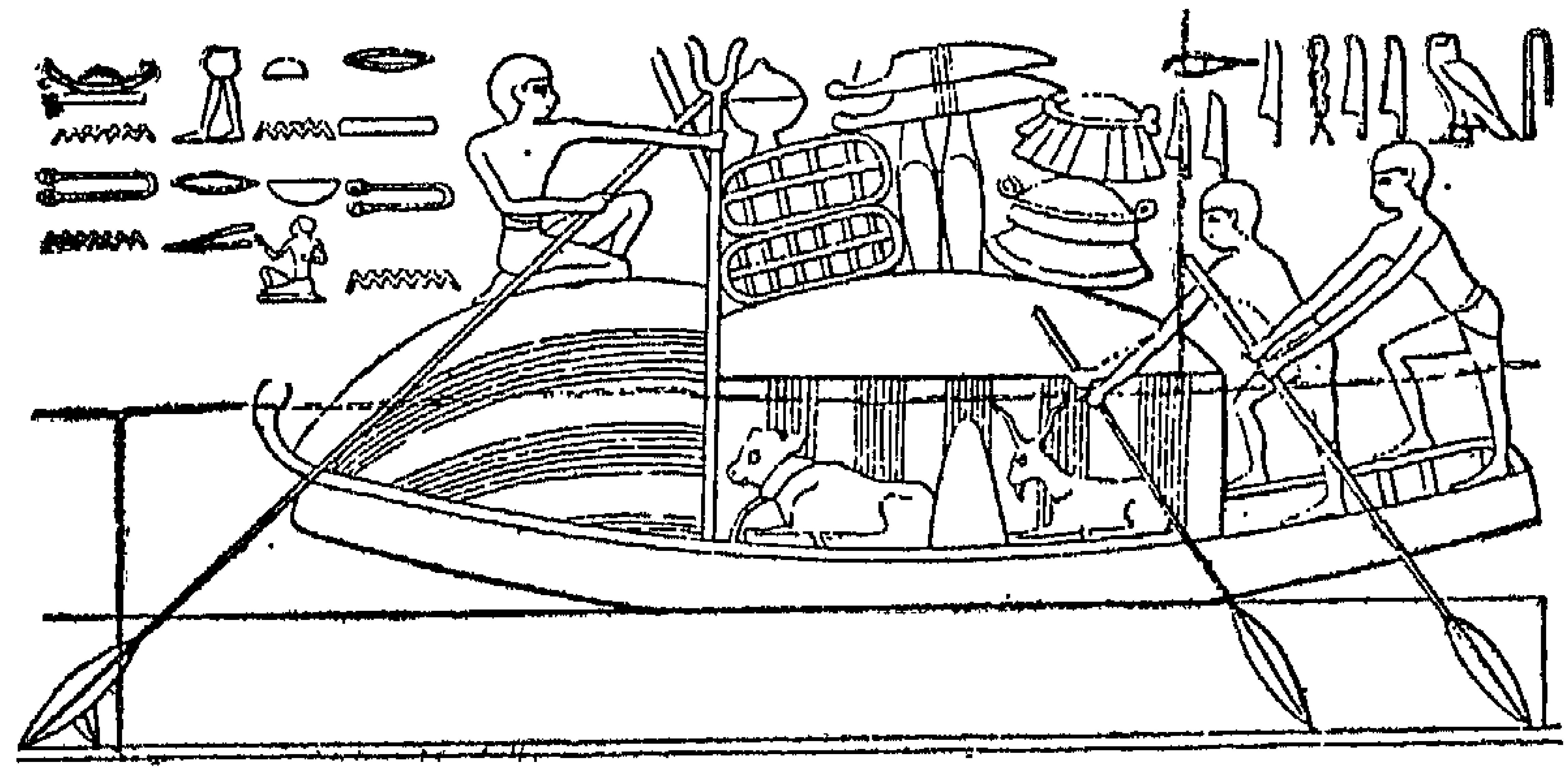
ثم انتشرت صناعة السفن بأنواعها فى البلاد ، فمنها الضخم المستعمل فى النقل ومنها السفن البحرية ذات الشراع الكبير والمجاديف العديدة . (شكل ١)

ولقد استخدمت سفن « الشرطة النهرية » للمحافظة على الأمن بحراسة السفن وضمان سلامة ركابها والبضائع المنقولة عليها . (شكل ٢)



(شكل٢)
نموذج من سفن «للشرطة النهرية» استخدمت لصيانة الأمن

ولقد كانت السفن فى العصر المذكور أقدم ماعرف من السفن التى شقت طريقها فى البحرين المتوسط والاحمر .[1]



(شكل ٣) سفينة فرعونية شقت طريقها فى البحرين المتوسط والأحمر

وفى نقش بمقبرة الوزير « رخ مى رع » صورتان لسفينة كان يركبها فى أسفاره بالنيل للقاء الملك « تحتمس الثالث » وقد رسمت بحجم كبير لكى تتناسب مع جلال المهمة التى أعدت لها .

وقد كانوا يولون أهمية كبرى لتصنيع السفن ، لأنها كانت تؤدى لهم مهمة السيارة لدينا فى الوقت الحاضر ، ومعلوم أن تسهيل المواصلات يفيد الأمن كثيراً ، فكانوا يستخدمون السفن فى أداء الدوريات للعمل على منع وقوع الجرائم، والانتقالات لضبط الحوادث الجنائية إذا وقعت ، وذلك علاوة على انتقال رجال الحكومة فى الشئون الرسمية لتدعيم الحكم والنهوض بمرافق البلاد والمواطنين فى الأعمال الخاصة، ولنقل الحاصلات والصناعات والمبادلات التجارية وغيرهما كما قدمنا[2].

---

(١) برستد : **تاريخ مصر من أقدم العصور** ، تعريب د . حسن كمال ص٦٢ ، ود . سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٩ .

(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة**: ج ٤ ص ٦٣ ، ٦٣١ .

(ب) أثر العوامل الاجتماعية والنفسية والعقائد الدينية في الأمن الداخلي

كان للدين تأثير كبير فى حياة الفرد والمجتمع فى عهد مصر القديمة ، إذ كان به يعرف الفرد الواجبات والفضائل ، وما يحمد وما لا يحمد من الأعمال والتقاليد والعادات ، ويسود المجتمع الخير والعدل والطمأنينة ، وكراهية الشر والجريمة .

قال برستد : « لم تكن هناك قوة فى حياة المصرى القديم يسيطر أثرها على نشاطه كما كان يسيطر الدين » .

حدث ذلك بعد عام ٤٠٠٠ ق . م ، وكان ذلك أقدم ما عرف فى تاريخ البلاد ، وقد تأثرت به أغلب الأسر تأثيراً حسناً ، فأدى ذلك إلى سعادتها ورفاهيتها.

وفى المدة التى وصلت فيها مدنية الدولة القديمة إلى أوج عظمتها خلال الألف سنة من القرن ٣٥ — ٢٥ ق . م تدل النقوش على أن المصرى القديم كان يشعر بوجود نوع من الوازع الخلقى يحكم تصرفاته ، حتى إن نصوص الأهرام قد أظهرت هذا الوازع بإشارتها إلى ما قد مضى من تلك العصور التى لم تكن تعرف الخطيئة والشجار .

ولم يوجد شعب آخر تطورت حياته الخلقية ، وسيطر على عالم المادة بوضوح كقدماء المصريين ، وذلك بعد عام ٣٠٠٠ ق . م عند بدء عصر الأهرام الذى أنشئت فيه المقابر الضخمة فى جبانتى الجيزة ومنف « سقارة » وقد خضع الدين لسنة التطور — ككل شىء — لأنه صدر عن الإنسان الخاضع كذلك للتطور متأثراً بالعوامل الخارجية الخاضعة للنظام نفسه[1] .

---

(١) برستد : **فجر الضمير** تعريب د . سليم حسن . ص ٣٨، ٣٩ ؛ ١٢٩ — ١٣١ ود. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج٤ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص ١٤٩ .

أثر العقيدة الدينية فى يقظة الضمير :

يختلف الدين عن العقيدة التى كانت مثلا أخلاقيا وعادات فرضها المجتمع فى البداية، ثم أصبحت لها قوة العقيدة التى تتجلى فى الدين .

ولقد كانت العقيدة تسيطر على عقول المصريين القدماء سيطرة قوية ، وكانت ممتزجة بالحياة والفكر امتزاجاً تاما، فكانوا يؤمنون بأن الإنسان الطيب يفعل ما هو محبوب ، وأن الإنسان المسىء يفعل ما هو مكروه .

وكان المصريون القدماء ينظرون إلى أنفسهم نظرة كبرياء وتعال .

وفى بداية عهد الاتحاد الثانى — فى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد — كشفت لنا وثيقة المسرحية المنفية عن أقدم بحث عرف عن الحق والباطل ، لبعض رجال الفكر من الكهنوت ، وظهرت أقدم فكرة عن النظام الخلقى المعروف بالكلمة المصرية القديمة (ماعة) ومدلولها الشىء الحسن الذى يجب أن يفعله الناس ، وهى صفة للحكم الرشيد أو الإدارة الصالحة، التى تعبر أحياناً عن معنى (الحق) وأحياناً عن (الاستقامة) وأحياناً عن (النظام) . . . وهكذا .

وفى النقوش القديمة من نصوص الأهرام، ما يؤكد تأثير المجتمع المصرى بالدين إلى حد كبير ، فكان ذلك رادعاً للنفوس عن الاثم ، وباعثا على التمسك بالحق ومؤدياً إلى استتباب الأمن ، وتاريخ مصر . . تاريخ لتطور الدين ، وتطور العقائد ، وتطور العبادات [١] .

أثر العوامل الاجتماعية والنفسية فى الأمن :

كان للعوامل الاجتماعية والنفسية أثر واضح فى تدعيم الأمن فى العصر الفرعونى، وفى ذلك قال العالم المؤرخ « ول ديورانت » مانصه « ليس فى العالم

---

(١) برستد : **تاريخ مصر من اقدم العصور** ص ١٣٠ — ١٣٦ .

كله أمة غير مصر — إذا استثنينا الأمة الصينية — جرؤت أن تعتمد كل الاعتماد على العوامل النفسية لحفظ الأمن بالبلاد[١] .

وكانت هذه العوامل ترتكز على ثلاثة أمور : —

١ — العقيدة الدينية والوازع الخلقى .

٢ — الملك إله مقدس .

٣ — الطاعة .

١ — العقيدة الدينية والوازع الخلقى

كان المصريون القدماء يؤمنون بالحساب فى الآخرة على ما يصدر من خطأ أو ذنب قد ارتكبه الإنسان مدة حياته ، وأن الإنسان الطيب سيحيا بعد البعث حياة أبدية سعيدة[٢] وأن للقيم الأخلاقية تقديرها فى سعادة المتوفى فى الآخرة ، ومنهم من كان يؤكد براءته من أعمال السوء ، فيقول رئيس أطباء الملك « ساحو رع » فى منتصف القرن الثامن والعشرين ق . م « إنى لم آت أى سوء قط ضد أى إنسان ، .. كما جاء بأحد النقوش (لا توجد سيئة اقترفها الملك « بى ») .

ومنهم من كان يتمدح بعمل الخير الإنسانى ، كما جاء فى نقوش أكبر رواد العصر القديم « حرخوف » الذى كشف مجاهل القارة الافريقية إذ يقول :

« لقد أعطيت خبزاً للفقير ، وملابس للعريان ، وعبر النيل بقاربى من لا قارب له »[٣] .

---

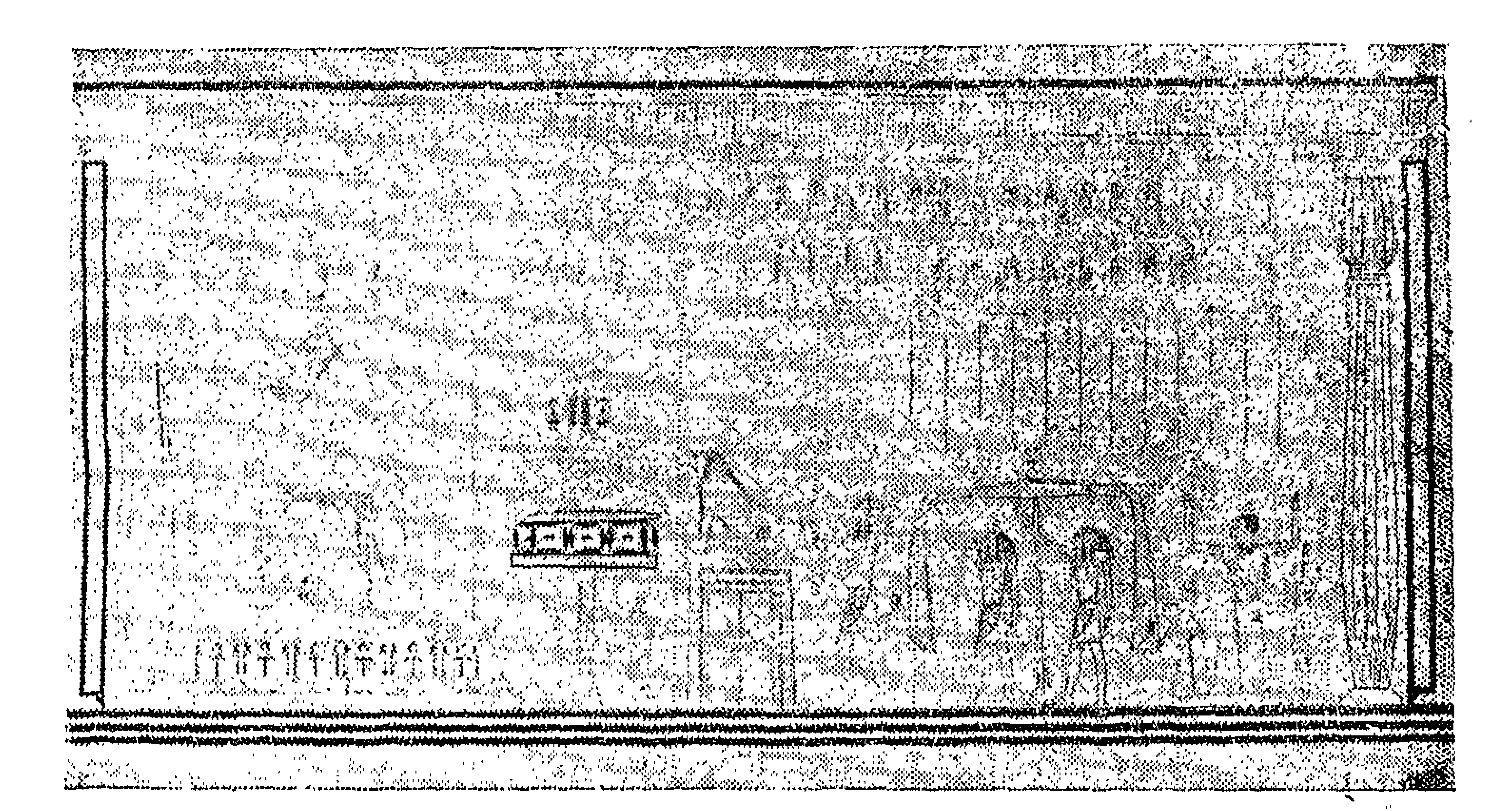
(١) ولديورانت : **قصة الحضارة** ، تعريب الأستاذ محمد بدران ج ٢ ص ٩٢ .
(٢) جون واسون : **الحضارة المصرية** تعريب د. أحمد فخرى ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٣) برستد : **فجر الضمير** تعريب د . سليم حسن ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ .

وهو بذلك يؤكد تمسكه بالنجـــدة وبالمثل العليا فى الأخلاق الطيبة والسخاء فى الخير.

وكانوا يعتقدون بوجود محكمة بعد الوفاة يقف أمامها الإنسان لكى تحاسبه على ماقدمت يداه، ولا ينفعه أمام قضاتها إلا العمل الصالح.

وكان هذا الاعتقاد ماثلا فى أذهان بناة الأهرام ، إلا أنه اقتصر وقتئذ على مثول المتوفى أمام إله الشمس كقاض ، بناء على طلب شخص ارتكب المتوفى خطأ فى حقه ، فإذا لم يطلب الشخص المحاكمة بتلك الصفة ، فلا يتعرض لأى حساب فى الحياة الآخرة[1] .

وكان اعتقادهم بوجود هذه المحاكم فى الآخرة ، وازعا قويا يحول غالبا دون اقتراف الآثام والانحراف عن الصراط المستقيم ، ودافعا لاحترام القانون والتخلق بالفضائل[2] . (شكل ٤)



(شكل ٤) محاكمة الموتى عن بردية من العصور اللاحقة

وفيما يلى فصول جاءت عن طريق كتاب الموتى فى ثلاث روايات :

(١) برستد : **فجر الضمير** ص ٤٠ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .
(٢) نفس المرجع : ص ٤١ .

الرواية الأولى عن الحساب فى الآخرة :

تحتوى على ما يقوله المتوفى للإله عند الوصول إلى قاعة الصدق والحق »:

سلام عليك أيها الإله العظيم رب الصدق ، لقد جيء بى إلى هنا حتى أرى جمالك ...، لقد أتيت إليك أقصد العدالة،.. لم أرتكب الزنا، ولا أى خطيئة ضد الناس،.. لم انقص المقياس أو مكيال الحبوب... ولم أثقل الموازين .. ولم آت سوءا مكان الحق.. ولم أرتكب القتل .. ولم أفعل ما يمقته الإله[1].

الرواية الثانية :

منظر آخر للمتوفى ، وبيان الجرائم التى تبرأ منها بقوله :

« لم أنطق كذبا ، . . ولم أغتصب طعاما . . . ، ولم أسرق هبات المعبد ، . . ولم أزك الشجار . . . ،»[2]

الرواية الثالثة :

عن المحاكمة،وقد أثرت تأثيراً كبيراً فى نفوس الكثيرين من قدماء المصريين ، وهى شبيهة بتمثيلية « أوزير » فى العرابة المدفونة فى تعبيرها القوى وتأثيرها العميق، وتبين محاسبة المتوفى فى الآخرة عن طريق الموازين،فنرى الإله« أوزير »فى بردية « آنى » الفخمة المحلاة بالصور : جالسا فى آخر قاعة المحاكمة على عرشه وخلفه كل من الإلهتين « ازيس — ونفتيس » .

وصارت المحاكمة التى نرى فيها تلك الموازين « أوزيريه » الصبغة وقتئذ ، إذ أن الموازين كانت فى يد الإله الجنازى القديم « أنوبيس » وهو يمثل برأس ابن آوى ، ويقف خلفه « تحوت » كاتب الآلهة ، ليشرف على الميزان ، وفى يده القلم والقرطاس حتى يسجل النتيجة ،..ويجلس خلفه الآلهة المتربعون فوق عروشهم.

لقد مضى على هذه الروايات الثلاث عن الحساب من الآخرة نحو ثلاث آلاف وخمسمائة عام ، وهى تصور بوضوح مدى الشعور بالمسئولية الخلقية وتأثير الوازع الباطنى الذى نشعر الآن بحاجتنا إليه بضمير حى ، كما كان يشعر به أولئك الحكماء من هؤلاء الاقدمين[3] .

(١) برستد :**فجر الضمير** ص ٢٧١، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
(٢) نفس المرجع : ص ٢٧٤ ، ٢٧٦ .
(٣) المرجع المتقدم : ص ٢٧٨ — ٢٨١ .

٢ — الملك عندهم إله مقدس

الدولة ملك الفرعون الذى كان الها وأثر ذلك على الامن :

كانت الدولة ملك الفرعون وهو الحاكم والاله ، وصاحب الأمر فى كل شىء ، وكانت حياة المصريين القدماء ووظيفتهم نموذجية فى نظرهم ، لاعتقادهم أنها جاءت إليهم من ذات الإله ، ولم يكونوا فى حاجة إلى لوائح إدارية مدونة ، لأنها كانت متمثلة كلها فى شخص الملك الإله اكتفاءاً بما يصدره من أوامر فى كافة الشئون ، وطريقة المعاملة فيها بواسطة منطوقه الإلهى ، ويقع عليه العبء فى جميع الشئون المؤدية لرفاهية الشعب ، فيعمل على خصوبة الأراضى ، ونماء التجارات ، وحماية حدود البلاد من الإغارات الخارجية ، وتوطيد دعائم الأمن ، وكان سلطان القانون والحكومة يعتمد على هيبة الملك ، وكانت المدارس والهيا كل دعامة هذه الهيبة[١] .

تقديس الملك كان يدعم الأمن :

حيث أن الحكم فى ذلك العهد كان حكماً ملكياً مطلقاً ، وكانت إرادة الملك الإله هى القانون ، وقد بلغ من تعظيمهم له أنهم إذا تحدثوا عنه لا يذكرون أسمه بل يستعملون ضمير الغائب ، فيقولون مثلا « إن جلالته قد أمر » « لنبسط له الأمر » أى لنخبر الملك بالأمر .

فقد ساعدت هيبة الملك وتقديسه ، على احترام الشعب للقانون ، والتمسك باهداب السلام والأمن .

وفى مرسوم « حور محب » ما يأتى :

« ان الملك نفسه قال : وبناء على ذلك ، فإن ماقاله فرعون هو القانون »[٢] .

(١) جون ولسون : **الحضارة المصرية** تعريب د . أحمد فخرى ص ١٢١ — ١٣٨ ، ١٣٩ وبرستد : **تاريخ مصر من أقدم العصور** تعريب د حسن كمال ص ٤٩ — وول ديوارنت : **قصة الحضارة فى الشرق الادنى** تعريب الاستاذ محمد بدران جـ ٢ ص ٩٢ .

(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٨ ص ٦٣٨ .

٣ ـ الماعة

الماعة عند قدماء المصريين:

إن الكلمة المصرية (ماعة) تشبه فكرة الملكية الإلهية ، التى أمدت الحكومة بالاستقرار والسلطان ، ويعبر عن (ماعة) أحيانا بكلمة « الحق » وأحيانا « العدل» وأحيانا «الصدق » . وأحيانا « النظام» . وهكذا :(شكل ٥)

ولقد كانت « الماعة» صفة ملازمة للحكم الصالح، أو الإدارة الرشيدة ،وكانت القوة الكونية للانسجام والنظام والاستقرار ،أما الكلمات التى تؤدى معنى ضد « الماعة » فهى مثل « كذب » أو « بهتان » أو « خداع » .

وكانوا يعتبرون الباطل كل مالا يتفق مع النظام الثابت المقبول[١] .

ماعة تقيم العدالة :

فى القرن الثامن والعشرين ق.م كان أحد ألقاب الملك « وسركان » الرسمية لقب « ماعة » أى مقيم العدالة ، لذلك كان يعتبر الملك الراحل إلى السماء حاكما بها أى بالعدالة فى الحياة الآخرة ، كما كان ذلك استقراراً للنظام الخلقى الذى كان يرعاه فوق الأرض

(شكل ٥) « ماعة » إلهة الحق والعدل والنظام

ولذلك تقص علينا متون الاهرام ، أن الملك« وناس» يخرج للعدالة ليأخذها معه أى (ماعة)[٢] .

ماعة وعقيدة التوحيد :

قال المؤرخ برستد: « كان الحاكم (بتاح حتب) يفخر بسيادة «ماعة»

(١) جون ولسون : **الحضارة المصرية** تعريب د — أحمد فخرى ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) برستد : **فجر الضمير** ، تعريب د . سليم حسن ص ١٤٢ .

وخلودها فيقول : إن (ماعة) عظيمة ، وتصرفها باق لم تخزل منذ زمن بارئها » .

ومن الواضح أن المجتمع والحكومة معاً ، وكذلك التأثيرات الاجتماعية ، قد أدت جميعها إلى ذلك النظام ، والذى قام بتلخيصة الحكماء المصريون القدماء فى كلمة جامعة واحدة وهى « ماعة » .

وبتلك الكيفية ، وجدت لأول مرة بيئة ذات قيمة عالية ، وحينما بدأ المصريون يتصورون الحاكم الإلهى لهذه البيئة ، كانوا فى الحقيقة يسيرون غالبا فى الطريق المؤدى إلى عقيدة التوحيد السامية ، وكان ذلك الحاكم الإلهى هو « إله الشمس » وقد تخيل القوم روح حكمه فى شكل شائق ، بأن يصوروا (ماعة) فى هيئة إلهة ، وجعلوها بنت الشمس .

وبالسير فى هذا السبيل ، وصل المصريون فى النهاية إلى عقيدة التوحيد الرفيعة .

ويقول « باحرى » وهو من أكبر رجال الدولة فى عهد الملك « تحتمس الأول » فى نقش عثر عليه فى لوحته الجنازية ، الذى كشف النقاب عن نواح عدة من الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية :

« . . . كنت شريفا وحازما . . . لم أكذب على أى إنسان ، لأنى أعرف الإله الذى فى جوف الناس ، وانى أفرق بين الخير والشر »[1] .

الاله فى كل شىء :

كان الملك « خيتى الثالث » يمتاز بالصلاح ، وقد ألقت تعاليمه لابنه الملك « خيتى الرابع » ضوءاً على الفكرة التى كان ينظر بها « الفرعون » فى طريق حكم البلاد ، وعلى مستوى الفكر الإنسانى فى ذلك العصر ، وكان « خيتى الثالث » يرى أن يكون رجال الحكم من بين ذوى الكرامة والعفة والطهارة ، وأن أعمال الإنسان تشفع له يوم الحساب ، وأن الإله موجود

---

(١) د. سليم حسن : **مصر القديمة** جـ٤ ص ٢٧٥-٢٧٩.

فى كل أمور الناس، وقد اتخذ ذلك أساساً لاعتداله فى الحياة، فيقول ناصحا ابنه « خيتى الرابع » (إحذر أن تعاقب إنسانا خطأ . . الإله يعرف الشقى وينتقم منه بأشد العقاب، والإله يقول : إنى أنا المنتقم، وسأعاقب كلا بذنبه، وعلى الإنسان أن يعمل كل مايريد ، على أن ينسى الحساب الأخير عندما يشرف « تحوت » إله الحكمة على المحاكمة ، والقضاة الذين يقضون المظلوم يوم القيامة، ونعلم أنهم ليسوا متهاونين من ذلك اليوم الذى يقضون فيه للنفس وبخاصة عند ساعة النطق بالحكم ، وإنه لأحمق من يستخف بقضاة العدل. أما الإنسان الذى يقف أمامهم دون أن يرتكب خطيئة ، فإنه سيبقى هناك كإله ، ويتقدم أمامهم بخطى ثابتة إلى الأمام كإله الأبدية[1] .

الاله بصير بالعباد :

عثر بمقبره الوزير « رخ مى رع » على نقوش جاء فيها : إسمعوا انتم يامن فى الوجود ، إن الإله يعلم مافى الأنفس ، وكل مافيها من أعضاء منشورة أمامه ، تأملوا ، إن عيونه تبصر طبائع الناس فى أجسادهم، وكل قلب ينضم إليه من تلقاء نفسه ، .[2] وهم بهذا كانوا — فى ذلك الزمن السحيق — قد أدركوا أن الله بصير بالعباد .

---

(١) د. سليم حسن : ج ١ ص٤٢٨ ، ٤٢٩ .

(٢) المرجع المتقدم : ج ٤ ص ٥٦٨ .

الباب الثانى

« الشرطة »

وظيفتها وأقسامها

الفصل الأول

الشرطة والنظام الإدارى

نشأة وظيفة الشرطة :

وضعت نواة هذه الوظيفة قبيل (عصر الأسرات) كما قدمنا ،لإقرار الأمن ، وتنفيذ النظم التى استحدثت وقتئذ[1] .

وقد نضجت هذه النظم فى النصف الأول من (الدولة القديمة) .[2]

وكانت هذه النواة مندمجة فى النظام الإدارى ، وظلت كذلك إلى ماقبل (الدولة الحديثة) كما كانت غير منفصلة عن الجيش حتى(الأسرة الرابعة) ، وفى عهد (الأسرة الخامسة) فصلت الإدارة المدنية عن الإدارة الحربية فصلا تاماً بعد الإصلاح الذى أدخل .[3]

وكان يقوم بمهام الأمن بعض الإداريين ، أو رجال الجيش ، أو القضاة ، أو الكهنة ، أو غيرهم ممن حظوا بثقة الفرعون علاوة على أعمالهم الأصلية ، وكذلك كان حاكم المقاطعة يرأس حراس الأمن ، كما يرأس قلم القضايا والإدارة فى مقاطعته ، وأصبح لهيئة الشرطه فى عهد (الدولة الحديثه) كيان مستقل عن أجهزة الدولة بما فى ذلك الجهاز الإدارى والجيش .[4]

ونقل الدكتور نجيب ميخائيل عن « جوردن تشيلد » ماملخصه :

إن الشرطة بهذه الصورة لم تعرف إلا ابتداء من (الدولة الحديثة) ولم يكن التخصص الدقيق معروفاً من قبل،فلم يكن هناك ما يمنع من أن يكون رجل

---

(١) برستد : **انتصار الحضارة** ، تعريب د . أحمدفخرى ص ٦٧ و ٦٨ .

(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٢ ص ٤٥٢ ، و د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ٢ ص ١٨٢ و ١٨٣ طبعة ثالثة عام ١٩٦٢ .

(٣) المرجع المتقدم : ج ٢ ص ٤٦٧ .

(٤) المرجع السابق ج٢ ص ٤٠ و٤١و٥٧ .

الجيش شرطياً ، وإلى عهد قريب كان يختار بعض الضباط من الجيش للعمل فى الشرطة .

وكان الوزير الرئيس الأعلى لجهاز الشرطة ، وكان عليه أن يشرف على حراسة فرعون بكافة الوسائل المؤدية لهذا الغرض ، وذلك علاوة على مهامه الأخرى فى مختلف شئون الدولة .

وكان الملك « سيتى الأول » يحمل لقب رئيس المدچاة (شرطة الصحراء) قبل توليه العرش .

اشراف وزير الشمال :

كان حاكم المدينة تحت إشراف الوزير مباشرة ، وكان رئيس الشرطة تحت إمرة حاكم المدينة فى مرتبة فارس أو كاهن ، وكان يتدرج فى الترقى إليها من وظائف أقل : كرئيس المدچاة أو حامل العلم فى حرس الملك الخاص [١].

اشراف وزير الجنوب .

وأما وزير الجنوب فكان يشرف على عمدتين يحمل كل منهما لقب أمير :

عمدة طيبة الشرقية ؛ وهو أمير مدينة الاقصر الحالية ، وعمده طيبة الغربية وهو أمير الغرب والرئيس الأعلى لفرق شرطة الجبانة (مدينة الأموات) .

وكان يراعى فى اختيار رئيس الشرطة صلته الشخصية بفرعون كما يتبين مما يأتى عند الكلام على « نب أمون » فى الفصل التالى .

وكان قوام الأمن فرقاً خاصة من المصريين ، معدة دائما للقيام بمهامها . ولم تكن تضم جنوداً من المرتزقة .

وكان رجال الشرطة يقيمون فى مكان عملهم ، وكان حصن الجبانة فى فى طيبة الغربية مركزاً لهم

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، ج ٤ طبعة ثانية عام ١٩٦٦ ص ١٤١ .

ومن إشارة فى بردية ، نعرف أن من بين سكان ال ١٨٢ بيت المقامة فى (طيبة الغربية) أمير طيبة الغربية ، واثنين من رؤساء الشرطة، واثنين من ضباط المركز، وسبعة من رجال الشرطة .

وقد كشف كذلك فى (تل العمارنة) عن ثكنات يقيم بها رجال الشرطة « المدچاة » .(١)

نظام الحكم والنظام الإدارى فى مختلف العصور

عصر ماقبل الأسرات :

كان للعناية بالرى وتوصيل المياه فى القنوات إلى أراضى بعيدة عن شاطىء النيل أثر كبير فى الوصول إلى الرخاء ، وازدياد عدد السكان ، وعدد المهرة فى مختلف المهن ؛ كما كان له أحسن الأثر فى النمو الاقتصادى وتعبيد الطريق لبدء عصر الأسرات .(٢)

الملك فى العصر الثينى

نشأت الحضارة (الثينية) على أكتاف الملكية، فقد كانت سلطة الملك خلالها مطلقة، وكانت الملكية تستقر على الصفة الإلهية للملك «حور» أحيانا و « ست » أحيانا أخرى أو «حوروست معا»(٣) بيده الأمر والنهى لاراد لقضائه، فالجميع يدينون له بالطاعة .

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ؛ جـ ٤ الحضارة المصرية القديمة طبعة ثانية سنة ١٩٦٦ص ١٤١ و١٤٢

(٢) جون ولسون : **الحضارة المصرية** ، تعريب د. أحمد فخرى ٩٠ و٩١ .

(٣) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، جـ ٤ طبعة ثانية عام ١٩٦٦ ص ٨٩ .

وكان فرعون أو « پر — عو » كنية الملك فى العصر الفرعونى يكنى « بالبيت الكبير » كما كان يكنى السلطان « بالباب العالى » قبل زوال دولة آل عثمان .

ويقول « ديودور الصقلى »(١):

كل مظهر لحياة الملك سواء من الناحية العامة أو الخاصة ، كان يخضع لقواعد دقيقة ، وبعد قيامه بالشئون الخاصة والدينية ، كان يهتم بالإشراف على شئون الدولة فى نطاق القوانين التى سنها .(٢)

وكان يعاون الملك موظفون دونت ألقابهم على بعض الآثار ، وكانت لهم اختصاصات وواجبات محددة فى ذلك المعهد .(٣)

وقد كانت الحكومة إذا ذاك « موحدة » يتبعها مكتب خاص حفظت فيه المستندات الرسمية ، مما ساعد على كتابة أنباء ملوك ذلك العهد على حجر « پالرمو » فى عهد (الأسرة الخامسة)(٤) .

فى الدولة القديمة

فى النصف الأول من (هذه الدولة) استمرت الهيئة الكبرى للملوك وقد استهم ، وزاد سلطان الحكومة قوة عما كان عليه فى (العهد الثينى)

---

(١) ديودور الصقلى: مؤرخ رومانى من القرن الأول قبل الميلاد ، كتب تاريخا للعالم من أربعين جزءاً ، لم يحفظ منها سوى خمسة عشر كاملة وبعض أجزاء من الأخرى ومن بينها تاريخ مصر القديم ، حسبما كان معروفا لدى الرومان فى ذلك الوقت) أنظر كتاب : **ديودور الصقلى فى مصر:** تعريب د. وهيب كامل ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

(٢) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، جـ ٤ طبعة ثانية عام ١٩٦٦ ص ٠٨٧

(٣) نفس المراجع جـ ٤ ص ٩٢.

(٤) المرجع المتقدم جـ٤ طبعة ثانية عام ١٩٦٦ ص ٩٣.

وحجر پالرمو: عبارة عن لوحة مدونا بها أسماء الملوك المصريين من عصر ماقبل الأسرة الأولى حتى الاسرة الخامسة وأهم الأحداث وسنوات فيضان النيل .

بالحكومة المركزية تحت إشراف (الوزير) مما أدى إلى الازدهار والرخاء والأمن فى ربوع البلاد .

ثم أخذ نفوذ الملك يتقلص حين أخذت مركزية الحكم تضمحل تدريجاً، بانتقال السلطان والنفوذ من حكومة مستقرة لأيدى حكام المقاطعات فى حكومات محلية ،حتى تفتتت وحدة البلاد باستقلال هؤلاء الحكام بأقاليمهم فى كافة الشئون ، وأصبحت مراكزهم وراثية ، وهكذا انهارت الأوضاع والنظم،كما استشرى الفساد، مما دفع الشعب إلى ثورة عارمة.

وقد كان لذلك أثره السيء فى حالة الأمن واختلاله ،مما سنفصله فى (الباب الثالث) .[1]

فى فترة الانتقال الاولى

استمر الانهيار فى هذا العصر وازداد الملك ضعفاً ، وضاعت هيبته الأولى،مما أدى إلى ازدياد قوة حكام الأقاليم، كما استشرى الفساد، فكان لذلك أسوأ الأثر فى حالة الأمن .

فى الدولة الوسطى

بدأ عهد (هذه الدولة) ببذل الجهود لإعادة تنظيم البلاد ، والنهوض بمرافقها على أساس متين، مع توجيه عناية خاصة للتوسع فى مشاريع الرى والزراعة واستغلال المناجم والمحاجر ، وزيادة الصلة التجارية مع الدول المجاورة .

وقد جاهد أغلب الملوك العظام (للدولة الوسطى) حتى تمكنوا من استرداد الكثير من هيبتهم وتأمين الحدود : وإصلاح الشئون الداخلية والخارجية الهامة بمعاونة كبار الوظفين فى مختلف الإدارات الحكومية ، فاستمتع الشعب خلال هذا العهد بقدر كبير من الهدوء والرخاء والأمن ، وبذلك أصبحت الدول المجاورة تهاب مصر وتخشاها .[2]

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج٤ طبعة ثانية سنة ١٩٦٦ ص ٩٩ — ١٠٢.

(٢) نفس المرجع : ص ١٠٦ و ١٠٧ .

فى فترة الانتقال الثانية

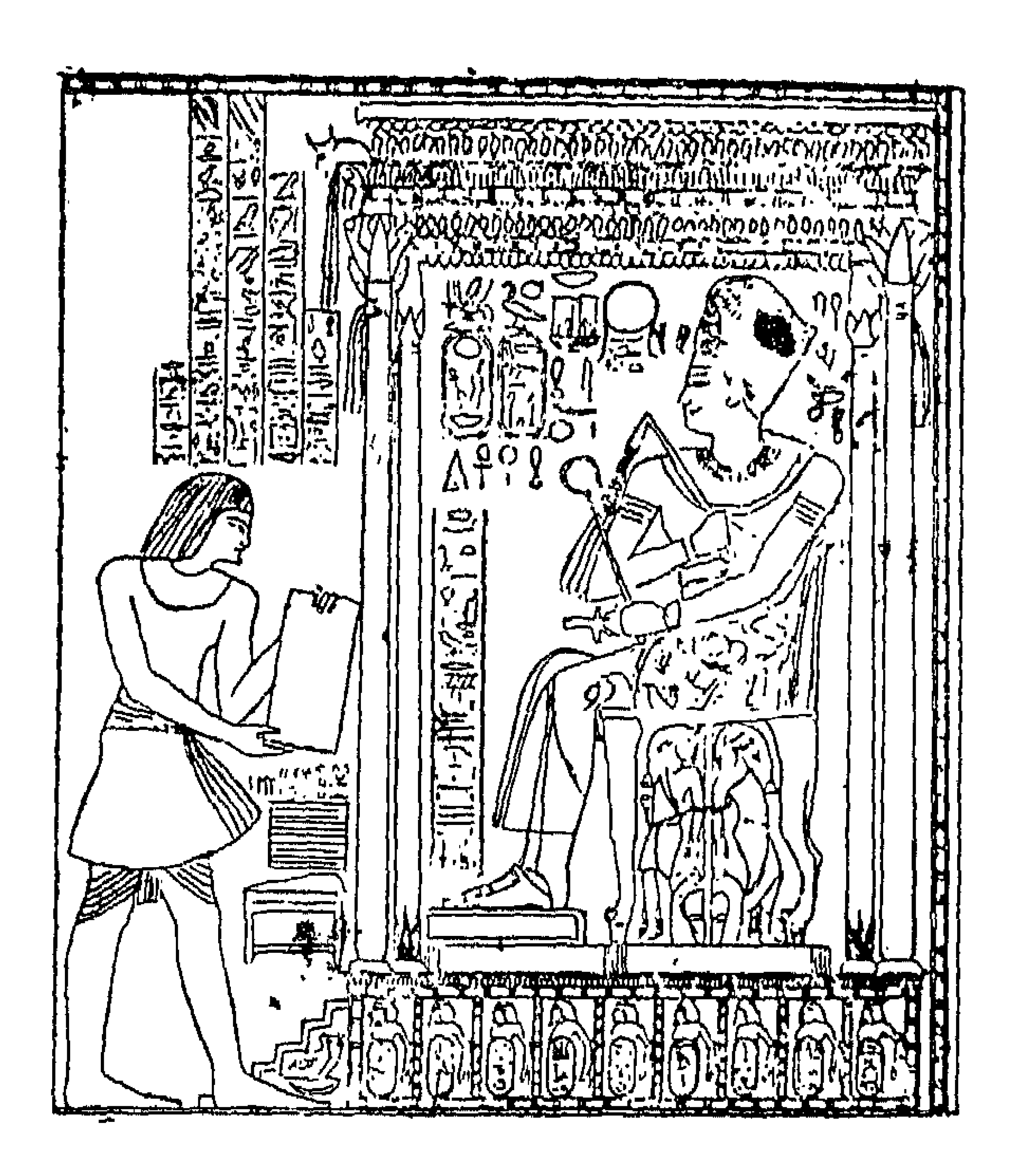
انهارت السلطة المركزية للدولة انهياراً كبيراً ، ولم تعد للبلاد حكومة واحدة تحكم مصر شمالها وجنوبها ، بل نشأت بيوت استقلت بأمرها ، وكانت نتيجة ذلك فتح الحدود لكل من هب ودب سواء من الشرق أو من الغرب ، ثم حدثت نكسة كبرى عندما وفد «الهكسوس» وأخضعوا الدلتا لحكمهم المباشر ، ودان لهم أمراء الصعيد بالطاعة إلى أن انجلت هذه الغمة بعد أكثر من قرن من الزمان، عندما قام أمراء طيبة ينازعون هؤلاء الأجانب سلطانهم، وانتهى الأمر بتطهير البلاد منهم ،ونشأت الأسرة الثامنة عشرة أولى أسرات الدولة الحديثة .

فى الدولة الحديثة

تأثرت مناحى الحياة فى هذا العصر السعيد عصر الإمبراطورية المصرية ، فاتسع نطاق سلطان الملوك بضم كثير من الولايات — شمالا وجنوبا — إلى مصر إثر الانتصارات الباهرة المتتابعة بجيوشها الظافرة ، والقيادة الحكيمة لغالبية ملوكها وخاصة البطل« تحتمس الثالث » ، وكان لاستتباب الأمن واستقرار الحكم فى ارجاء البلاد أثر واضح فى هذه الانتصارات .

وباتصال الكثيرين من المصريين خارج الحدود ، ازدادت النظم الإدارية فى البلاد نضوجا وفاعليتها الطيبة بين أفراد الشعب رسوخا[1] .

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، جـ ٤ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص١١٠ — ١١٤ .



(شكل ٦) الوزير يعرض مهام الدولة أمام فرعون

منصب الوزير (شكل ٦)

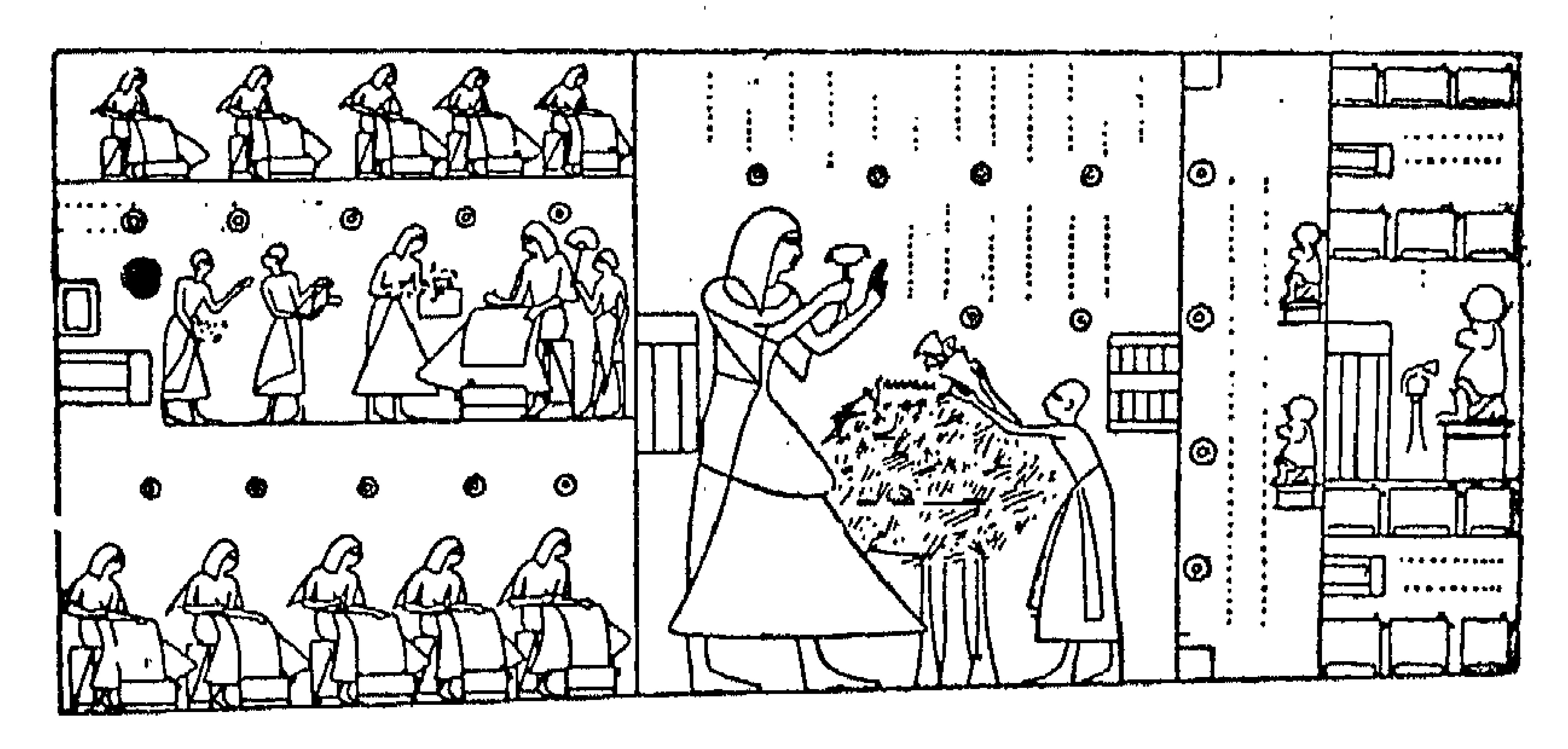
المرجح أن منصب الوزير أنشىء فى العهد الثينى ، لأن توحيد القطرين وقتئذ زاد من الأعمال الحكومية زيادة كبيرة فى مختلف المهام العديدة كما أنه كان واسطة دائمة وحلقة الاتصال بين الملك وكبار الموظفين بالإدارات والمصالح ، يؤيد ذلك أغلب المؤرخين ومن بينهم « إدواردماير » بقوله : « إن وظيفة الوزير كانت قائمة فى ذلك العهد » .

وكان المعارض الأول لهذا الرأى المؤرخ « دريوتون » وإن كان لا ينفى وجود هذا المنصب ، ولكنه يرى أن ظهوره كان فى عهد الملك « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة ، ويسبغ على « جماكا » لقب الوزير الأول أو الموظف الأول للملك « دن » وأن « نفر ماعت » كان أول وزير عاش فى أوائل الأسرة الرابعة فى عهد الملك « سنفرو » .

وعلى أى حال ، فمن المحقق أن جميع الأعمال الهامة كانت قبل عرضها

على الملك تمر عن طريق موظف كبير يعاونه رؤساء البعثات الملقبين بحملة أختام الإله الذين كانوا ينقلون إليه تقارير الإدارة الإقليمية ، وكانت تحت قيادتهم فرق مسلحة من الجنود للاستعانة بها فى صيانة الآمن وتنفيذ القانون .

وكان يوجد مكتب يختص بحفظ المستندات الرسمية ، فيسّر ذلك كتابة أنباء الملوك على حجر « بالرمو » فى عهد الأسرة الخامسة[١] .



(شكل ٧) مكتب الوزير فى عصر الملك « رمسيس الثانى »

سلطات « الوزير » واختصاصاته (شكل ٧)

فى العصر المبكر (الثينى) وفى الدولة (القديمة) :

كان الوزير يرأس السلطة الإدارية ، لا يعلوه فى هذه الرئاسة وفى رسم سياسة الدولة إلا الملك فقط ، ويعادل هذا المنصب الآن رئيس الوزارة ، كما كان يتولى وظيفة قاضى القضاة ورئاسة بيت المال .

وكان يعاونه فى ذلك رؤساء إدارة[٢] .

فى الدولة الوسطى :

كان الملك يختار الوزير الذى يرأس الإدارة الحكومية ويشرف على

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج ١ طبعة رابعة عام ٦٣ ص ١٣٩ . و ج ٤ طبعة ثانية عام ٦٦ ص ٩٣ .
ودريوتون ، وفانديه : **مصر** ، تعريب الأستاذ عباس بيومى ص ١٦٤ .

(٢) ول ديورانت : « **قصة الحضارة الشرق الأدنى** » ج ٢ تعريب الأستاذ محمد بدران ص ٩٢ ، و د . محمد أنور شكرى : **حضارة مصر والشرق القديم** ص ١١٠ ، ١١١ .

الشئون الخارجية والداخلية والقضائية ، وعلى الأمن وقوات الشرطة وتجنيد رجال الجيش وشئون العمال[1] .



(شكل ٨) «الوزير رخ مى رع»

فى الدولة الحديثة :

وقع الاختيار — أكثر من مرة — لمنصب الوزير على إحدى الشخصيات الكهنوتية الكبرى ، وكان عادة كبير كهنة « أمون » إله الدولة الأعظم أو كبير كهنة الإله (بتاح) إله ممفيس ، وبذلك جمع فى يده السلطتين الدينية والدنيوية .

وعندما تعددت اختصاصات الوزير فى « الدولة الحديثة» رئى من الضرورى ازدواج هذه الوظيفة ، فعين وزير للوجه البحرى ومقره (هليوبوليس) ووزير للوجه القبلى ومقره (طيبة) .

وكان الوزير يمثل السلطة العليا لكافة الشئون ، وكان يرأس الإدارة الحكومية ، يعاونه فى ذلك موظفون موزعون فى العاصمة والأقاليم على مختلف الإدارات حتى يسهل فرض الضرائب وتجنيد الجند على أسس عادلة بلغ بها الأمر أن أعدت بطاقات خاصة يسجل فيها بيانات عن عدد أفراد كل أسرة ومالديها من أتباع وخدم[2].

مهام الوزير (شكل ٨)

حدد الوزير « رخ مى رع » مهام الوزير فى نص على جدران قاعة الوزير

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** جـ ٤ طبعة ثانية سنة ١٩٦٦ ص٩٧ .

(٢) إرمان ، ورانكه : **مصر والحياه المصرية فى العصور القديمة** ، تعريب د . عبد المنعم أبو بكر والأستاذ محرم كمال ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

مصورا إياها أدق تصوير ، نلخص بعضها فيما يلي :

تقريره اليومي للملك : كان عليه أن يمثل أمام الملك يومياً ، ويقدم له تقريراً مفصلا عن الأحوال العامة فى أرجاء البلاد(١).

موظفو الادارة وتبليغاتهم :

وكان من واجب كبير الموظفين لإداريين إبلاغ الوزير كل أربعة شهور بالأعمال العامة فى منطقة عمله ، مع الإشراف على الزراعات وحالة الفيضان ، وتحصيل الضرائب ، وتوريد الأغذية(٢).

نظام التفتيش.

وكان الوزير فى الدولة الحديثة يرسل إلى الأقاليم فى دورات تفتيشية مندوبين لمراقبة سير العمل فيها ، ويكونون بمثابة أداة الاتصال بين مكتبه وبين تلك الأقاليم ، وكان عليهم تقديم التقارير إلى رؤسائهم فى السلك الإدارى على الوجه الموضح بالفقرة السابقة ؛ وبذلك أمكن تفادى الأخطاء الجسيمة التى أدت إلى الخطر على وحدة البلاد فى بعض العصور السابقة(٣).

الادارات المختلفة

سبق القول أن الوزير كان لديه مساعدون يعاونونه فى النهوض بالأعباء الكثيرة المختص بها، من أجل ذلك قسمت الدولة إدارياً إلى ثلاث إدارات :
إدارة بأعالى الصعيد ، وأخرى بمصر الوسطى ، وثالثة بالدلتا، وتحت كل إدارة مقاطعات .

وهذا النظام الإدارى الذى كانت تسير عليه (الدولة القديمة) فى

---

(١) د . سليم حسن: **مصر القديمة** ج ٤ص٥٨٨ ، ودريوتون، وفانديه : **مصر** تعريب الأستاذ عباس بيومى ص ٥١٦ .

(٢) د. سليم حسن **مصر القديمة** ج ٤ ص ٥٨٧ — ٥٩٥ .

(٣) دريوتون ، وفانديه : **مصر** تعريب الأستاذ عباس بيومى ص ٥١٦ .

القرنين الأول والثانى قد بلغ درجة عالية فى القرن الثلاثين ق . م . ويرجع الفضل فى ذلك إلى كفاءة موظفى الحكومة إذ ذاك ، وهو أمر لم تبلغه القارة الأوربية إلا فى أواخر الحكم الرومانى .

وكان يرأس كل إدارة فى الجزء الأول من(الأسرة الثانية عشرة)حكام الأقاليم، ولكن استبدل بهم موظفون من قبل الحكومة المركزية فى عهد الملك « سونسرت الثالث»(١) .

وصايا الملك « تحتمس الثالث » (شكل ٩)

لوزيره « رخ — مى — رع »

من وصايا الملك تحتمس الثالث للوزير « رخ مى رع » فى حفل تنصيبه عام ١٤٧٠ ق . م قوله :



(شكل ٩)
«الملك تحتمس الثالث»

- «كن يقظا للقيام بكل الواجبات لتوطيد حالة البلاد قاطبة ، تذكر أن منصب الوزير مر المذاق كالصبر، لا تتخذ من أفراد الشعب عبيداً ، يجب أن تراعى من لا تعرفه كمن تعرفه، والحاكم الذى يسير على هذا النهج ، يصيب النجاح فى الإدارة» .

- **وقوله أيضا لوزيره المذكور:**

«يمقت الإله التحيز .... لا تصرف شاكيا دون أن تسمع شكواه، إذا قدم لك متظلم شكوى فلا تطرده، إذ أن الشاكى يفضل الاستماع إلى شكواه على أن يراها تجاب ، واعلم أن هيبة الأمير فى أن يكون عادلا ، أما إذا عمل على أن يكون مصدر خوف دائم، فإن الناس يعتقدون أنه ظالم »

---

(١) المرجع المتقدم .

● **الوزير « رخ مي رع » يتحدث عن وصايا الفرعون له :**

قال الوزير ان جلالة الفرعون خاطبني قائلا : «تأمل ، أرسلتني عيناى إلى قلبي لأنني أعرف أن القضايا التي يفصل فيها عديدة، ولتعمل على حسب ما أقول ، فعندئذ تأوى العدالة إلى مثواها » ثم أغلظ في تحذيره إياى قائلا : « سلح نفسك ، وكن قويا ، في العمل ولا تكل ، وناهض الشر » .

● **الوزير يتبع تعاليم فرعون في ادارة البلاد بقوله :**

« . . ولقد نفذت ما أمر به جلالته ، واتخذني عصا تعاقب الجوح ... وميزانا للأرضين قاطبة ، وقد قضيت بين الفقير والغني بالقسطاس المستقيم، وسحقت الجشع في ساعته ، وجعلت الخصمين يخرجان من عندى متصالحين، ولم أشوه العدالة من أجل رشوة، وقضيت على عصابات المؤامرات الليلية، وصددت المعتدين ... ، وأبدت المجرمين على الماء واليابسة، ولم أكن عبوسا في وجه من جاءنى متظلما ، ولم أمل إلى جانب واحد في المحاكمة»[١] .

كفاءة النظام الادارى

كان النظام الإدارى — في ذلك العهد — مؤسسا على قواعد متينة ، ولذلك عمّر (نحو **ثلاثة آلاف** سنة) دون أن يطرأ عليه سوى تغييرات طفيفة ، ولقد كانت السلطة كلها مجتمعة في يد ملوك أقوياء لهم القداسة بين أفراد الشعب ، يعاونهم فيها الوزراء وبعض كبار الموظفين كما قدمنا .

وكان المصريون يعنون بالتعليم والتثقيف ، ويقدرون الكاتب بدليل أن المدرسة التي يتخرج منها الكتاب كانت تسمى « برعنخ » أى دار الحياة .[٢]

وكان ذلك من الوسائل المساعدة على نجاح النظام الادارى .

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة**، ج ٤ ص٥٦٦ — ٥٧٠، وول ديورانت: **قصة الحضارة** « الشرق الأدنى » ج ٢ تعريب الاستاذ محمد بدران ص ٩٣ .

(٢) دريوتون ، وفانديه: **مصر** ، تعريب الأستاذ عباس بيومى ص ٤٤ ، و د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٢ ص ٣٤ و د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، ج ٤ طبعه ثانيه ١٩٦٦ ص ١٠١ .

المقاطعات :

كانت الدولة مقسمة إلى مقاطعات (محافظات) منذ أقدم عهود التاريخ وكذلك فى العهد الثينى ، وكانت تمثل دور الخلايا فى إدارة شئون البلاد ، إذ كان المصرى يضع جل اهتمامه فى الزراعة وفيضان النيل ؛ ولذلك تحسنت جداً مشروعات الرى فى وقت قصير .

حاكم المقاطعة :

كان يتولى حكم المقاطعة ابتداء من الأسرة الثانية حاكم يشبه المحافظ الآن يسمى « عدج مر » : يشرف على حفر الترع والقنوات وإقامة الجسور والتفتيش عليها ، والإشراف خاصة على حالة الفيضان والتنبؤ بالرخاء فى حالة ارتفاعه ؛ وتجنب المجاعة اذا كان منخفضا ، مع العمل على رخاء الشعب ورفاهيته ، وفرض الضرائب والإشراف كذلك على جبايتها ، وتنظيم عملية الإحصاء كل سنتين ، بما يشير إلى حسن الادارة والرغبة فى توطيد العدالة ؛ وكان الحاكم يعتمد فى أداء هذه الأمور الهامة على معاونين تحت إشرافه ، وهم النواة الأولى الذين اختصوا بما يقارب وظيفة رجال الشرطة ، وكانوا يقومون بفض المنازعات والمحافظة على الأمن والمعاونة فى صيانة الترع والقنوات والجسور ومنع تعرض المزارعين لبعضهم البعض [1]

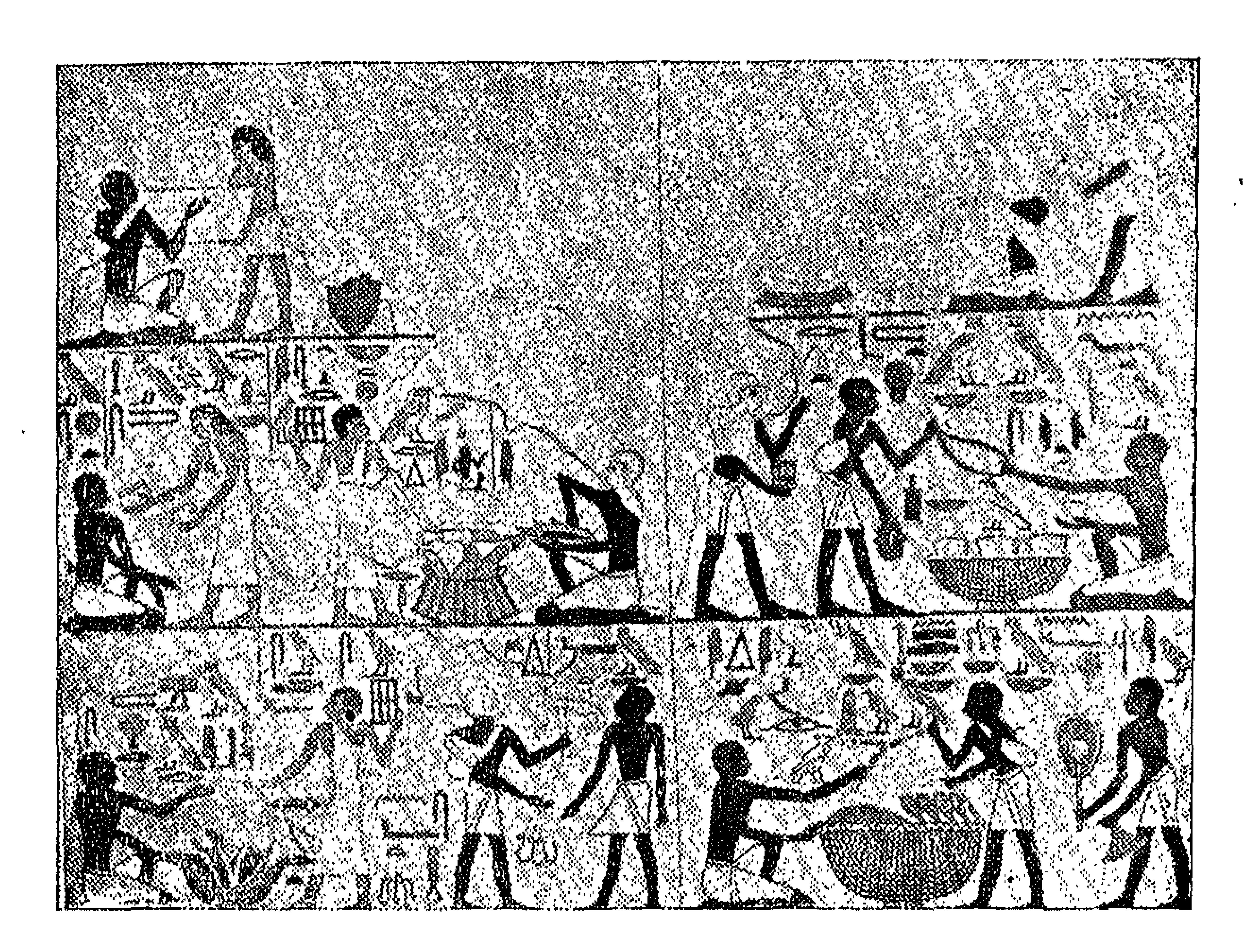
السوق والبندر : (شكل ١٠)

كانت لكل مقاطعة عاصمة من بين القرى التى تتكون منها تسمى البندر ، وكانت السوق تقام فيها ، ويتولى القائمون بما يقارب أعمال رجال الشرطة حراستها بما فيها من متاجر[2] .

---

(١) د. نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الادنى القديم** جا ص٢٣٠ و٢٣١ وج طبعة ثانية ٩٦٦ ٤ ص٩٤ — ٩٨ هامش ص٤٥. ود . سليم حسن: **مصر القديمة** جـ ٢ ص٣٥ و٣٦ ودريوتون، وفانديه : **مصر** ، تعريب الأستاذ عباس بيومى ص ١٦٥ .

(٢) دريوتون ، وفاندية : **مصر**، تعريب الأستاد عباس بيومى ص٤٤.



(شكل ١٠) منظر لسوق فى عهد الدولة القديمة

المحاكم : (شكل ١١)

كانت هناك محاكم فى جميع المدن لمختلف درجات التقاضى ، وتبدأ من مجالس الحكم المحلى فى كل مقاطعة وتنتهى بالمحكمة العليا فى (منف أو طيبة أو عين شمس) مما يشير إلى وجود قانون مكتوب وإجراءات قانونية مرسومة ، وكانت المحاكم الإقليمية لمباشرة الشئون المحلية ومعالجة ما يطرأ مما لا يستلزم الأمر رفعه إلى المحكمة العليا ، وكانت محكمة المقاطعة تتكون من بعض الأشراف يحكمون فيما يتصل بالعقار والأراضى ، وكانت الإجراءات مبينة فى وثائق مكتوبة لها أصول فيما يتصل بالسجلات .



(شكل ١١) قاعة المحكمة فى الأسرة ١٨ ، وأمام الوزير « رخ مى رع »
٤٠ ملف قوانين ، وبين صفين من عظماء الوجه القبلى يحضر الحاجب المتهمين

وكان إذا حكم بالإعدام على أحد الكبراء يقتل المحكوم عليه نفسه ، لتجنب عار تنفيذ الإعدام فيه علنا ، كما هو الحال فى طبقة « الشموراى » باليابان (١) .

---

(١) د . سليم حسن . **مصر القديمة** جـ ٢ ص ٤١ — ٥١ و جـ ٧ ص ٧٦٦ ، وول ديورانت : **قصة الحضارة** « بالشرق الأدنى » تعريب الأستاذ محمد بدران جـ ٢ ص ٩٢ . ود . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** جـ ٢ طبعة ثالثة عام ١٩٦٢ ص ١٧٧ وجـ ٤ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص ٩٤ و ١٠٥ .

الفصل الثانى

التقسيم النوعى للشرطة

كانت مصر القديمة تستخدم رجال الشرطة لحفظ الأمن ، وتنفيذ القانون ، وسنوضح التقسيم النوعى لرجال الشرطة فيما يلى :

رئيس الشرطة

كان رئيس الشرطة ينتخب من المعروفين بالذكاء وسعة الأفق والخلق الحسن ومن الضباط الحاملين لرتبة « حامل العلم » فى حرس الملك . وكانت وظيفته فى مرتبة « فارس » .

وكان أغلب جنود الشرطة الذين تحت رياسته من المصريين والنوبيين ، ويقول الدكتور سليم حسن: «..ويشاهد رؤساء الشرطة ممثلين على جدران مقابرهم وهم يتسلمون التقارير التى كان يأتى بها رجالهم ، كما يرى رئيس الشرطة واقفاً مع آخرين وهو يفتش الحى ، ويميز مكانته عن الآخرين بحمله سهماً عظيماً بدلا من العصا التى تحمل عادة ، وكما نراه يراقب نقط الشرطة للحراسة ، ويقبض على المجرم ويقدمه للمحاكمة ، وكذلك كان يشترك فى تجنيد المقترعين .[1]

ولأهمية هذه الوظيفة ، كانوا يسندونها إلى شخصيات كبيرة محل ثقة « فرعون » كما جاء فيما يلى :

١ — فى لوحة (الاربعمائة سنة) أن الملك « سيتى الأول » كان ضمن ماحاز من الألقاب قبـــل توليه العرش ، رئيس « المازوى » (شرطة الصحراء) .[2]

---

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ؛ جـ ٥ ، ص ٥٣٨ ، و ٥٤٠ .

(٢) المرجع المتقدم : جـ ٦ ص ٢٨ .

٢ — وفى العصر الثينى ،وعصر الدولة القديمة كانت الشرطة جزءاً من النظام الادارى ، ففى الأسرة الثالثة كان العظيم « متن » حارس إقليم وحاكم مقاطعة الحدود الغربية هو رئيس الشرطة أيضاً .[١]

٣ — وكان « تورى » أول نائب ملك فى النوبة فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، ومن بين الوظائف التى شغلها من قبل ، وظيفة « رئيس الشرطة »[٢].

٤ — ولقد شغل بعض كبار الكهنة وظيفة رئيس الشرطة فى عهد الملك « سيتى الأول » وكذلك فى عهد الملك « رمسيس الثانى .[٣]

رؤساء الشرطة المشهورين :

من أهم رؤساء الشرطة المسجل لهم تاريخ معروف ، والذين أدوا ما نيط بهم من الأعمال بحذق ومهارة :

(ددى — تورى — نب أمون — محو)

وفيما يلى نبذة عن كل منهم :

(١) ددى : (شكل ١٢)

رقى من رتبة حامل العلم فى حرس الملك الخاص إلى رئيس شرطة « المازوى »[٤]

وشرطة طيبة الغربية فى عهد الملك « تحتمس الثالث » والملك « أمنمحمت الثانى »

وقد نقش على قبره : (المحبوب من رب الأرضين ، والمشرف على الصحراء الواقعة غربى طيبة) .[٥]

---

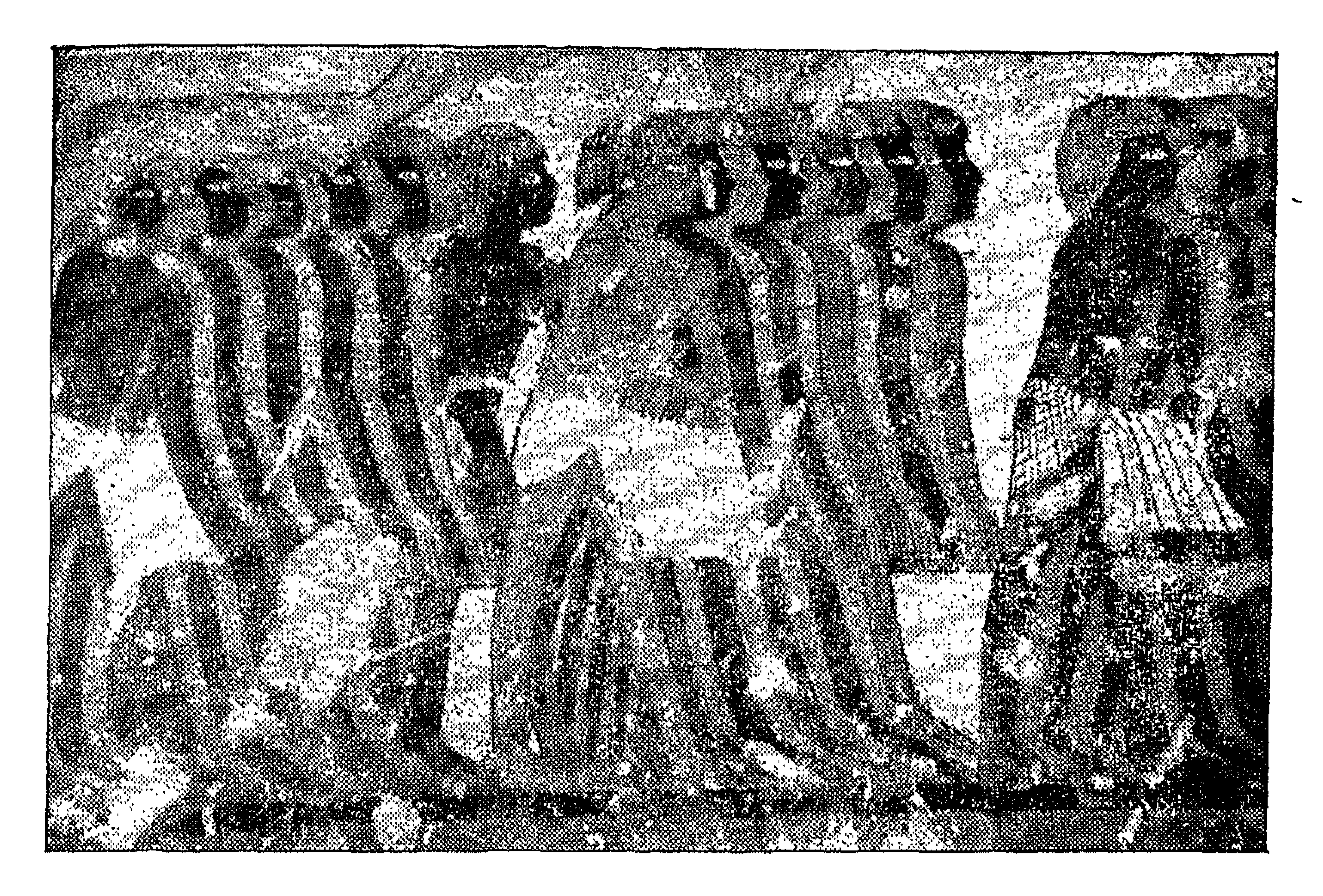
(١) د. سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٢ ص ٣٩ — ٤١ .

(٢) دريوتون وفاندية : **مصر** ، تعريب الاستاذ عباس بيومى ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

(٣) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٦ ص ١٥٢ .

(٤) نفس المرجع : ج / ٤ ص٥٥٣ ، ج / ٥ ص ٥٣٨ .

(٥) المرجع المتقدم .



(شكل ١٢) بمقبرة « ددى » رئيس الشرطة
منظر يمثل جنوداً من المصريين والسودانيين فى هذه المقبرة

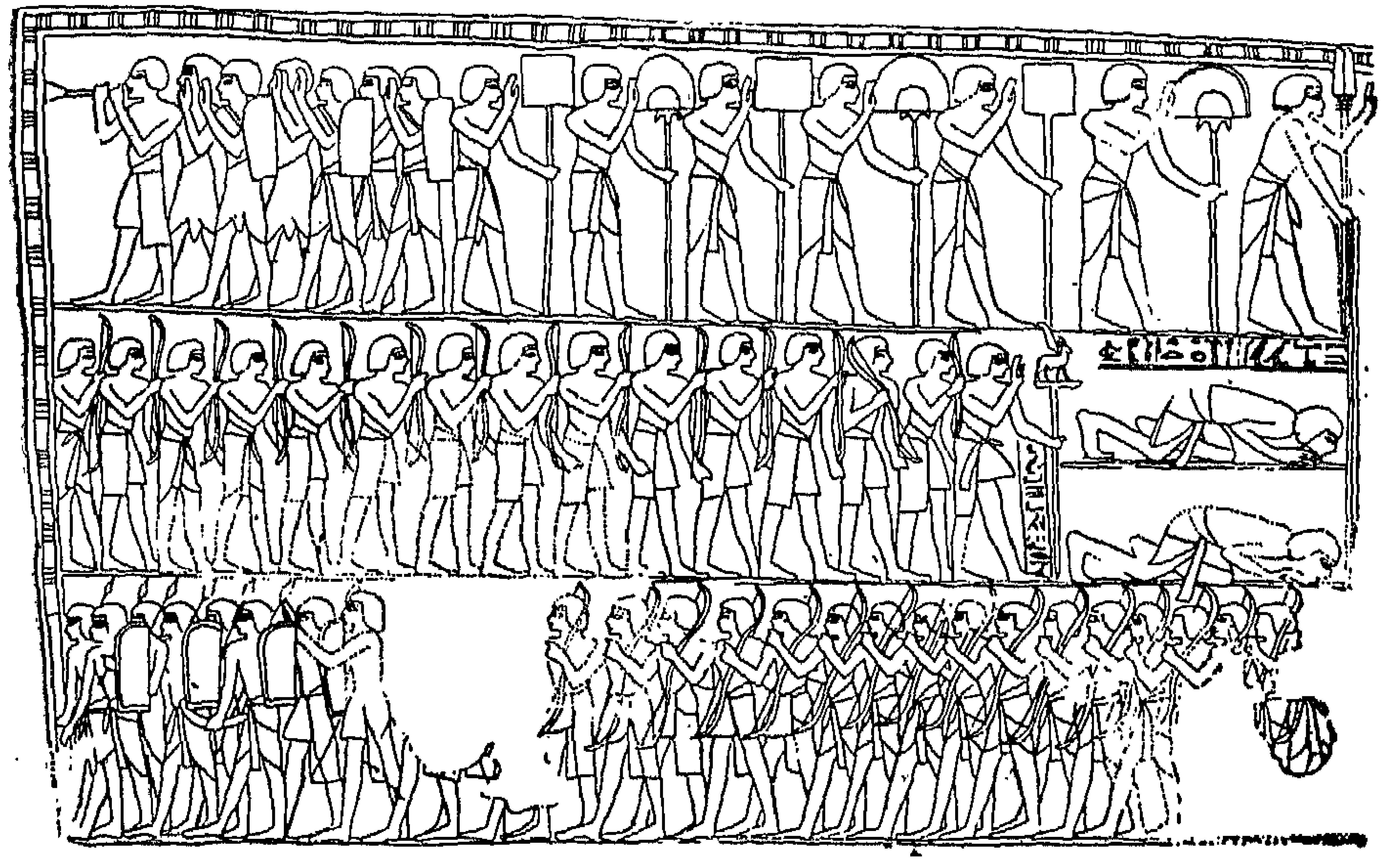
(٢) ثورى :

كان رئيسا للشرطه ، ثم رقى الى نائب ملك فى النوبة فى أوائل عصر الأسرة الثامنة عشرة ، وخلفه فى رئاسة الشرطة « نب أمون » .

(٣) نب امون :(شكل ١٣)

كان من كبار الموظفين فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، وكشفت مقبرته أنه كان رئيساً — لشرطة طيبة الغربية فى عصر الملك « تحتمس الرابع » الذى أمر بترقيته من حامل علم السفينة الملكية « مرى أمون » إلى رئيس الرماة ، ثم رئيساً لشرطة طيبة الغربية ، بأمر جاء فيه ماملخصه : « انه قد أدى خدمته باخلاص ، وكان ينجز ما آمر به ، ولم يقدم ضده تقرير سيىء ، من أنه قد وشى

به ، لذلك أمرت بأن يرقى إلى وظيفة «رئيس شرطة طيبة الغربية» ، فى مكان . . ،



(شكل ١٣) نب أمون يتسلم وظيفة (رئيس الشرطة) أمام جنوده واستعراضهم

وفى مكان عظيم القوة ، مما يدل على عظيم قدره وعلو شأنه .

فيصبح له الحق فى . . . . ، وفى كل أملاكه دون تدخل أى مراقب ملكى فى أمرها ».

وعثر على نص بذلك فى قبره الواقع بجبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٩٠ يرى فيه أنه يقدم تقاريره الرسمية إلى الملك « تحتمس الرابع »، ويشاهد فى منظر آخر بقبره يتسلم رمز وظيفته والوثيقة بتعيينه ، وقد تقبل « نب أمون » (علم الغزال) باحترام وخلفه رجال الشرطة الذين سيكونون تحت قيادته ، وكذا فرقة من الجنود يشتركون فى الحفل ، وآخرون من كتائب مختلفة يحملون الاعلام ويحيون الرئيس .

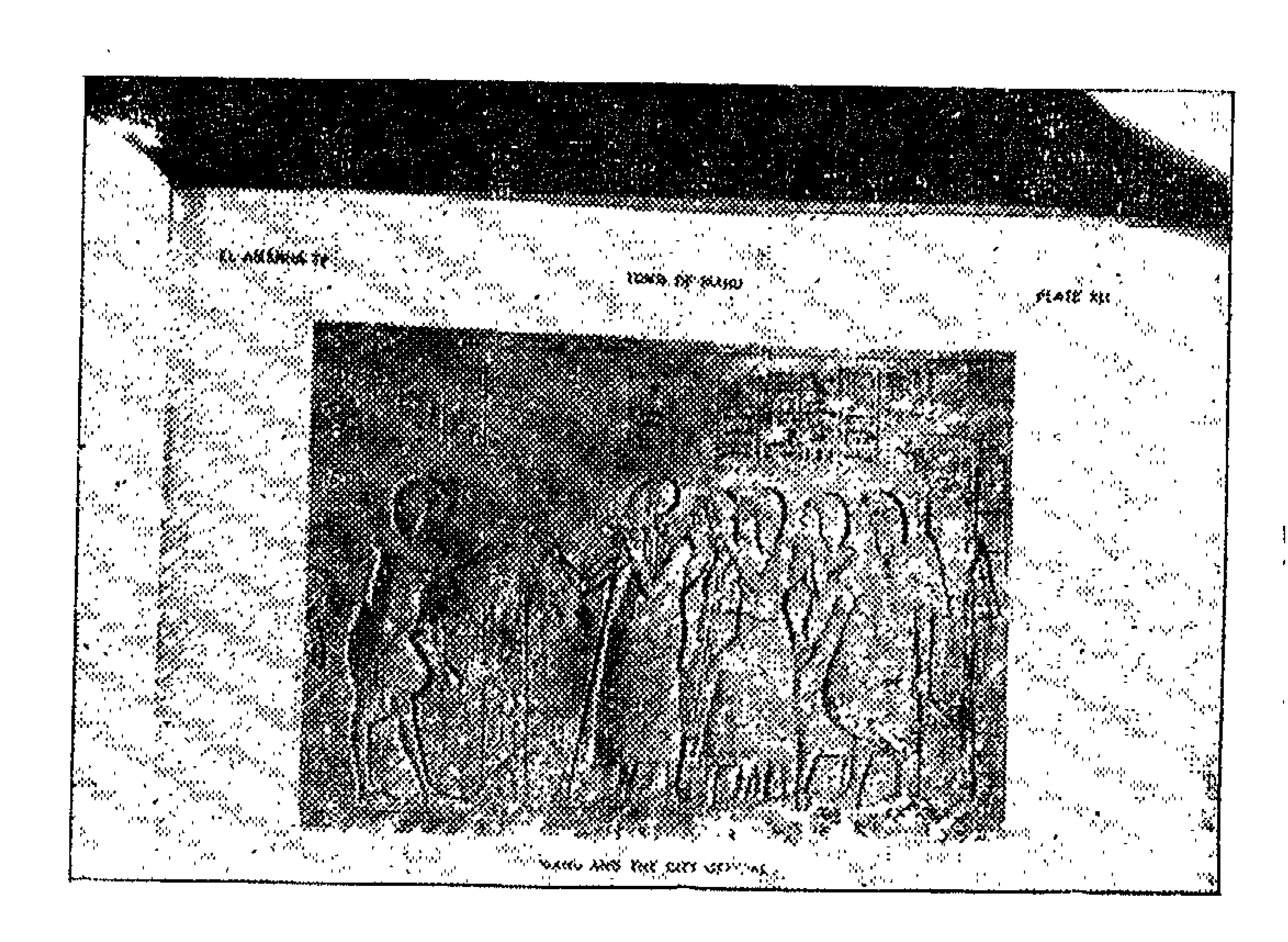
ويقول د . سليم حسن : « لقد رسم فى هذا المنظر حادث صغير فى ذاته غير أنه من الأهمية بمكان لندرته فى مثل هذه المناظر ، وذلك أنه صور موظفاً جالساً تحت شجرة وبيده غصن يرمز به للعيد أو الفرح ، وقد أتى إليه أخوه (تورى) أى أخو (نب أمون) رئيس الشرطة فى الحى الواقع غربى (طيبة) ومعه ضابطان ، فبلغ أحدهما عن الحالة قائلا : إن الحى الجنوبى والحى الشمالى

يسود فيهما النظام، ثم يضيف إلى ذلك قول رجاله، ويحتمل إنهم رجال (الدورية) للحيين : (إن المكان فى أمان والنظام فيه جيد جداً) وقد يكون هو التقرير الذى كان يقدم كل مساء بانتظام من رجال شرطة (طيبة)».

ولا ريب فى أن مثل هذه اللمحات الخاطفة التى تطلع علينا من وقت لآخر من ثنايا النقوش ، تضع أمامنا صورة حية عن نظام الشرطة الدقيق فى الأزمان السحيقة[1] .

٤ — محو : (شكلا ١٤ ، ١٥)

كان رئيساً لشرطة « مدينة أخناتون » وسنوضح فى (الباب الثالث) كيفية قيامه بإنقاذ حياة الملك « أخناتون » من المؤامرة التى دبرت لقتله ، وقد وجدت فى قبره (بتل العمارنة) النقوش التى تصف هذا الحادث[2] .

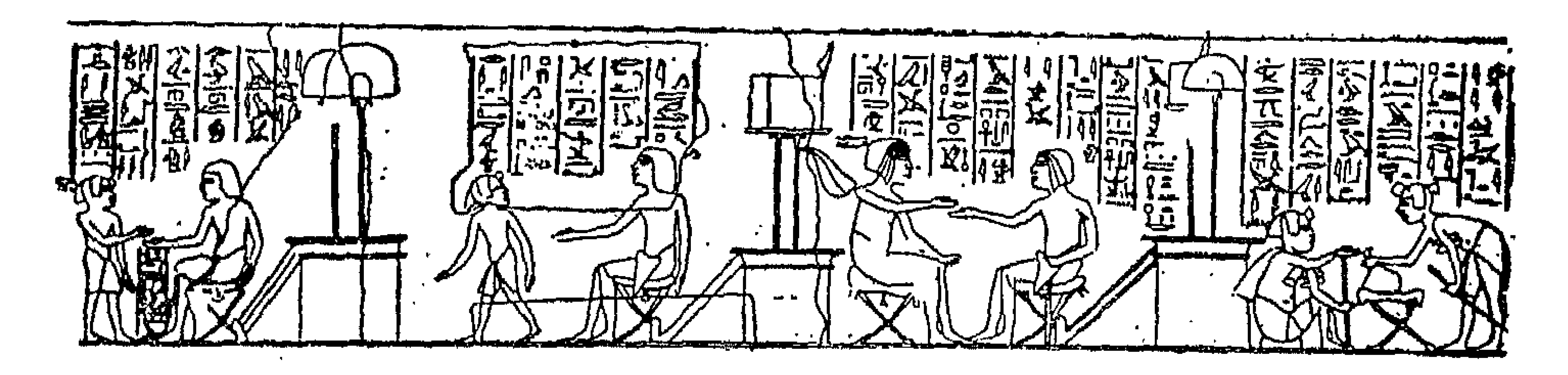


(شكل ١٤) « محو » رئيس الشرطة وأمامه بعض الموظفين المسئولين من مقبرته بتل العمارنة — عصر الملك « أخناتون »

---

(١) د. سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٥ ص ٤٠ ، ٤٣ و ٥٣٧ و ٥٣٨ .

(٢) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم**، ج ٢ طبعة ثالثة عام ١٩٦٢ ص ٢١٨ و د. سليم حسن: **مصر القديمة**، ج ٥ ص ٤٢٠ و ٤٢١ .



(شكل ١٥) نقط الحراسة عند قصر الملك أخناتون — بتل العمارنة

١ — شرطة المعابد والمقابر

ا — حراسة المعابد :

كانوا يعنون بحفظ النظام داخل المعابد ، وصيانة مبانيها وممتلكاتها فى خارجها ولم تقتصر حراستها على رجال الشرطة فحسب ، بل شاركهم فيها بعض الكهنة ، وفى عهد الملك « سنوسرت الثانى » بلغ عدد الحراس لأبواب معبد (أنوبيس) الكائن فى « اللاهون » بالقرب من الفيوم ستة حراس .

ولقد أولى الملوك هذه الحراسة عناية تامة ، كما يظهر فى بعض النقوش ، التى عثر عليها بلوحة فى إدفو ، إذ جاء فى نصها « ان الملك نصبنى كاهناً ثانياً للقيام على مائدة القربان ، وحارساً لباب المعبد ، وكاهنا مطهراً »(١) .

ب — حراسة المقابر :

وكانوا يعينون حراسا للمقابر لما فيها من النفائس والذخائر ، وقد تمكن رجال الشرطة من ضبط ماسرقه اللصوص من مقبرة « توت عنخ أمون » ،ولما حاولوا سرقتها مرة أخرى فاجأهم رجال الشرطة فلاذوا بالفرار(٢) .

ولكن بالرغم من ذلك ،سرق اللصوص الكثير مما فى مقابر أخرى،فى أوقات سادت فيها الفوضى لضعف الدولة ،وفساد الحكم ، وغلاء المعيشة لدرجة أدت إلى انتشار الفقر والجوع خصوصاً (فى الأسرة العشرين) عام ١١٠٠ ق . م . وسنوضح ذلك فى (الفصل الثالث من هذا الباب) .

---

(١) د . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** جـ ٢ ص ١٨٣ .

(٢) د. نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الادنى القديم** جـ٢ عام ١٩٥٨ ص ٢٥١ ، والأستاذ كمال الملاخ : **مجلة الأمن العام** ، عدد ٨ عام ١٩٦٠ عن نظام الشرطة عند الفراعنة صفحة ٣٩ .

٢ — شرطة العمال

نظراً لاستقرار الأمن فى الكثير من العصور الفرعونية، تمكن المهرة فى الفنون الجميلة ، من الابداع وبخاصة فى الرسم والنحت وإقامة التماثيل وبناء المعابد وتشييد الأهرامات ، يشهد بذلك ماخلفوه من آثار خالدة ، معمارية وأدبية وعلمية ، تعتبر مرجعا هاما للتاريخ الخالد لمصر القديمة .

ولقد استخدموا آلاف العمال والفنيين فى قطع الأحجار ونقلها إلى مواقع تشييد الأهرامات ، حتى بلغ العاملون فى بناء الهرم الأكبر « للملك خوفو » بالجيزة مائة ألف عامل لمدة عشرين سنة ، وسنوضح ذلك فى الباب الثالث[1] وكان من الطبيعى لفض المنازعات التى تقع بين العمال ، أن يسند إلى النواة الأولى من رجال الشرطة القيام بذلك، فضلا عن قيامهم بفض منازعات المزارعين وغيرهم .

وكان يصحب الحملة المكونة من ثلاثة آلاف عامل كثير من القائمين بأعمال رجال الشرطة، كما هو الحال فى بعثات القوافل إلى المناجم والمحاجر ، وفى الإنشاءات الكبيرة كالمعابد والأهرامات ،وكانوا يستعينون بقوات من جنود الجيش فى الأمور الخطيرة .[2]

ونظراً لتعرض مصر — خلال عصورها التاريخية — إلى هجمات أشرار البدو الطامعين فى خيراتها ، والمهددين لأمن القوافل التجارية ، والمنقبين فى المناجم والمحاجر ، فإن ملوك مصر على اختلافهم اهتموا بصون الأمن ، وواجهوا هذا الخطر فى سنى حكمهم وعملوا على تلافيه بهمة وحزم.[3]

٣ — شرطة

حراسة القوافل النهرية

كان النيل الوسيلة الرئيسية للمواصلات لانتقال الأفراد لمختلف الشئون الإدارية والتجارية ، وذلك باستخدام السفن فى مسافة تبلغ ١٠٧٣ ك م

---

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ١٠٨ — ١١٥ و ١٢١و١٢٢ .

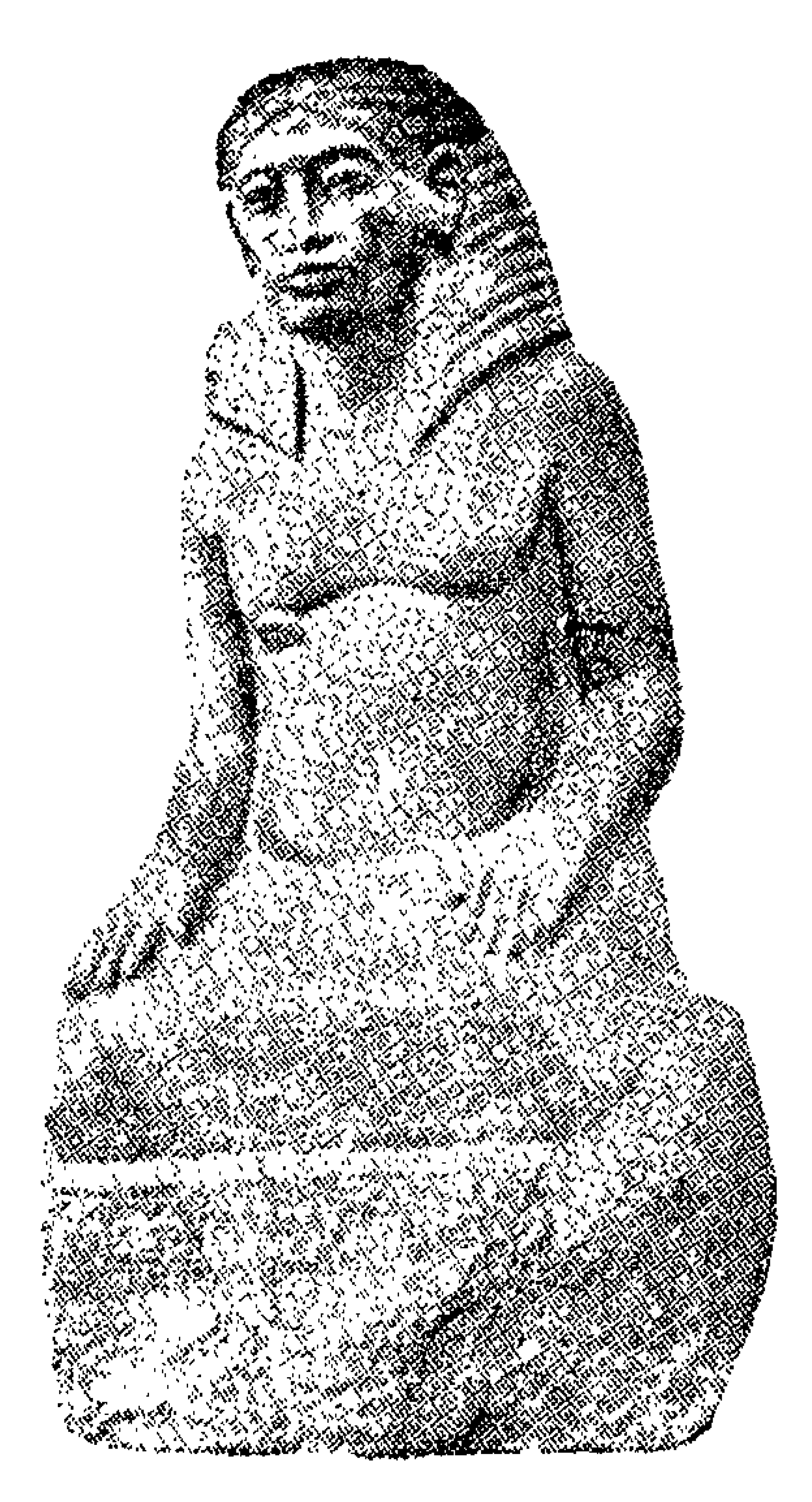
(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج٨ ص ٤٨ .

(٣) نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الأدنى القديم** ج١ ، طبعة ثانية عام١٩٥٧ص١٢٦، وبرستد : **انتصار الحضارة** تعريب د. أحمد فخرى ص ٨٣ و٨٤ .

وتمكين الحكومة المركزية من بسط سلطانها فى أرجاء البلاد ، فاستلزم ذلك توجيه العناية التامة نحو توفير الأمن فى هذا الطريق الطويل الهام .

ومن قول رخمى رع وزير الملك تحتمس الثالث : «.. وأبدت المجرمين على الماء واليابسة » وكانت هناك شرطة نهرية لحراسة السفن وضمان سلامتها وركابها من اللصوص(١) خصوصاً فى عصر الملك «حور محب»(٢).

وفى عهد الملك « أمنحتب الثالث » كانت مصر محوراً للتجارة فى الشرق الأدنى وبحر إيجه ، ورابطة عقد قوافل « بابل » و « فينيقيا » و « افريقيا الاستوائية » لذلك فقد كان من اختصاصات « أمنحتبه بن جابو » وهو من أكفأ موظفى ذلك العصر — الإشراف على الجمارك - ويذكر فى نقوشه (شكل١٦): « لقد وضعت جنودا على رؤوس الطرق، لكى أوقف الأجانب فى أماكنهم ،



(شكل ١٦) « أمنحتبه بن جابو » ــ الأسرة ١٨ بمتحف القاهرة

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** : ج ٤ ص ٥٦٧ ، و د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج٤ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص١٤٣ .

(٢) الأستاذ كمال الملاخ : **مجلة الأمن العام** ، عدد ٨ عام ١٩٦٠ عن نظام الشرطة عند الفراعنة ص ٣٩ .

وفعلت مثل ذلك عند رؤوس الأنهار التى أغلقتها جنودى فى وجوه الجميع ، ماعدا البحرية الملكية »[١] .

واتد عنى «أمنحتبه» أيضاً بتعيين حراس من خفر السواحل على شواطىء النيل ، لمنع القرصنة التى كانت منتشرة فى حوض البحر المتوسط ، وتهدد شواطىء الدلتا »[٢] .

ومن الإصلاحات العديدة التى قام بها الملك « حور محب » وجاءت برسومه الإصلاحى الشهير :

«إنه هدد من يسرق سفناً تحمل الضرائب إلى خزانة الدولة ، أو تحمل أشياء لزوجته أو المعابد ، بعقوبات صارمة ، منها جدع الأنف والنفى »[٣] .

وكانت تستخدم دوريات تفتيشية فى النهر ، للوقوف على وجهة السفن ، ومعرفة حمولة كل منها ، وتوفير الأمن للقوافل فى النيل ، يشير إلى ذلك ماجاء برسوم الملك « سيتى الأول » لصيانة حقوق المشرفين على خدمة الإله أوزير[٤] .

وفى (طيبة الغربية) بمقبرة « ون أمون » يشاهد منظر لامرأة أمام حانوت ، وقع بجوارها حادث له صلة بإدارة الميناء ، ويرى بعض البحارة وقدساقهم رئيسهم أمام أحد ضباط الميناء ، وكان يدون أسماءهم . »[٥]

ومما يدل على ما كانوا يوجهونه من اهتمام بحفظ الأمن للقوافل فى النيل ، أن « سمنخ » قائد جنود الصحراء فى عصر « منتوحتب الرابع » ، كان يلقب كذلك بقائد الأسطول النهرى[٦] .

٤ — الشرطة المحلية

كانت الشرطة المحلية تقوم بحفظ الأمن فى أمهات المدن الكبرى كطيبة ، وقفط ، وتل العمارنة ، وكذلك فى الصحراء .

(١) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، ج٢ ص ١٨٥و١٨٦ .

(2) Garadiner (Sir Alan) Egypt of the Pharoes Vol XXII. p.166.

(٣) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ٢ ص٢٨٩.

(٤) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٦ ص٨٨ .

(٥) نفس المرجع ج ٥ ص١٤٣ .

(٦) المرجع المتقدم : ج ٣ ص ١٤٧ .

وكانت تؤدى دوريات منظمة للمرور على الطرق وتفتيشها ، وتتعقب المجرمين خصوصاً المحكوم عليهم الهاربين فى الصحارى أو فى غيرها .

طيبة :

كانت العاصمة بقسميها الشرقى والغربى ، يحكم كلا منهما عمدة بلقب أمير تحت إشراف الوزير ، وبها قسمان : وكان أمير القسم الشرقى حاكم الاقصر الحالية، أما الأمير حاكم القسم الغربى فكان يلقب برئيس شرطة الجبانة المقدسة، ويتبعه قوات فرق يسمون « رؤساء شرطة الجبانة » وسبق أن شغل هذا المنصب « ددى » و « تورى » ، و « نب أمون »[1] .

تل العمارنة:

أنشأ هذه المدينة الملك « أخناتون » وكان « محو » رئيس الشرطة فيها ، وقد شيدت حول هذه المدينة سلسلة بيوت صغيرة يقيم بكل منها حارس، وكانت اليقظة تامة ، بدليل أن « محو » تمكن من إحباط المؤامرة التى كانت قد دبرت لمحاولة اغتيال الملك « أخناتون » وضبط المتآمرين وقدمهم إلى المحاكمة فوراً ،وقد مثلت فى مقبرته بتل العمارنة تفاصيل هذا الحادث،وسنوضحها(بالباب الثالث)[2] .

قفط :

كانت ذات أهمية كبرى ، خصوصاً فى عصر (الأسرة الثامنة عشر) وكان رئيس شرطتها يؤدى عمله متعاونا مع مدير مناجم الذهب ، وقد وضعت نقطة شرطة قوية على الطريق إلى وادى الحمامات لتأمين نقل الذهب .

ولقد كشف بمقبرة « منخبررع سنب » رسوم توضح تسليم الذهب إلى رئيس الكهنة ، وكان ذلك فى عصر الملك « امنحتب الثانى »[3] .

---

(١) د. نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الأدنى القديم** جـ٤ طبعة ثانية عام١٩٦٦ص١٤٢ــ ولرمان ورانكه : **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** ، تعريب د. عبد المنعم أبو بكر ، والأستاذ محرم كمال ص ١٣٠ ــ ود. سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٥ ص ٥٣٨ .

(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٥ ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٥٣٨ .

(٣) نفس المرجع : جـ ٥ ص ٥٣٨ / ٥٣٩ .

الشرطة فى الصحراء والحدود :

كان يراعى فى اختيار رجال الشرطة فى الصحراء والحدود أن يكونوا ذوى خبرة بطرقها ومسالكها ، لإمكان النجاح فى حراستها خصوصاً فى المناجم والمحاجر ، ولتعقب اللصوص والجناة الفارين إلى الصحراء من وجه العدالة[1] .

الحرس الملكى والشرطة الخاصة (أشكال ١٧ و١٨ و١٩)

كانوا يعينون حراساً للملك لضمان سلامته وولاء الشعب له ، وكانت الحراسة موكولة إلى فئتين : —

أولا — الحرس الملكى :

فى العصر الثينى : كانت حراسة الملك داخل القصر وخارجه موكولة إلى من يوثق بهم من رجال الجيش المختارين .

وفى الدولة القديمة : كان الحرس الملكى فى القصر تحت إمرة «قائد فرق المجندين»[2]

وفى الدولة الوسطى : يحكى «خوسبك» عن اغتباطه بصدور أمر الملك « خع كاورع» بتعيينه رئيسا لقوة حرسه .[3]



(شكل ١٧) جنود من حرس الملك « أخناتون »

وفى الدولة الحديثة : كان منوطاً بالوزير الإشراف على تكوين حرس

---

(١) المرجع المتقدم : جـ ٥ ص ٥٣٨ / ٥٣٩ .

(٢) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** جـ ٤ طبعة ثانية عام ٩٦٦ ص ١٤٢ / ١٤٣ ود . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٢ ص ٤٦٣ .

(٣) نفس المرجع : جـ ٣ ص ٢٨٩ .

الملك[1] وقد عهد الملك « تحتمس الثالث » إلى « أمنحات » نيابة الجيش والقيام بحراسته الخاصة لأنه كان رفيقاً لوالده[2].



(شكل ١٨) ضباط من حاشية الملك وحرسه « طيبة »

ثانيا ـ الشرطة الخاصة :

كان من أعمال رجال الشرطة الخاصة ، فضلا عن قيامهم بحراسة الملك ، تقديم



(شكل ١٩) اثنان من الحرس الملكى « لرمسيس الثانى »

(١) دريوتون ، وفانديه : **مصر** ، تعريب الأستاذ عباس بيومى صـ ٥١٧ .

(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، جـ ٥ صـ ٥٣٨ .

تقارير عن مدى الولاء له ، وخاصة بالنسبة لكبار الموظفين ، يتبين ذلك مما قدمناه عن ترقية « نب أمون » إلى وظيفة رئيس للشرطة فى عصر الملك « تحتمس الرابع »[1] .

وزادت العناية بمهمة « الشرطة الخاصة » أثر تعرض بعض الملوك لمؤامرات محاولة الاغتيال ، مما سنفصله بنهاية (الفصل الرابع من الباب الثانى وبالباب الثالث) ، وكذلك فى عهد الدولة الوسطى، للجهود التى بذلها بعض ملوكها لكسر شوكة حكام الأقاليم والقضاء على نفوذهم، وخاصة فى عهد الملك « سنوسرت الثالث »[2] . وسنوضح ذلك فى (الباب الثالث) .

---

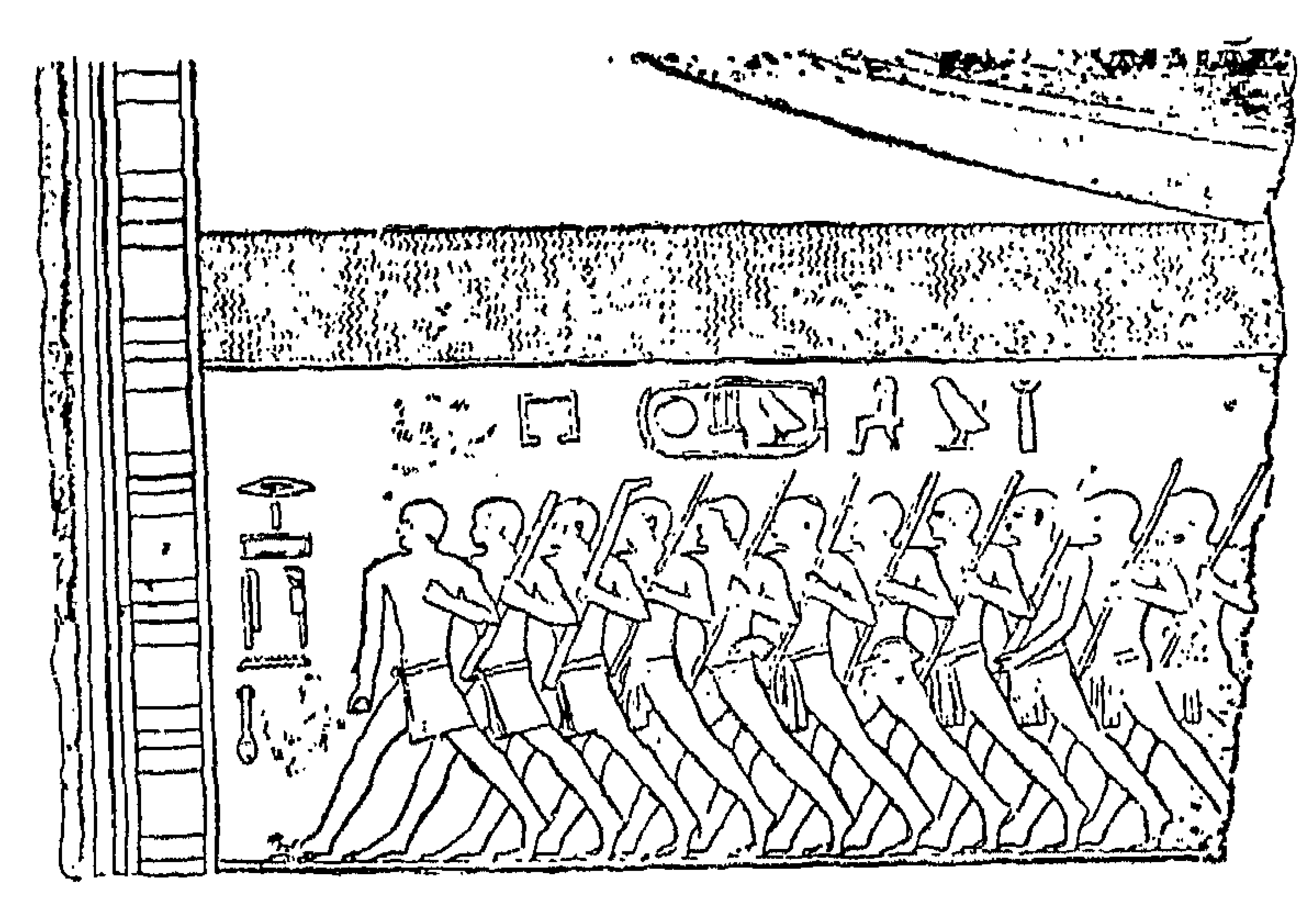
(١) المرجع المتقدم : ص ٤٠ — ٤٢ .

(٢) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ٩٦٠ ص ٢٢٠ ، و د. نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ١ سنة ١٩٦٦ ص٣٤٢ — ٣٤٧ و د. أحمد بدوى: **فى موكب الشمس** ج ٢ ص ١٣٧ — ١٤١ و د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج٣ ص ٢٧٨ — ٢٩٨ .

شرطة الخدمات العامة (شكلا ٢٠ ، ٢١)

فضلا عما أشرنا إليه سابقاً عن أعمال الشرطة ، فإن اختصاصهم يمتد أيضاً إلى أنواع أخرى من الخدمات المنوعة فى مختلف الظروف والمناسبات نوجزها فيما يلى : —

تطور الجنيد



(شكل ٢٠) جنود من حملة العصى فى الدولة القديمة

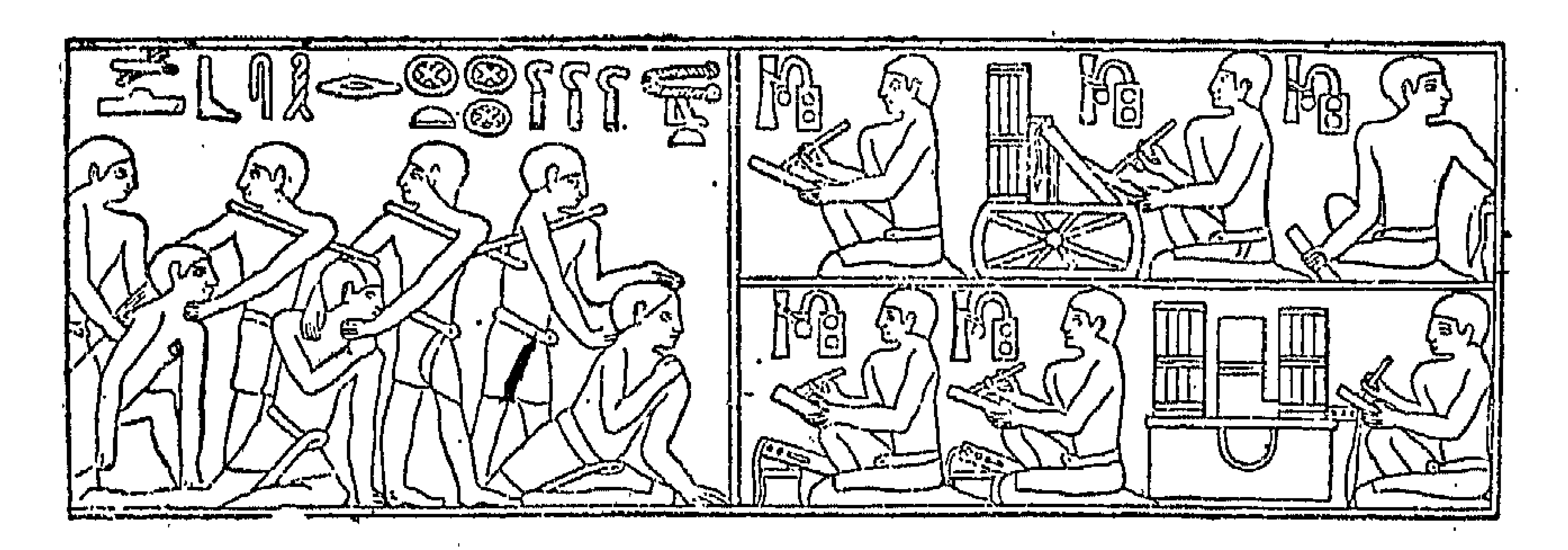


(شكل ٢١) جنود من حملة البلط والأقواس بطيبة

١ — المعاونة فى جمع الضرائب والمجندين : (شكل ٢٢)

كانت الشرطة تعاون رؤساء المراكز (حقاحت) والمستشارين الريفيين ومأمورى

ضرائب المقاطعات فى تحصيل الضرائب المفروضة ، وكذلك جبايتها على البضائع الخارجية فى مناطق معينة عند الحدود ، أو فى نهاية الطرق الصحراوية ، وكذلك جمع المجندين وفرزهم[1] .



(شكل ٢٢) جمع الضرائب بواسطة موظفى المالية : يشاهد فى القسم الأيمن كتاب وضباط ماليون يقيدون الإيراد ، وبالقسم الأيسر عمال المالية (الصيارفة) يحضرون الأهالى لدفع الضرائب

٢ — مراقبة ضبط المكاييل والأوزان والمخابز :

كان الإشراف على ذلك موكولا إلى رجال الشرطة لمنع الغش فيه ، ومنذ نحو ٢٥٠٠ سنة ق . م ضبط أحد رجال الشرطة خبازاً خالف التعليمات المعمول بها وقت ذاك ، لبيعه خبزاً أقل من الوزن المقرر ، فنال عقابه فى الحال ، وكانت هذه الوظيفة تقارب فى مهامها وظيفة مفتش التموين فى مصر الآن[2] .

٣ — التسليح والتموين للشرطة :

منذ العهد الأهناسى كان جنود الشرطة مسلحين بمختلف الأسلحة المعروفة إذ ذاك كالدروع والحراب والنشاب والسهام .[3]

وفى مقبرة « حويا » بتل العمارنة ، نرى الملك « أخناتون » والملكة « نفرتيتى »

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** جـ ٤ طبعة ثانية عام ١٩٦٦ ص ١٤٢ ، ود . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٤ ص ٥٩٢ ٥٩٤ .

2 — Jean Yoyotte A Dictionary of Egyptian Civilization —21 London 1962. p.219

(٣) د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٥ صـ ٥٤٠ .

فى محفة فاخرة يحملها رجال الحاشية ، ووراءهم ثلة من الجنود من قبائل البدو مسلحين بالعصى المعقوفة التى اعتادوا حملها[١].

وفى مقبرة « محو » رئيس شرطة « بتل العمارنة » صورة تدل على المواد الغذائية التى كان يقدمها الأهالى إلى مخازن الشرطة مباشرة لتغذية الجنود ، وهو نظام يماثل النظام المتبع لتموين الجيش إذ ذاك[٢].

٤ — الثكنات :

كان رجال الشرطة على اختلاف رتبهم ودرجاتهم يقيمون فى مقار عملهم، وقد كشف فى وسط مدينة «أخناتون» ثكنات عسكرية كان فيها جنود «المازوى» (الشرطة) واصطبلات الخيل أيضاً[٣].

وتشمل البرديتان ١٠٠٥٣ ، ١٠٠٦٨ المحفوظتان «بالمتحف البريطانى» مجموعة هامة من بيوت « طيبة الغربية» وعددها ١٨٢ بيتا .

٥ ـ العلامات المميزة للشرطة :

كان جنود الشرطة فى « طيبة الغربية » يتميزون بعلم مرسوم عليه غزالة ، وفى « تل العمارنة» بريشة درع مستطيل الشكل مرسوم عليه عدو يضربه فرعون، وكان رئيس الشرطة يتميز بحمل سهم عظيم بدلا من العصا التى كانت تحمل عادة [٤] .

شرطة المناجم والمحاجر

افتخر الملوك الأوائل بأنهم كانوا يرسلون البعثات إلى الصحراء الشرقية وخاصة شبه جزيرة سيناء لاستغلال المناجم والمحاجر ، وقد وطدوا الأمن خصوصاً

---

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** : ج ٢ ص ٣٦٢ .
(٢) المرجع المتقدم : ج ٥ ص ٥٤٠، ٥٤١ .
(٣) نفس المرجع : ج ٥ ص ٢٩٢ .
(٤) نفس المرجع : ج ٥ ص ٥٤٠

فى الدروب والطرق المؤدية إليها، وكانت البعوث تؤدى مهمتها هناك فى طمأنينة وأمن تام ، واستخدموا النوبيين وخاصة قبائل «المازوى» لصيانة الأمن بالصحراء وحراسة الحدود وطرق المناجم والمحاجر ، يعاونهم قصاصو الأثر من السودانيين المعروفين باسم الميجاى «الشرطة»(١) .

وقد بدأ التعدين يأخذ أهمية خاصة فى ذلك العصر ، وكانت هذه المناجم أقدم مناجم النحاس فى العالم ، وما زالت الأنفاق التى قطعوها فى باطن الصخر باقية حتى اليوم ؛ وقد خلف خلفاء «مينا» من الملوك على مقربة من هذه المناجم نقوشا ورسوما موضحة بالكتابة ، وناطقة بأنها أقدم الآثار التاريخية التى ظهرت حتى الآن ، وهى تسجل ذهابهم إلى هناك ، وبذلهم أقصى الجهود المثمرة لصيانة الأمن فى تلك الجهات النائية .

ولقد بدأت الثروات تزداد نتيجة لاستغلال هذه المناجم والمحاجر على أوسع نطاق ، فأصبحت صناعة تعدين النحاس حرفة هامة تدر ثروات طائلة ، مما استلزم استخدام من قاموا بأعمال الشرطة فى ذلك الماضى البعيد لتوطيد الأمن لقوافل البعثات التى كانوا يرسلونها إليها ، وقد استخدموا فى ذلك حراسا من الرماة على الحدود الصحراوية تصحبهم كلاب مدربة للحراسة(٢) ولقد عثر على اسم الملك — « جيت » منقوشا على صخور أحد الدروب الموصلة بين إدفو والبحر الأحمر ، مما يؤكد أن العناية التامة كانت موجهة من أولئك الملوك إلى صيانة الأمن بدروب الصحراء ، لتأمين التجارة ، واستغلال المناجم والتوسع التجارى(٣) .

---

(١) جون ولسون : **الحضارة المصرية** تعريب د . أحمد فخرى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٣) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٧٩ طبعه ثانية عام ١٩٦٠ .

الفصل الثالث

دور الشرطة في خدمة الأمن

أ — العمل على منع وقوع الجرائم

كان من أهم واجبات الحكومة فى العصر الفرعونى ، توفير الأمن للشعب ليعيش فى طمأنينة تامة ، فاتخذ فى هذا السبيل ما يلزم لحسن اختيار النواة الأولى لأداء هذه المهمة ، وتنفيذ النظم التى استحدثت وقتئذ قبيل (عصر الأسرات) منذ نحو خمسة آلاف سنة ق . م .

وعندما نضجت هذه النظم أنشأت وظيفة الشرطة ، وزودت رجالها بما رأته ضروريا لحسن أداء مهمتهم ، وحددت لهم الاختصاصات كما بينا ذلك فى (الفصل الأول) فكانوا يعملون على منع وقوع الجرائم بكافة الوسائل الميسورة إذ ذاك ، ويتخذون الإجراءات العاجلة لتتبع المجرمين وضبطهم ، والقيام بالبحث الجنائى لكشف أسرار الجرائم الغامضة كما سنبينه فيما يلى :

ب — البحث الجنائى

تتبع الجريمة والجناة :

١ — كانت مصر القديمة من أسبق الدول فى استخدام وسائل البحث الجنائى ، ومن ذلك تقسيم المجرمين طبقا لتخصص كل فئة منهم فى نوع معين من الجرائم ، ووسائل ارتكابهم لها ، وإثبات أسمائهم فى سجلات مخصصة للرجوع إليها عند اللزوم .

٢ — وفى هذا المجال يقول المؤرخان « إرمان ، ورانكة » تحت عنوان (الشرطة ومحاكم القضاء) : « كيف كانت الحكومة المصرية فى عهد الأسرة العشرين تستخدم قواتها البوليسية ، وكيف كانت تتعقب الجريمة وتتابع البحث عن المتهمين »

وكل ذلك واضح بوثائق القضية الكبرى التى أقيمت حوالى (١١٠٠ق.م.) فى عصر الملك « رمسيس التاسع » ضد عصابة لصوص المقابر فى طيبة، وقدجاءت

كل تفصيلاتها فى برديات أبوت وأمهرست وليوبولد الثانى ، فهذه القضية تشير إلى أن الأحوال فى الجبانة كانت سيئة جدا .[1]

ومع أن مقبرة ملكية واحدة هى التى سرقت ، إلا أن المقابر الخاصة كلها كان قد اقتحمها اللصوص ، وبعد التحقيق الكبير — الذى سيأتى ذكره — سار كل شيء فى طريقه القديم .

فبعد ثلاث سنوات تقريباً ، قبض على ستين متهما من اللصوص العتاة حامت حولهم شبهة السرقة ، كان من بينهم بعض صغار الموظفين وأحد كهنة « أمون » وفى هذه المرة لم تقتصر السرقة على المقابر فحسب ، بل اعتدى اللصوص أيضاً على خزينة المعبد، وباعوا المسروقات ، كما أشركوا معهم زوجاتهم فنالهن العقاب أيضاً .

وفى السنة الأولى من حكم الملك « رمسيس العاشر » قبض على بعض المتهمين ، وقد اختلف اللصوص فيما بينهم، وذهب أحدهم إلى ضابط شرطة الجبانة وأبلغه عن زملائه ، فانقض عليهم رجال الشرطة وقبضوا عليهم ونالوا عقابهم .

٣ — أهمية السجلات:

كان للسجلات أهمية كبرى فى المساعدة على كشف الجرائم ، فقد سجلت حوداث السرقات وغيرها من الجرائم فى برديات محفوظة بأدق نظام ، للرجوع إليها فى التعرف على الجناة فى القضايا الهامة.

وتعتبر الوثائق المتقدمة المشتملة على الحوادث المثيرة من أهم المصادر التاريخية التى أفادت المؤرخين بالكثير من تاريخ مصر القديمة .

ولقد سجلوا فيها كافة الإجراءات : من تحقيقات ، وأسماء المجرمين وألقابهم ووظائفهم ، وهذه السجلات المشار إليها فى الوثائق المتقدمة مماثلة تماماً لما كان يحفظ فى المعابد والإدارات العامة[2] .

(١) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ، جـ ٤ طبعة ثانية عام ١٩٦٦ ص١٤٢، ١٤٣ ، ولرمان، ورانكه: **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** ، تعريب د . عبد المنعم أبو بكر ، والأستاذ محرم كمال ص١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، جـ ٨ صـ ٣٦٩.

٤ — ومما يثير الدهشة والإعجاب ، أن عنايتهم بحفظ هذه السجلات قد بلغت شأوا بعيداً من الدقة والنظام ، فقد ذكر الدكتور سليم حسن « ان الجداول التى ظهرت فى بردية (أبوت) تحتوى على قائمتين :

الأولى : تشمل أسماء لصوص صناديق النفائس .

والثانية : تشمل أسماء لصوص الجبانات[1] .

٥ — ومما يشير إلى ذلك على سبيل المثال :

ما جاء بالسجلات عن قضية سرقة المقابر المشار إليها ، من أن أحد المقبوض عليهم فى القضية المذكورة كان يدعى « بيخال بن خارى » وكان اتهامه فيها استناداً إلى سابقة ضبطه مع شخصين تابعين للمعبد القريب من المقابر — وكان عمدة المدينة قد حقق معه منذ ثلاث سنوات تحت إشراف الوزير « نب ماعت نخت » واعترف أخيراً فى التحقيق بالسرقة ، وقرر فى أقواله أنه وصل إلى قبر الزوجة الملكية « إزيس » زوج الفرعون (وسر ماعت رع مرى أمون) واستولى على بعض أشياء منها ، ولكن تبين أن هذا الاعتراف كان تفادياً من التعذيب ، ولذلك أفرج عنه وعن زميليه إذ ذاك[2]

٦ — ويتبين مما جاء ببرديه « أبوت » أنه عندما ظهر للجنة التحقيق المشكلة برئاسة أمير طيبة الغربية حصول سرقات لبعض المقابر ، قام على الفور بتقديم قائمة بأسماء المتهمين ، مستفيداً فى ذلك بنتيجة مراجعته لهذه السجلات ، وتمكن من القبض عليهم فى الحال ، وقد كان أحدهم « بيخال بن خارى » المشار إليه بالفقرة المتقدمة ، لسابقة اتهامه وضبطه مع شخصين تابعين للمعبد القريب من المقابر . . . الخ ، كما تمكن أمير طيبة هذا من معرفة أسماء باقى المتهمين عند اطلاعه على السجلات[3] .

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ٨ ص ٣٢٣، ٣٢٧ ، ٣٢٨ — وإرمان، ورانكه ص ١٣٣ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٤٠٢ .

(٣) نفس المرجع : جـ ٨ ص ٣٣٣ — وإرمان ، ورانكه ص ١٣٢ .

٧ – من العوامل الهامة لكشف الجرائم :

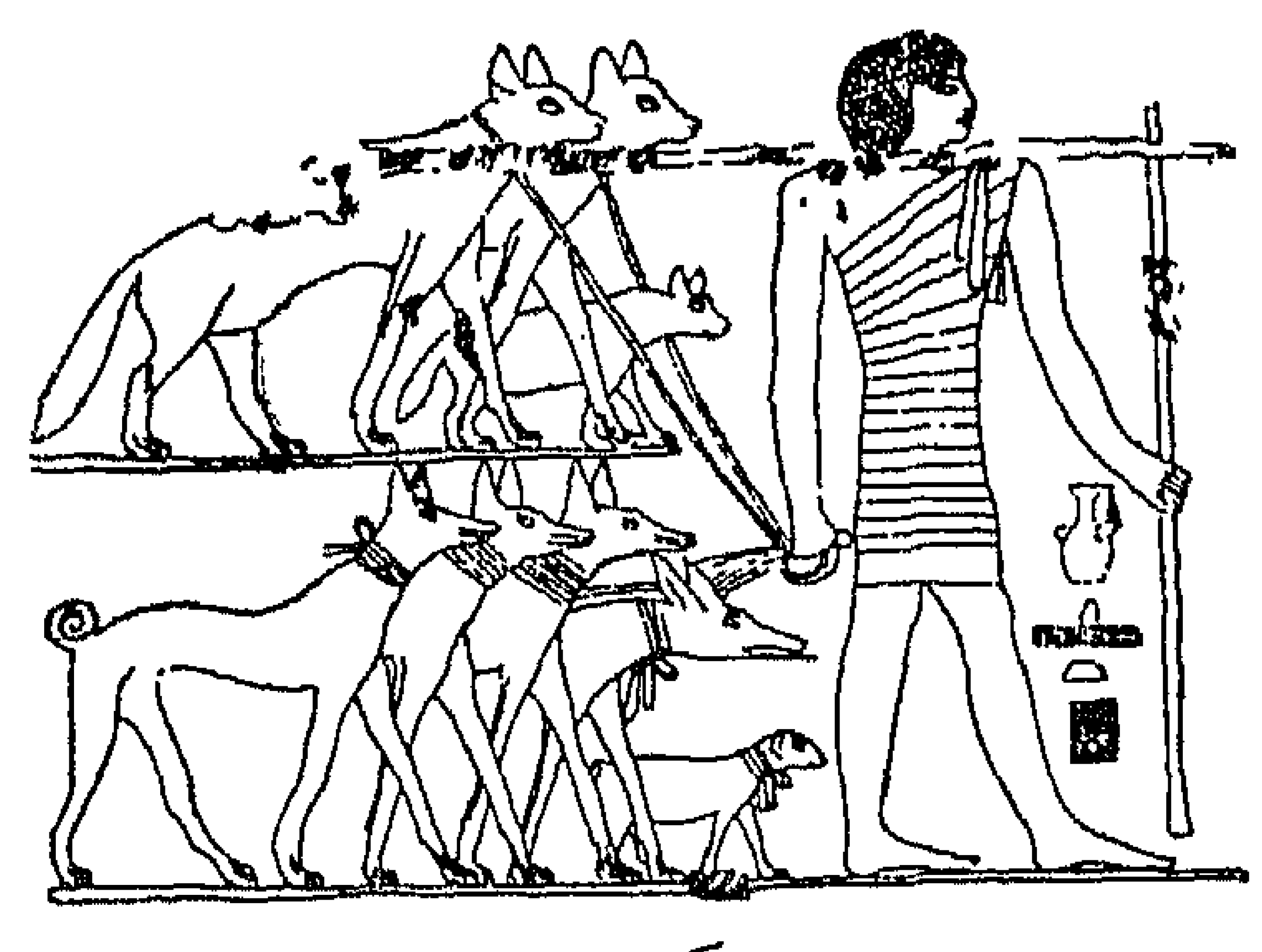
كان رجال الشرطة فى مصر القديمة يستعينون فى كشف الجرائم الغامضة وتتبع المجرمين وضبطهم ، بالمرشدين ، وقصاصى الأثر ، والكلاب كما يلى :

فى جريمة « سرقة الكنوز الثمينة » التى كانت ببيت مال معبد مدينة هابو فى (طيبة) قام رئيس الشرطة « نسأمون » بالقبض على لصوص الجبانة الستة متلبسين بجريمتهم ، بفضل المرشدين وقد جاء ذلك ببردية ماير « أ » و « ب » المحفوظتين فى متحف « لفربول » الأهلى [١] .

وقد كان لقصاصى الأثر من السودانيين أثر عظيم فى حراسة الحدود ، وتتبع الهاربين من وجه العدالة [٢] .

كما كان لاستخدام الكلاب أثر مشهود فى الحراسة ، واقتفاء آثار المجرمين والدلالة على الأعداء ومهاجمتهم .

وتشاهد رسومها على مقابر (بنى حسن) بمحافظة المنيا ، ولأهميتها فى ذلك كانوا يعتنون بها عناية شديدة ، حتى كان يعدم من يتعمد قتلها ، وكان لمدير حراسها مركز مرموق عند الملك ، ويرى فى نقوش عيد الإله « منتو » هذا المدير ضمن كبار المدعوين [٣] (شكل ٢٣) .



(شكل ٢٣) كلاب فى الدولة القديمة

(١) د. سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٨ ص ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٣ .

(2) Wilson (J), The Burden of Egypt, p. 277.

(٣) ديودور الصقلى : **فى مصر** القرن الأول قبل الميلاد تعريب الأستاذ وهيب كامل ص ١٤٤ — ١٥٠ و د ١٠ أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** جـ ٢ ص ٥٣ — و د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٣ ص ٤٠٧ .

وقد أقيم فى با كورة الأسرة الثانية عشرة لوحتان تذكاراً لموظف كبير وكل إليه القيام بأعمال الشرطة فى الصحراء الغربية ، وقد كانت الصحراء فى هذا الوقت مأوى للمجرمين ، وكان من عمل الشرطة البحث عنهم فى أرجائها ، ونشاهد فى هاتين اللوحتين شرطياً متسلحا بالقوس والسهام ويصحبه كلبه ،ورسم فى هيئه تدل على أنه يقوم بواجبات وظيفته(١) .

جـ — سرقات المقابر

تمهيد :

آمن المصرى القديم بالبعث والخلود ، فالموت لم يكن فى عقيدته سوى رحلة يقوم بها المتوفى من حضرة الإله « رع » إله الشمس إلى حضرة الإله «أوزوريس» إله العالم الآخر حيث تعود الروح إلى صاحبها ، ويحاسب على ماجنت يداه فى حياته الدنيا ، فإن برىء عاش منعما سعيداً خالداً ، وإن أدين طرد ليقاسى العذاب والأهوال . وكانت المقابر من مقدسات المصرى القديم يحترمها ويحافظ عليها ، ويعتقد أن أى اعتداء عليها قد يكون سبباً فى عدم بعث المتوفى : فتظل روحه هائمة مشردة معذبة ، وينزل غضب الآلهة ولعنتها على من يقترف هذا الاثم العظيم ، لكن هل سلمت المقابر فى مصر القديمة من الاعتداء ؟

رغم جلال هذه العقيدة فى نفوس الجمهور ، فإن المقابر لم تنج من التطاول عليها بالسرقات ، إيثاراً للمال .

فى الدولة القديمة : سرقت المقبرة الملكية« حتب حرس »والدة «خوفو» التى نقلها إلى زاوية بجوار هرمه لوقايتها من السارقين ، رغم تحذيراته التى تقول « إن الذى يحب الملك والإله « أنوبيس » الذى على قمة جبله ، لا يؤذى محتويات هذه المقبرة(٢) .

(١) د . سليم حسن: **مصر القديمة** جـ ٨ ص ٥٦، ٥٧ .

(٢) نفس المرجع : جـ ٢ ص ٣٨ ، ٣٩ .

وجاء فى نقش آخر لـ « بى الثانى » بمقبرة ابنه « البى » (إذا دخل أى إنسان هذا ، القبر مدعياً ملكيته ، فإننى سأنقض عليه كطائر مفترس ، لأنى روح قوية أعرف كل التعاويذ وأسرار البلاط فى الجبانة)(١).

ورغم هذه التحذيرات استمرت سرقات المقابر ، فى فترة الثورة الاجتماعية الأولى نهب الثوار قبور الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة .

وفى نصائح الملك « خيتى » الرابع لابنه « مريكارع » تحذير له من الاعتداء على آثار الآخرين ، وأخذ أحجار من قبور الناس ، وطلب منه الحصول على مايلزمه من محاجر طرة .

ولكن الأمر استشرى بعد ذلك ، إذ كان بعض الملوك يأمرون بأخذ الأحجار من بعض المعابد والمقابر ليقيموا آثارهم بها ، ويزيدوا من تراثهم الذى سيتركونه بعد مماتهم .(٢)

وفى الدولة الوسطى : اغتصب الملك « أمنمحات » أحجاراً من آثار بعض ملوك الأسرتين الرابعة والخامسة لبناء هرمه فى « اللشت » (٣) .

واغتصب الملك « رمسيس الثانى » بعض آثار أسلافه ونسبها لنفسه ، مما قد يقلل من قيمة منشئاته العظيمة فى نظر بعض المؤرخين ، فى حين أنه كثيراً ما جدد الأمكنة الأثرية التى شيدها الملوك الذين سبقوه ، بل وزاد عليها (٤).

وفى الدولة الحديثة . قام بعض الكهنة بسرقة قبر الملك « سقنن رع » إذ كانوا هم القائمين بحراسته ، مما سهل لهم الأمر ، وانتزعوا صفائح التابوت الذهبية ،

---

(١) د. سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ١ ص ٣٩٥ :

(٢) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ، ص ١٧٣ — طبعة ثانية عام ١٩٦٠ .

(٣) نفس المرجع : ص ٢١٤ .

(٤) د . سليم حسن **مصر القديمة** جـ ٦ ص (ى و ك) بالمقدمة ، و د نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الادنى القديم** جـ ٤ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص ٤١٨ .

ولم يمسوا رسوم الآلهة ، ولونوا مكان ما نزعوه بلون الذهب للتمويه ، وهذا الأمر يتعذر على سارق عابر أن يقوم به .

٨ـ سرقة مقبرة توت عنخ أمون وقيام الشرطة بضبط المسروقات:

اقتحم اللصوص هذه المقبرة وسرقوا مابها ، إلا أن رجال الشرطة قد توصلوا إلى معرفتهم وضبطهم بالمسروقات جميعها وأعادوها ثانية إلى المقبرة، ثم حاول اللصوص ذلك مرة ثانية ؛ على أن يسرقوا ما خف وزنه ، وقد حملوا معهم قرباً من الجلد ليفرغوا ما فى الأوانى من زيوت غالية . . . ، ولكنهم فوجئوا برجال الشرطة فلاذوا بالفرار ، تاركين قربة منها وبصمة لص على آنية زيت .

وإن أختام مقبرة « توت عنخ أمون »من عهد خلفه ، مازالت باقية ، تثبت واقعة السرقة ، وإعادة ما نهب من المسروقات[1]

د -- فساد الحكم وأسبابه

طالما كانت الحكومة قوية وساهرة على الأمن ورجالها أمناء، فإن مقابر الملوك والأمراء وغيرهم كانت فى أمان، ولم ينتشر وباء سرقة المقابر فى الأسرة العشرين، إلا عندما ضعفت الدولة وشابها الانحلال ،وخاصة فى عصر الملك «رمسيس التاسع» فقد تطرق الفساد إلى جميع مرافقها ، كما توقفت الحكومة لفترات طويلة عن صرف مرتبات الموظفين والعمال، فانتشرت الرشوة ،وعمت الفوضى ، وكثرت السرقات فى البلاد .

وانتهز الأجانب هذه الفترة فتوالى دخولهم إلى مصر فى صورة عصابات، وكان أغلبهم من الجنود المرتزقة العاطلين ، الذين كان هدفهم سلب المواطنين واغتصاب ما أمكنهم اغتصابه، فساءت الحال وأهملت الزراعة ،وتفشت المجاعة، وزاد الغلاء زيادة

---

١ — د. نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الادنى القديم** ج٢ عام ١٩٥٨ ص٢٥١ ، والأستاذ كمال الملاخ: **مجلة الامن العام** عدد٨ عام ١٩٦٠ ص٣٩ عن نظام الشرطة عند الفراعنة.

فاحشة حتى وصف المصريون القدماء هاته الحقبة بأنها « أيام ضباع » عندما مات الكثير منهم جوعاً .

ولما كانت مقابر الملوك والنبلاء على مقربة منهم، وتحوى كنوزاً ثمينة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، فقد تطلعت إليها أعين الطامعين فيها ، وانعدم شعورهم بقدسيتها ويمموا وجوههم شطرها ، ولم تقو عقيدة البعث وقدسية الراقدين فى مثواهم على السيطرة على البطون الخاوية ، والنفوس الضائعة .

ومهد لهم ذلك القائمون بالأمر فى هذه المقابر ، فمدوا أيديهم للرشوة ، وأغمضوا العيون عن العابثين بأجساد الملوك وغيرهم [١].

قال المؤرخ جون ويلسون : « وضع المصريون كنوزاً من الذهب والفضة وغيرها فى مقابر الملوك والنبلاء فى تلال طيبة ، فلما حدث التضخم المالى انتشر الفقر والجوع ، وارتفعت أسعار المأكولات وبخاصة القمح والشعير ارتفاعاً كبيراً لم يسبق له مثيل ، وكان هناك تنازع على النفوذ بين أهم فروع الحكومة ، وضعف أهم فرع فيها وهو الكهنوت، وانعدم الشعور باحترام أملاك الحكومة ،وقدسية المقابر التى كانت المقر الأبدى للآلهة الخالدين، وأصبح رجال الشرطة عاجزين عن إيقاف هذا الإجرام [٢] » .

الكهنة ونتيجة افسادهم للحكم :

وقد انتشرت السرقة والرشوة فى أرجاء البلاد مع ضياع قيمة المحاكم وفقدان هيبتها ، فانصرف أصحاب الشكاوى إلى المعابد ، وكان يكفى إقناع الكاهن قبل عرض الشكوى عليه بالوسيلة المتعارف عليها وهى — الرشوة — وكان الحكم يصدر طبعاً لصالح الراشى ، وهو حكم نهائى على الوجه التالى :

كان المشتكون يذهبون إلى المعبد ويضع كل منهم ورقة أمام تمثال الآلهة، وعندئذ يصدر الكاهن حكم ذلك التمثال على الوجه السابق إيضاحه .

---

١ — د. نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الادنى القديم** ج٤ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص ١٣٢ و ١٣٣ .

٢ — جون ولسون : **الحضارة المصرية** تعريب د . أحمد فخرى ص ٤٤٧ ، و د . نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الادنى القديم** ج ٢ عام ١٩٥٨ ص ٢٥١ .

ولم يقتصر فساد الـكهنة على ذلك، بل تعداه إلى التعيين فى الوظائف الخالية ، فانها أيضاً كانت تتم بوحى آلهة المعابد بالصورة المتقدم إيضاحها .

وكان « أمنحوتب » كبير كهنة المعابد المصرية كلها ، وصاحب النفوذ والاختصاصات فى أعمال هامة أخرى : كالإشراف على الخزائن ، كما كان حامل خاتم الملك، وكان من حقه أيضاً جباية أموال أمون وضرائبه بمعرفة كتبة المعابد، دون أى تدخل من موظفى الدولة المختصين، وبذلك استفحل نفوذه وسلطان الـكهنة ممـا أدى فى النهاية إلى استيلائهم على العرش ، كما سنوضحه فى « الباب الثالث »[1] .

الفساد فى عهد خلفاء رمسيس الثالث :

من الأمثلة أيضاً على سوء النظام وانحراف الموظفين عن القيام بواجباتهم ، ماحدث فى عصر الملك «رمسيس العاشر» من إضراب العمال الذين كانوا يشتغلون فى حفرمقبرة الملك بأبواب الملوك، وكان إضرابهم عن العمل بتحريض من صاحب الشرطة « نسأمون » الذى أمرهم بالبقاء فى معبد مدينة هابو دون عمل[2] .

وجاء على ألسنة الشهود فى القضية الـكبرى لسرقات المقابر، أنهم كانوا يؤرخون بعض ما يذكرونه فى أقوالهم فى سنة حرب أمنحوتب كبير الـكهنة ، ممايدل على حصول ثورة فى ذلك الحين، وتضاربت أقوال المؤرخين فى أسبابها .[3]

البلاغات والتحقيقات والمحاكمات فى القضية الـكبرى لسرقات المقابر :

نذكر هذه القضية الـكبرى بشىء من التفصيل ، ليقف القارىء على كيفية تقديم البلاغات ، والقيام بالتحقيقات والمحاكمات فى القضايا الهامة فى ذلك العهد ولأن بعض الشخصيات البارزة فيها من ضباط الشرطة .

---

١ — د . أحمد فخرى **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص٣٨٣ و٣٨٤ .

(٢) د . سليم حسن: **مصر القديمة** ج ٧ ص ٥٠٦ و ٥٠٨ بالهامش.

(٣) جون ولسون : **الحضارة المصرية** تعريب الدكتور أحمد فخرى ص ٤٤٦، ود. أحمد فخرى: **مصر الفرعونية** ص ٣٨٤ طبعة ثانية ١٩٦٠.

اشتهرت هذه القضية فى التاريخ بسبب ماجاء ببرديات «أبوت وأمهرست» فقد انتشر وباء سرقات مقابر الملوك وغيرهم المنحوتة فى الصخر بجوانب التلال .

وكان «ياسر» أميراً لمدينة طيبة الشرقية « الاقصر »، « وباروعا» أميراً لطيبة الغربية ورئيساً لشرطة الجبانات بها ، وأصبح معروفاً للكافة حدوث السرقات من مقابر الملوك وغيرها، وكانت عصابات اللصوص مطمئنة إلى إغماض أعين المختصين عنهم ، لأنهم كانوا يحصلون منهم على الثمن .

وكان التنافس والعداء السافر قائمين بين الأميرين ، وكل منهما يسعى للتقرب من رئيسهما الأكبر وزير الجنوب « خع م وسى » ونيل الحظوة لديه ، فتقدم ياسر للوزير المذكور ضد زميله باروعاً ببلاغ يتهمه فيه بالتقصير الشديد فى سرقات هامة بمدينة المقابر .

ويقول جون ولسون: « كان ياسر الوحيد الذى دعا إلى الأمانة فى العمل، ونادى بتطبيق العدل ، ممايستفاد منه بأنه كان مصلحاً أميناً أحاط به جماعة من اللصوص الساخرين [(١)] .

فشكلت لجنة تحقيق من المدير الملكى « نسأمون » وكاتب فرعون وكاهنين كبيرين وضابطين من الشرطة تحت رئاسة « باروعا » فقامت بالتحقيق فيما جاء ببلاغ « ياسر » عن وقوع اهمال جسيم فى سرقة بعض المقابر ، وانتقلت اللجنة للمعاينة وطابقت على الطبيعة المقابر المبلغ عن سرقتها، وفتشت الوديان الصحراوية وفحصت كل المقابر التى كان يريبها أمرها.

رفعت اللجنة إلى الوزير تقريرها بأن ماجاء ببلاغ أمير المدينة « ياسر » غير صحيح، فلم يكتف بذلك، بل قام بمعاينة موقع الجبانة بنفسه، فتبين أن تسعة من مقابر الملوك العشرة المبلغ بسرقتها وجدت سليمة ، وأن مقبرتين من مقابر الملكات الأربع

---

(١) جون ولسون : المرجع المتقدم ص٤٤٨ـ
وارمان ورانكه : **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** تعريب د. عبد المنعم أبو بكر والأستاذ محرم كمال ص ١٣٠ ، ١٣١ .

سليمة،أى أنه لم يسرق سوى مقبرة واحدة من بين مقابر الملوك العشرة ،ولم يسرق غير مقبرتين من مقابر الملكات الأربع،وإن كانت جميع مقابر النبلاء وعامة الناس قد وجدت مسروقة ومشتملاتها مبعثرة على الأرض وملقاة فى الصحراء .

وعندئذ تقدم رئيس الشرطة « باروعا » ببيان مكتوب إلى الوزير اشتمل على أسماء من اتهمهم فى هذا الحادث ، وقبض عليهم وحقق معهم واعترفوا بما نسب إليهم .

ارتاح « باروعا » لهذه النتيجة واعتبرها تبرئة له ولرجاله،وأن اتهام مرؤسيه بالاهمال كان مبالغاً فيه كثيراً،لذلك قاموا باحتفال كبير ثم عبروا النيل إلى البر الشرقى ، واتجهوا إلى بيت أمير المدينة ياسر وهتفوا ضده هتافات عدائية ، فغضب وواجههم بأن قبر الملك « ستخم شدتاوى » وجد منهوباً وكذلك قبر الزوجة الملكية « بنخعس » وهدد برفع الأمر للملك ، ثم تقدم للوزير ببلاغ آخر وأعيد التحقيق[1] .

ويقول ارمان ماملخصه : « فى اليوم التاسع عشر من شهرهاتور انتقل الوزير المذكور بنفسه وفى رفقته المدير الملكى « نسأمون » لمراجعة أعمال لجنة التحقيق وانتهز هذه الفرصة لاقتفاء أثر سرقة أخرى ، فان صانع المعادن «بخاره» المعروف بسوء السمعة كان قد حقق معه أحد أسلاف الوزير الحالى منذثلاث سنوات..الخ ماذكر فى صدر (هذا الفصل) فأمر باحضاره معصوب العينين ، ولما بلغ الجبانة فى المكان الذى دفن فيه أقرب أقرباء الملك المسمى (مكان الجمال) أمر بفك الأربطة التى تعصب عينيه وقال له إذهب أمامنا إلى المقبرة التى سرقت منها شيئاً كما تقول فذهب أمامهم إلى أحدى مقابر أولاد الملك « أوسر ماعت رع ستبان رع » وكانت مفتوحة لم يدفن فيها أحد البتة ، كما وجدت الغرف الكبيرة سليمة ، فسر الوزير ومن معه سرورا عظيما ، ثم حققوا معه تحقيقا دقيقا ، فتبين أنه لا يعرف

---

١ — د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٨٢ و ٣٨٣ طبعة ثانية ١٩٦٠ .

مكانا آخر،ولما سئل عن سبب اعترافه وتعريض نفسه للعقاب بما يحكم عليه ، قال ان أية عقوبة يصدر بها حكم المحكمة إنما هى أهون وأرحم مما سيتعرض له من التعذيب،ولما ثبت من التحقيق عدم معرفته بأى قبر مسروق مما جاء ذكره فى بلاغ أمير المدينة ، صدر الأمر بالإفراج عنه ، ووضع الأشراف تقريراً فى سجلات الوزير عن الاجراءات التى نفذت،على حين أن الوزير وأميرمدينة الأموات الذى كان فى حمايته ، لم يستطيعا أن يفخرا بطهارة الذمة ونقاء الضمير ، فالأحوال فى الجبانة كانت على التحقيق سيئة جداً »[1].

وقد ثبت قيام بعض رجال الشرطة حينذاك بتعذيب المتهمين بضربهم بالعصا على أيديهم وأقدامهم،كما أن البعض قصر فى واجب حراسة المقابر المسروقة .

ويقول جون ولسون : « فى اليوم التالى شكل الوزير هيئة أخرى لإعادة التحقيق ، وافتتح الجلسة بحضور كبير الكهنة باقوال مليئة بالغضب ، ودون أى مناقشة قال : « إن عمدة طيبة قد اتهم عمال الجبانة وأدلى ببعض الوقائع عن المقابر العظيمة، ولكنى قد ذهبت هناك بنفسى أنا وزير البلاد ومعى الساقى الملكى وسكرتير الملك ، وفتشنا المقابر الملكية ، فوجدناها سليمة لم تصب بسوء وثبت أن كل ماقاله العمدة كان كذبا » .

« وبعد ذلك الافتتاح المغرض أفرج عن المتهمين ، وتحرر بذلك تقرير وضع فى سجلات الوزير ».

« ويمكننا أن نتصور « ياسر » وهو جالس فوق مقعده يستمع إلى رفض هيئة التحقيق لاتهاماته التى قدمها ، وقد خذل خذلاناً تاماً ، ولكن القصة لم تنته عند هذا الحد بل لها بقية ممتعة » .

« لم نعد نسمع كلمة واحدة عن ياسر عمدة طيبة ، بعد انتهاء هذه المحاكمة ،

---

١ — إرمان، ورانكه : **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** تعريب د عبدالمنعم أبو بكر والأستاذ محرم كمال ص١٣٠ و ١٣٦ — و د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٨ ص ٣٣٣ و ٣٣٥ .

وسقط اسمه من الوثائق ، بينما ظل منافسة الخبيث « باروعا » فى وظيفته ، كعمدة لغرب طيبة ورئيس لشرطتها سبعة عشرة عاما بعد ذلك ، وكانت فيها سرقات المقابر تزداد يوماً بعد يوم »[١].

ولقد استمرت تلك السرقات مدى جيل كامل دون رادع ، مع بقاء الموظفين المسئولين فى وظائفهم خلال تلك السنين الطويلة، مما يثبت أن أولئك الذين كانوا يشغلون الوظائف الكبرى كانوا على صلة بما يحدث، وكونوا ثروات لأنفسهم من تلك الكنوز .[٢]

وإن الجهود الكبيرة التى قام بها بعض رجال الشرطة وأدت إلى القبض على الكثيرين لم تنقذ المقابر الملكية من عبث اللصوص ، فإن السرقات استمرت نظرا لانعزال الوادى الصحراوى الذى ترقد فيه هذه الرفات بكنوزها الثمينة — مع انتشار الفساد بجهاز الدولة وضعف الضمائر — مما اضطر ولاة الأمور إلى نقلها سراً، وإخفائها فى بئر عميقة محفورة فى الصخر فى جبل الدير البحرى .

وكان اختيارهم لهذا المخبأ موفقا ، إذ استقرت فيه رفات ملوك الدولة الحديثة فى أمان حتى العصر الحاضر ، عند ما تمكن بعض اللصوص من أهالى القرنة من العثور على هذا المكان ، وظلوا محتفظين بسرهم إلى صيف ١٨٨١ عندما تمكنت الشرطة من اكتشاف أمرهم ، فاهتزت أسلاك البرق بهذا النبأ العظيم الأهمية وكان سببا فى كشف ما أضاء الطريق أمام علماء الآثار[٣] .

---

(١) جون ولسون : **الحضارة المصرية** تعريب د. أحمد فخرى ص ٤٥٢ و ٤٥٣.

(٢) نفس المرجع : ص ٤٤٧ و ٤٤٨ .

(٣) ارمان ورانكه: **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** تعريب د. عبد المنعم أبو بكر والأستاذ محرم كمال ص ١٣٧ .

هـ — فساد الحكم وإضراب العمال فى الدولة الحديثة فى أواخر عهد رمسيس الثالث

١ — الاضراب الأول للعمال وجهود رئيس الشرطة :

عندما انتشر الفساد بجهاز الدولة فى أواخر سنى حكم « رمسيس الثالث » وارتفعت أسعار الحبوب وغيرها بما لم يعهده الشعب من قبل ، لاضطراب اقتصاديات البلاد ، واشتداد سوء الحال وعجز الحكومة عن أداء التزاماتها نحو دفع أجور الموظفين — بينما كان عمال طيبة ضمن من تأثروا بهذا الفساد — إذ كان قد مضى عليهم شهران دون أن تدفع لهم أجورهم ، فاضطروا إلى التوقف عن العمل ، وهو أول إضراب حدث منهم ، فاخترق بعضهم الأسوار الخمسة صائحين (نحن جياع) وجلسوا خلف المعبد ، وامتنعوا عن العودة إلى داخل حرم الجبانة .

وقد استمروا على ذلك فى اليوم التالى ، وهجموا فى اليوم الثالث على معبد رمسيس الثانى ، وعند ذلك هرع إليهم عدد كبير من الشرطة ، واهتم رئيسها بالأمر ووعدهم بأنه سيرفع الأمر إلى أمير طيبة الغربية الرئيس الأعلى لشرطة مدينة الأموات،فطلبوا أن يرفع الأمر إلى فرعون،فصرفت لهم من الخزانة الملكية مخصصات الشهر السابق وهدأت ثائرتهم .

ولكنهم تجمعوا عند حصن الجبانة الذى كان مركزا للشرطة « فى طيبة الغربية »وطالبوا بأن تدفع لهم مخصصات الشهر الحالى أيضاً،فأجابهم«منتوموسى» رئيس الشرطة بأحقيتهم فى ذلك ، وطلب منهم المحافظة على النظام والذهاب إلى منازلهم بزوجاتهم وأطفالهم ، وقال لهم أنه سيتقدمهم إلى هناك ، ووعدهم خيرا ، ثم صرفت إليهم مخصصاتهم[١] .

---

١ — د. أحمدفخرى: **مصر الفرعونية** س ٣٧٦— ود نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الادنى القديم** جـ٤ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص١٤٢— وجون واسون: **الحضارة المصرية** تعريب د. أحمد فخرى ص ٤٣٧ — ٤٣٩ .

٢ — الأضراب الثانى للعمال وجوود مودئة من الوزير :

بعد مضى أسبوعين حل أول الشهر ولم تصرف لهم مخصصاتهم ، فأضربوا مرة أخرى،واتهموا رؤساءهم بأنهم يغشون الملك، وقالوا ان هناك جرائم ترتكب فى هذا المكان ، ولم يذكر فى البردية نتيجة هذا الاتهام ، واستمرت المتاعب إلى أن جاء الوزير المذكور بعد شهرين إلى (طيبة) فى عمل رسمى ،وأرسل أحد ضباط الشرطة ليعد رؤساء عمال الجبانة بأنهم سوف يحصلون على ما ينقصهم.

٣ — الاضراب الثالث للعمال ومساعدة عمدة طيبة لهم وغضب كبير كهنة امون وشكواه ضد العمدة :

بعد أحد عشر يوما اخترق فريق من العمال الأسوار مرة أخرى صائحين نحن جياع، وبينما كانوا متجمهرين خلف « معبد مرنبتاح» مر أمير طيبة (العمدة) فشكوا إليه ووعدهم بالنجدة ، وأنجز ما وعد باعطائهم خمسين غرارة من الحبوب لاطعامهم وأسرهم ، ولكن بعد أيام قليلة قدمت ضد الأمير شكوى من كبير كهنة أمون ، يتهمه فيها بأخذه قرابين معبد « رمسيس الثانى » ليطعم المضربين ووصف عمله هذا بأنه جريمة كبرى .

كما أن أغلب الموظفين كانوا يستغلون كافة الموارد لصالحهم الشخصى ، والملك سادر فى شهواته مع مستشاريه الأجانب ، والجنود المرتزقة يتحكمون فى شئون الدولة دون ردع،مما أضعف هيبة الحكم ، وجرّأ أحد وزرائه على تدبير ثورة ضده فى أتريب (بنها) ولكنها فشلت ، ثم دبرت إحدى زوجاته مؤامرة كبرى لقتله أوضحنا تفاصيلها (بالفصل الرابع من الباب الثانى) .

وقد اقتصرت الوثيقة على مضمون ما تقدم ، ولكن بعد نحو أربعين سنة جاء فى تقارير العمل بالجبانة فى عصر « رمسيس التاسع » توقف العمال عن العمل أياما عديدة من جراء تأخير حصولهم على مرتباتهم ٩٥ يوما ، وقد تكرر الإضراب فى عصرى « رمسيس العاشر » و « رمسيس الحادى عشر » .[١] مما أدى إلى اضطراب الأمن .

١ — د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص٣٧٦ و د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ٤ طبعة ثانية ١٩٦٦ ص ١٣٠ — ١٣٣ .

ثراء المعابد وكبير كهنتها بينما الشعب جائعا :

يشير ما جاء فى إحدى البرديات إلى أنه كان يتدفق على خزائن المعابد فى منتصف الأسرة العشرين سيل من الإيرادات الكثيرة ، كما أن كبير الكهنة « امنحتب » استفاد من فرعون كثيراً فزاد ثراؤه على الوجه السابق إيضاحه .

ويقول جون ولسون: « .. إن تلك الإيرادات اختفت فى جوف الإله أمون الواسع،ويدل هذا على مدى تحكم كبير كهنة أمون فى الأمور المدنية والمالية بالدولة » [١].

ويقول الدكتور أحمد فخرى : « كانت للإله (أمون — رع) وحده ثروة طائلة ، إذ كانت أراضيه تبلغ نحو ١٠ ٪ من مساحة البلاد المزروعة ، .. كما كانت له حدائق فى طول البلاد وعرضها ، وكثير من الواحات ، وكانت له مناجم الذهب فى النوبة ، وتسع مدن سورية تأتيه محاصيل أراضيها وضرائبها بانتظام ، وغير ذلك من الموارد وأهمها ما يقدمه الملوك وما يقدمه أفراد الشعب ، ولم يكن« رمسيس الثالث » وحده هو المسئول عن إغداق هذه الثروة على الكهنة، ولكنها كانت فى الحقيقة ثروة تكدست على المعابد منذ أجيال ، ولم يكن فى وسع أحد الفراعنة أن ينتقص منها شيئاً ، بل كان كل منهم يبذل جهده لإرضاء الكهنة ، فيزيد عليها حتى يضمن مؤازرتهم وعدم تآمرهم عليه .[٢]

و — فساد الحكم وسرقات معبد خنوم

لم يقتصر الأمر على سرقات المقابر ، بل تعداه إلى سلسلة من سرقات المعابد ، ولقد بعدت مصر فى ذلك العصر كثيرا عن مثلها الأعلى فى الحق والعدل الذى كان مضرب الأمثال فى النصف الأول من الدولة القديمة . فى منتصف الأسرة

١ — جون واسون : **الحضارة المصرية** تعريب د. أحمد فخرى ص ٤٣٢ و ٤٣٣ — وبرستد : **تاريخ مصر من اقدم العصور** تعريب د . حسن كامل ص ٣٤٣ .
٢ — د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٧٥ .

العشرين ضعف الوعى الاجتماعى والخلق عند أغلب المسئولين ، واستلزمت تلك الحالة نشاطاً كبيراً من رجال الشرطة وأعباء كثيرة على رجال القضاء[1].

وقد ورد فى إحدى البرديات تفاصيل جرائم السرقات التى كان مسرحها « إلفنتين » القريبة من أسوان .

فقد كان الدخل السنوى لهذا المعبد ٧٠٠ غرارة (حقيبة) من الغلال سنويا — إذ أنه كان يملك الأراضى التى تزرع الغلال فى (الإقليم الشمالى) — وكان مزارعوها تابعين للمعبد المذكور يدفعون عنها ضرائب سنوية .

وبلغ مجموع ما اختلس ٥٧٢٤ غرارة من الغلال ، كانت تنقل بالسفن من الدلتا ، وقبل ارتكاب ربان السفينة هذه الجريمة كانت تنقل الحبوب بالتآمر مع المزارعين والكتاب الذين اتهموا صراحة بالخيانة والرشوة ، وقد استمرت هذه الاختلاسات أكثر من عشر سنوات ، ثم اكتشفت الشرطة تلاعبا فى توصيل هذه الغلال ، قام به ربان السفينة (خنوم نخت) من تسع سنوات ،حيث لم يصل المعبد فى هذه المدة إلا ٥٦٧ غرارة من ٦٣٠٠ كان الواجب توصيلها ، فقبضت على هذا الربان وأعوانه .

جرائم كاهن الاله خنوم وشركائه :

ذكر الأستاذ جاردنر : « جاء فى إحدى البرديات ما يشير إلى أنه عندما بحث موضوع الضرائب فى عهد الرعامسة ظهر اتهام طويل بعدد الجرائم التى ارتكبها كاهن الإله (خنوم) فى إلفنتين ومعه شركاء له ، وبعض هذه الاتهامات خاصة بدخل المعبد من الغلال[2].

ويقول الدكتور سليم حسن: « . . إنه من المدهش أن نجد المحصول السنوى قد حدد بسبعمائة غرارة ، وكان المنتظر أن يتغير هذا الدخل على حسب حالة النيل فى وفائه ، وأن المجرم الأول هو الكاهن « بنعنقت » وأن معظم التهم التى

---

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** جزء ٨ هامش ص ١٤٠ .

(٢) نفس المرجع : ص ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

وجهها الشاكون كانت ضد ربان السفينة « خنوم نخت » ، الذى كان له شركاء كثيرون فى معبد (خنوم) بالفنتين » .

« وقد وصلت الينا سبع عشرة تهمة متباينة الأسلوب إلى حد بعيد ، وإذا كانت كلها ترتكز على أساس متين ، فإن هذا الكاهن المرتكب لها لابد أنه كان مثالا غريباً للمحتال المصرى القديم ، وقد بقى اسمه ليدون فى فن الجرائم » .

« ويلاحظ أن المجرمين الذين ذكروا فى البردية لم يظهروا تفننا فى ارتكاب الجرائم كما أظهرها المجرم الأكبر الكاهن (بنعنقت)[1] » .

المحاكمة :

يقول الدكتور سليم حسن :

« لا نزاع فى أن مرتكبي هذه الجرائم قد حوكموا ، ولكن لم يصل إلينا من هذه الوثيقة الجزء الخاص بالمحاكمة ، وليس لدينا ما يشير إلى المحكمة التى تفصل فى الجرائم الدينية والجرائم الأهلية ، ثم يقول : لقد تبين أن الكاهن (بنعنقت) قد اتهم ببيع عجول (منفيس) مع أنها ليست ملكا خاصاً له ؛ بل كانت وليدة البقرات المحرم بيعها والتصرف فيها ، كما اتهم بتهم أخرى ، ومما يؤسف له أن النتيجة لم تعرف .

وجاء ببرديتى « صولت وتورين » أن الرشوة والفساد وانحلال الأخلاق قد تفشت بين رجال الحكم فى أنحاء البلاد فى ذلك العهد ، كما ضرب رجال الدين الرقم القياسى فى ارتكاب الآثام[2] .

(١) نفس المرجع : ص ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) المرجع المتقدم : جـ ٨ ص ١٤٠ و ١٤١ و ١٥٢ .

الفصل الرابع

الشرطة ومؤامرات القصور

(١) فى الدولة القديمة

بالرغم من أن أغلب عصر الأسرة الرابعة كان يمتاز باستقرار الحكم وقوة شخصية الملوك ونفوذهم فيه ، وسيادة الأمن فى أرجاء البلاد ، إلا أنه فى أواخر عهد هذه الأسرة تطورت الأمور ، واشتدت الاضطرابات، بسبب الخلافات الدينية والفتن الداخلية ، فتراخت قبضة الملك تدريجاً ، كما أخذت سلطة الحكومة المركزية فى الضعف ، فتأثر بذلك الأمن فى البلاد .

ونتيجة لذلك ضعف نفوذ فرعون ، وأخذت قدسيته وهيبته تتأثران تدريجاً حتى بلغ الأمر حد التآمر على حياته وقتل أول ملوك الأسرة السادسة .

وقد أدى ذلك إلى زيادة نفوذ حكام الأقاليم الذين أصبحوا منذ منتصف الأسرة الخامسة ملوكاً فى مقاطعاتهم ، لكل منهم بلاطه الخاص وجيش وموظفون فى شتى الشئون الدينية والقضائية والمالية، ومنذ ذلك الحين أخذت البلاد تسرع الخطى نحو التدهور والانحلال ، وبعد أن كانت أحوال مصر القديمة فى قمتها حضارياً وأخلاقياً وثقافياً وسياسياً ، انقلبت الأوضاع وساءت الامور وأفلت زمام الحكم من أيدى فراعنة ذلك العهد ، وتقوض ذلك الصرح العالى الذى أقامه أسلافهم ؛ بعد أن عرفت البلاد الوحدة ، وقام فيها نظام الدولة على خير وجه .

١ — مؤامرة قتل الملك تتى (٢٤٢٠ — ٢٢٨٠ ق . م) :

فى أوائل عهد الأسرة السادسة ضعف مذهب عبادة الشمس ، وعمل « تتى » أول ملوك هذه الأسرة على أن يسود (مذهب عبادة بتاح إله منف)

وقد عثر على لوحة من ذلك العهد محفوظة بالمتحف البريطانى فيها تمجيد لبتاح وتخليد لاسمه .

وقد منح الملك المذكور «سابو» كبير كهنة بتاح الكثير من الهبات والامتيازات وخصه بأرقى المناصب فى قصره ، مما زاد من حقد كهنة الشمس عليه وعدائهم له ، فأخذوا يؤلبون عليه اتباعهم من الأمراء ورجال الجيش ، مما أدى إلى حدوث فتنة دينية قد يكون الملك دفع حياته ثمناً لها . ففى أنباء « مانيتون » أنه لم يمت ميتة طبيعية بل قتله حراس قصره ؛ وإن كان لا يوجد ما يؤيد صدق هذه الرواية من المصادر الأثرية ، إلا أنه قد يكون لها نصيب من الصحة ، إذا أخذنا فى الاعتبار الاضطرابات الدينية والخلافات المذهبية الشديدة بينه وبين كهنة الشمس .(١)

٢ — مؤامرة الحريم فى عصر « ببى الأول » (٢٤٠٢ — ٢٣٧٧ ق . م) :

لم ينج هذا الملك من المؤامرات التى كانت تهدد حياته فى قصره ، رغم ما يتميز به من علو الهمة والعمل على النهوض بالبلاد ، وتوطيد الأمن ، وإصلاح الأمور ، وإنقاذ البلاد مما تردت فيه ، مما جعله قريبا من قلوب الشعب يؤكد ذلك نقوشة التى وجدت تحمل أسمه فى صان ، وبوبسطة ، وأبيدوس ، ودندره ، وقفط ، ونخن (الكوم الأحمر شمال ادفو) وإلفنتين ، وحتنوب التى بها محاجر المرمر ، ووادى الحمامات ، وسيناء ، وتوماس فى النوبة السفلى ، وكذلك تمثاله الكبير المصنوع من النحاس فى متحف القاهرة ، وتماثيله الأخرى فى غيره من المتاحف .

جاء فى نص أونى : « لقد اختارنى جلالته سميراً وناظرا للخاصة فى أملاكه ، لثقته بى ، وأمرنى بأن أتولى محاكمة الزوجة الملكية (إيمتس) فى القضية المقامة ضدها ، فقمت باجراءات المحاكمة سرا فى حريم الملك . ولم يقف المؤرخون على أسرار هذه المؤامرة ولا على نتيجة المحاكمة » .

---

(١) د . نجيب ميخائيل **مصر والشرق الأدنى القديم** ، جـ ١ ص ٢٠٥ — ٢٠٩ .

ويشير ذلك إلى ما وصلت إليه الملكية من ضعف، حتى اضطر الملك إلى توطيد مركزه بمصاهرة إحدى العائلات القوية فى الصعيد، فتزوج من ابنة أمير أبيدوس، وأصبحت أما لابنه « مرى أن رع » الذى خلفه فى العرش[1] .

(ب) فى الدولة الوسطى

٣ — المؤامرة على قتل أمنمحات الأول (١٩٩١ — ١٩٦١ ق . م) :

كان «أمنمحات الأول» أول ملوك الأسرة الثانية عشرة عصاميا، وعلى جانب كبير من الذكاء والكفاءة وحسن إدراك الأمور، أسدى إلى بلاده جلائل الاعمال ، وساس الملك بمهارته السياسية ودهائه الإدارى مدة تربو على الثلاثين عاما، قضاها فى كفاح مرير، وجهود مثمرة داخل البلاد وخارجها، فنعمت مصر فى عهده بالرخاء والأمن، إذ قال :

«أنا الذى أكثرت الغلال : والذى أحبه (نبر) إله الحبوب ...والنيل يحييني فى كل واد ، فلا جائع فى عهدى ، ولا ظمآن تحت سلطانى ، وذلك لامتثال الرعية لأوامرى ، واستماعهم لكلمتى ، وتمسكهم بأفكارى حتى أصبحت موضوع حديثهم .. » .

حقا كان عهد هذا الملك من أخصب عهود التاريخ القديم للأمة المصرية ، ولقد عبّد لأفراد أسرته طريق النجاح التام ، حتى استمر الحكم بين أفرادها ما يقرب من المائتى سنة .

يقول الدكتور أحمد بدوى :

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** : ج ١ طبعة ثالثة عام ١٩٦٠ ص ١٦٥ و ١٦٨ — ولرمان ورانكه : **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** تعريب د. عبد المنعم أبو بكر والاستاذ محرم كمال صـ ١٤٣ — ود . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ١٤٧ و ١٤٨ .

« إنه يشابه « حورمحب » ولا يكاد يختلف عنه إلا فى قليل من الأمر ، كان كلاهما من الشعب ، ووصل كل منهما إلى العرش ، عاشا فى أيام مليئة بالفتن والثورات الجامحة ، فما وهنا وما ضعفا ، وإنما ثبتا لأحـداث الدهر وتقلبات السياسة » .

مات هذا الملك غيلة فى قصره عام ١٩٦١ ق . م ، ولقد تمـكن المتآمرون من الوصول إلى مخدعه ، وذكرت بعض الوثائق تفاصيل هذه المؤامرة فى برديتين :

الاولى بردية « سنوهى » الذى تربطه بالأسرة المـكية قرابة ، وكان مع « سنوسرت » ولى العهد فى حملة على ليبيا وقتما حمل رسول من القصر نبأ مصرع أبيه الملك ، فعاد مسرعا إلى العاصمة فور علمه بهذا النبأ ، دون أن يعلمه للجيش .

أما البردية الأخرى ذات الأهمية الـكبرى فى شأن المؤامرة ، فهى المعروفة « بنصائح أمنمحات لابنه » وتضاربت آراء المؤرخين فيما إذا كان الملك هو كاتبها ، ولـكن الراجح أنها كتبت بعد اغتياله .

ويقول الدكتور أحمد فخرى :

« لقد كتبت دون شك بعد موت الملك على لسانه ، يتحدث فيها إلى ابنه « سنوسرت » ويوصيه كيف يسوس الملك ، ويشرح له كيف قتلوه ، فينصحه بأن يحترس من رعاياه ، ولا يظهر بينهم وحيدا ، وأن لا يثق فى أخ ولا صديق ، ويذكره بما كان يفعله من مواساة المحتاجين وتربية الأيتام ، وإغناء الفقراء ، ثم يذكر جحود الذين أغدق عليهم نعمه ، حتى كان منهم الذى حرض الجنود عليه ، وأحدث الفزع فى البلاد » .

ثم يشرح المؤامرة ضده فيقول : « انه بعد أن خلد إلى الراحة فى إحدى الليالى ، سمع وهو مستلق على سريره صوت الأسلحة وكأنما يدور البحث عنه ، فانتفض وبيده سلاحه ليحارب أعداءه ، ولاحظ أن شغبا يدور بين الحرس

المتلاحمين ، » . . ثم قال : « لست أدرى ، أ كانت المؤامرة بفعل الحريم وهل نبتت بذورها فى أركان بيتى ؟ » .

ويستمر النص فيذكر « أن ذلك حدث عندما كان » سنوسرت بعيداً ، وتملأ الحسرة الملك من خيانة خدمه وأتباعه ، ويعدد ما قام به من إخضاع البلاد لسلطانه ، وتأمين حدودها واعتراف الناس بفضله .

ويختم وصاياه بتحية ابنه وتمنيه النجاح له ، ليتم ما بدأه ،ويوصيه بعمل الخير ، وتشييد المعابد المتينة الضخمة » .

وقيل أن تدبير هذه المؤامرة كان بسبب تنافس بعض أفراد الأسرة المالكة وقد كانت نصائح أمنمحات من أحب الموضوعات الأدبية إلى قلوب المصريين من الأسرة ١٨ حتى الأسرة ٢٠ . (١)

(ج) فى الدولة الحديثة

لقد ازدهر الحكم ازدهارا عظيما فى صدر (الدولة الحديثة) وساعد استقرار الأمن داخل البلاد على نجاح الحملات شمالا وجنوبا ، فتتابعت الانتصارات الباهرة ،مما أدى إلى تأسيس أول وأقدم امبراطورية فى التاريخ، فسما مجد مصر ، وارتفع ذكرها وتهافتت الدول المجاورة لها تخطب ودها ، وسنوضح ذلك فى (الباب الثالث) .

التآمر لقتل رمسيس الثالث (١١٩٢ — ١١٦٠ ق . م .) :
كان هذا الملك فى صدر شبابه آخر الملوك الذين أحسنوا إدارة البلاد ،

---

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٣ ص ١٩٠ ، ود . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ٢١٣ و ٢١٧ .
و د . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ، ج ٢ ص ٩٨ ، ود . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ٢ ص ٣٢٦ ،
وبرستد : **تاريخ مصر من أقدم العصور** تعريب د . حسن كمال ص ١١٥ .

ونهضوا بها ، فأنقذ البلاد ـ مع والده ـ من فوضى كانت غارقة فيها ، وعمل على استقرار الحكم ونشر العدل واستتباب الأمن فى أرجائها، وظلت الامبراطورية مرفوعة عالية فى أغلب سنى حكمه ، التى بلغت نحو اثنين وثلاثين عاماً ، وبعد اطمئنانه على الجبهة الداخلية ، أخذ فى استعادة أملاك مصر فى آسيا تباعاً ، وتطهير سوريا وفلسطين من بقايا شعوب البحر ، وامتدت انتصاراته إلى الفرات ، بعد أن كانت مصر قد فقدت هذا الحد منذ زمن طويل ، وساعد على بلوغه هذه الانتصارات الباهرة استتباب الأمن داخل البلاد ، ومن قوله :

« لقد حافظت على سكان البلاد جميعاً ، وخلصت الشعب من مصيبته ، ومنحته الحياة ، وحفظته من الغاشم الذى اضطهده ، وضمنت لكل الناس سلامة مدنهم :

إلا أن الفوضى الداخلية انتشرت فى أواخر عهده واختل الأمن ، كما اضطربت الأحوال الخارجية ، للأسباب التى أوضحناها من قبل ، فحدثت ضده فى القصر مؤامرة الحريم الكبرى التى نلخصها فيما يلى :

جاء ببردية هاريس — « أن إحدى نسائه وتدعى (تى) غاظها إيثاره أحد أبنائه على ابنها « بنتاؤور » ليخلفه على العرش ، فتآمرت هى وابنها المذكور وجماعة من الحراس والحاشية على قتله ، ولكن المؤامرة كشفت فى الوقت المناسب فنجا الملك واقتص من الجناة بالعدل .

وجاء فى الوثيقة أيضاً ضمن أوراق تحقيق هذه القضية الكبرى ، أن الملك أمر بتشكيل محكمة من أربعة عشر قاضياً بينهم أربعة أجانب لمحاكمة هؤلاء المتآمرين ، وأمرهم بأن يتبعوا العدالة التامة فى محاكمتهم » .

وأثناء نظر القضية ، ظهر أن ثلاثة من القضاة وضابطين من الشرطة قد قضوا سهرة ماجنة فى منزل أحد المتهمين بالتآمر، وأسفر التحقيق فى هذا الأمر عن نقل القضاة والضابطين إلى قفص الاتهام .

وصدر الحكم بإعدام الأمير « بنتاؤور وثلاثة ممن ثبت تآمرهم معه ، وبعقوبات متفاوتة على الباقين ، وقد برىء أحد القضاة ، أما القاضيان الآخران وضابطا الشرطة فحكم عليهم بجدع الأنف وصلم الأذنين ؛ ولم يتبين من الوثيقة المذكورة الحكم الذى توقع على تى .

وأعد تقرير بالأجراءات التى تمت فى هذه القضية ، وسجل فى قسم المحفوظات الملكية ،

وتبين مما جاء فيه أن المحاكمة تمت بغاية الدقة والعدل، وروعى عدم إعلانها على رءوس الاشهاد، كما روعى أيضاً الاختصار التام فيها كى لا يصل إلى الخلف إلا القليل من تفاصيلها .

ومات رمسيس الثالث عام ١١٦٠ ق . م متحسرا على تقلب الأيام ضده ، وإنكار الجاحدين من الناس لفضله وإحسانه[١] .

---

(١) إرمان، ورانكه : **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة**، تعريب د. عبد المنعم أبو بكر والأستاذ محرم كمال ص ١٤٥، ١٤٦ ،
و د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ، طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ٣٧٠ — ٣٧٨ .

الفصل الخامس

القانون
سلاح الشرطة فى استتباب الأمن

كانت ولا تزال التشريعات والقوانين أساساً لكل المجتمعات ، إذ هى مقياس التقدم والحضارة للأمم — وقد كان لمصر فضل السبق على أمم العالم فى ذلك ، لذا كان المجتمع المصرى القديم وطيد الأركان ، راسخ البنيان ، متفوقاً فى شتى المجالات ، ونرى من عرضنا لبعض هذه التشريعات والقوانين ، أن سيادةالقانون واستتباب الأمن مدى ثلاثين قرناً ، كانا العامل الأكبر فيما تمتعت به البلاد من مجد فى الماضى ، وتاريخ مجيد مميز فى الحاضر .

١ — جريمة اليمين الكاذبة :

عقوبتها الإعدام ، ولعل الشدة فى ذلك ترمى إلى التحذير من شهادةالزورالتى تؤدى إلى ضياع الحقوق وفقدان الثقة بين الناس .

٢ — جريمة التستر على الجرائم :

عقوبتها الجلد والحرمان من الطعام ثلاثة أيام متوالية ، للقادر إذا امتنع عن معاونة المجنى عليه فى جرائم الاعتداء على النفس ، فإن تعذرت المعاونة ، وجب عليه الإبلاغ عن الجناة وتقصى أثر الجريمة، وبذلك أمكن الحد من وقوع أمثال هذه الجرائم .

٣ — جريمة البلاغ الكاذب :

عقوبتها كعقوبة المبلغ ضدهم لو ثبت إدانتهم، وفى ذلك منع للاساءة إلى الناس وتشويه السمعة ، واختلاق الأكاذيب ، نتيجة أحقاد أو ضغائن أو كراهية ،

كما أن فيه منع إقلاق سلطات الأمن والقضاء وإضاعة أوقاتهم سدى ، وهم في حاجة إليها لتوفير الطمأنينة والعدالة للمواطنين .

٤ — جريمة الزنا والاغتصاب .

(أ) من اغتصب بكراً يقطع عضو تناسله .

(ب) من اغتصب أمرأة يخصى .

(ج) من واقع امرأة برضاها يجلد ألف جلدة ، ويجدع أنف المرأة .

وفي هذا التشريع صيانة للمحرمات ، ومنع لاختلاط الأنساب ، وحماية للمجتمع ، ومحافظة على قوته وتماسكه .

٥ — جريمة الخيانة العظمى : (شكل ٢٤)

تنزع ألسنة من يفشون الأسرار للأعداء ،وفي ذلك حرص على سلامة البلاد وقضاء على الخونة .



(شكل ٢٤) جواسيس حيثيون يضربون بالعصا

٦ — جرائم الغش والتزوير :(١)

تقطع يد مطفف الكيل والميزان ومزور الأختام والسجلات ، ليحمل المجرم نتيجة جرمه مدى الحياة ، ويكون مثلا ظاهراً لكل من تسول له نفسه الخروج على القانون .

---

(١) ديودور الصقلي: **في مصر**، تعريب الأستاذ وهيب كامل ص ١٣٤ — ١٣٩ ، و
Dr. Marcel Le clère; *Histoire de La Police*, Paris 1947 p. 586.

٧ — فى الكسب غير المشروع.

ذكر هيرودوت أنه قد صدر قانون فى عهد الملك « أما زيس » أحد ملوك الأسرة ٢٦ (٥٦٨ — ٥٢٥ ق . م) يلزم المواطنين بتقديم إقرارات بأملاكهم ومصادرها ووسائل تعيشهم — ومن يتخلّف أو يزوّر يكون عرضة لعقوبة الإعدام.

وقد طبق سولون المشرع اليونانى المعروف هذا القانون فى بلاده ، وأخذ به فى عصرنا كثير من الدول .

٨ — تأجيل حكم الاعدام على النساء الحبالى :

وقال هيرودوث أيضاً : « كان من التشريع المصرى القديم أنه إذا حكم بالإعدام على النساء وكن حبالى يؤجل التنفيذ حتى يضعن حملهن » وفى هذا عدل وحكمة ، حتى لا يؤخذ الطفل البرىء بجريمة أمه ، أو أن يقتص من أثنين لوزر واحد .[1]

الاتجاه الجديد فى التشريعات الحديثة

وإن الاتّجاه الجديد فى التشريعات الحديثة يكاد يلتقى بتلك التى كانت سائدة فى مصر القديمة ، ولعل ذلك ما يشير إلى مدى الارتقاء الفكرى فى تلك العصور السحيقة ، مع التطور الحديث فى خلق مجتمع يسوده الأمن وتنظمه التشريعات والقوانين ، من ذلك : —

بالنسبة للبلاغ الكاذب :

القانون الحالى لا يصل فى عقوبة البلاغ الكاذب إلى ذلك الحد ، بل يكتفى بعقوبة الحبس مدة لا تزيد عن سنتين أو غرامة لا تقل عن عشرين جنيهاً ، ولا تزيد على مائتى جنيه(المادة ٣٠٥ ع .) .

ولكن مشروع قانون العقوبات الجديد يتجه إلى تشديد العقوبة ، وجعلها

(1) Herodote : *Histoire*, *Livre* II, 177 Collections des Universités de FRANCE, Paris 1948.

السجن إذا أفضى الافتراء إلى الحكم بعقوبة جناية ، والإعدام إذا ترتب على الافتراء الحكم بالإعدام ونفذ فعلا .

وبالنسبة للتستر على الجرائم :

فالقانون الحالى لايعاقب على عدم إغاثة الملهوف مع القدرة على ذلك ، وإن كان يكتفى بعقوبة الغرامة التى لاتزيد عن جنيه على الامتناع عن بذل المساعدة مع القدرة عليها ، عند طلبها من السلطة العامة فى حالة وقوع كارثة : كهياج أو غرق أو فيضان أو حريق (الفقرة الأولى من المادة ٣٨٦ ع .) .

ولكن مشروع قانون العقوبات : بجانب رفعه العقوبة عن هذه الجريمة إلى الحبس مدة لاتزيد على ثلاثة أشهر ، أو الغرامة التى لاتجاوز خمسين جنيها ، نص على العقوبة نفسها على الامتناع أو التوانى بدون عذر عن إغاثة ملهوف فى كارثة أو مجنى عليه فى جريمة دون أن يستلزم لذلك طلب السلطة العامة .

كما نص على عقاب الموظف الذى يهمل أو يرجئ إبلاغ السلطة المختصة بجريمة اتصلت بعلمه ، سواء كان مكلفا بالبحث عن الجرائم أو ضبطها أو غير مكلف بذلك فى حين أن القانون الحالى لايعاقب على ذلك ، ولم يتعرض هذا التشريع لعقاب غير الموظفين عن هذه الجريمة .

وبالنسبة لجريمة الاغتصاب :

فإن القانون الحالى لايفرق بين المجنى عليها ثيباً كانت أو بكراً فى جريمة الاغتصاب ، ولكن مشروع قانون العقوبات اتجه إلى جعل إزالة البكارة ظرفاً مشدداً فى هذه الجريمة .

أما جرائم الغش والتزوير والكسب غير المشروع :

فهى وإن كان يعاقب عليها فى القانون الحالى بعقوبات متفاوتة لاتصل فى شدتها إلى ماعرفه قدماء المصريين ، فإن المشروع الحديث يتجه إلى أن يخص الجرائم الاقتصادية بعقوبات بالغة الشدة ، وهى الجرائم التى تؤثر فى السياسة الاقتصادية للدولة وسلامتها .

ويلاحظ أن تلك الجرائم كانت تمثل عند قدماء المصريين مساساً بالنظام الذى يقوم عليه اقتصاد الدولة ، مما يمكن معه القول بأنها كانت تمثل صورة الجرائم الاقتصادية ، ولعل ذلك هو السبب فى اهتمامهم بها على هذا النحو .

إجراءات التحقيق

كان قدماء المصريين يتبعون فى تحقيقاتهم الجنائية وسائل تقارب الوسائل الحديثة إلى حد كبير منها :

١ — تحليف اليمين : كانوا يحلفون الشهود لحملهم على ذكر الحقيقة إذ كان الحنث باليمين يعرضهم لعقوبات صارمة كما أشرنا .

٢ — المواجهة : وكذلك مواجهة الشهود بعضهم ببعض .

٣ — الاستعانة بأهل الخبرة : جاء فى بردية هاريس « رقم ١٠٠٥٤ » بالمتحف البريطانى أنه كان يستعان بأهل الخبرة فى بعض التحقيقات التى تتطلب خبرة خاصة.[1]

المحاكمات

كانت المحاكمات تدور مشافهة ، وكانت القضايا نوعين : مدنية وجنائية .

ففى القضايا المدنية :

يشرح المدعى دعواه ، ويذكر أدلة الإثبات أمام القضاة ، فتطلب المحكمة من المدعى عليه أن يجيب على هذا الادعاء ، وبعد سماع شهادة الشهود ، والاطلاع على الأدلة ، تدون المحكمة حكمها وتنطق به .

---

١ — د. سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٤ ص ٥٨٩ — وإرمان ، ورانكه : **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** تعريب د . عبد المنعم أبو بكر والأستاذ محرم كمال ص ١٣٠ ،

و د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ٤ طبعة ثانية عام ٦٦ ص ١٤٣ ،

و . د سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٨ ص ٤٤٢ — ٤٤٥ و ٢٤٩ — ٢٥١ .

وقد وصلتنا فى عهد الدولة الحديثة عدة وثائق عن قضايا جنائية ومدنية ولعل من أظرفها وثيقة وجدت بمقبرة أحد كتاب الخزينة من عهد « رمسيس الثانى » أحد ملوك الأسرة التاسعة عشر لأحدى القضايا المدنية .

ذلك أن شخصاً نازع أرملة بعد وفاة زوجها فى ملكية قطعة أرض ، وقدمت الأرملة شكواها إلى الوزير ، وكانت مستنداتها قوائم الضرائب التى ورد فيها اسمها ، وأبرز الخصم جدولا مزوراً اقتنعت به المحكمة فحكمت لصالحه ، وكان للأرملة طفل علم بالأمر عندما شب ، فاستأنف هذا الحكم القديم الجائر وأقام الدليل على تزوير الخصم للمستند ، واعتمد على شهادة الشهود وعلى المشتركين معه فى الوراثة ، وزعم الخصم أنه ورث الأرض عن أبيه ، وأن المتوفى وضع يده عليها بلا سند قانونى ، وتمسك بالحكم السابق ، ولكن الأبن تمكن من إقناع المحكمة بعدالة قضيته وبحقه فى الأرض ، ومع أن الحكم غير واضح فى الوثيقة المحفوظة ، إلا أن مجرد تسجيل قصة الإبن فيها يشير إلى أن الحكم جاء فى صالحه .

هكذا كانت العدالة مكفولة فى مصر ، يسعى الخصوم إلى تحقيقها ، وحين لايكون هناك سند قوى ، فإن الأمر كان يترك للعدالة الإلهية لتقتص من المجرم والمعتدى .

واما فى القضايا الجنائية :

فإن التحقيق فيها كان يقوم به نائب الوزير ، ثم يعرض على الوزير . وهذا يطلع على الأوراق ، فان رأى التهمة غير ثابتة ، أشر باهداء المتهم الحياة (أى البراءة) .

أما ان ثبت الجرم فترفع الأوراق للملك ، ويترك له تحديد نوع العقوبة التى توقع ، والتى تتناسب مع الجرم ، فهى أحيانا جدع الأنف وأحيانا صلم الأذن أو هما معاً أو التى تتناسب مع الجرم ، أو النفى إلى « ثارو » أو إلى « النوبة » أو الإعدام وغيرها من العقوبات .[1]

---

(١) ديودور الصقلى : **فى مصر** : تعريب الأستاذ وهيب كامل ص ١٣٤ — ١٣٩ ، و د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** (الحضارة المصرية القديمة) ج / ٤ طبعة ثانية عام ١٩٦٦ ص ١٢٠ — ١٢٦ .

المكانة العالية للقضاء والشرطة :

كان القضاة يختارون من أفضل الرجال ، وكانت تصرف لهم مرتبات مجزية ، وكان رئيس القضاة ينتخب من بينهم ، ويتميز بحمل قلادة ذهبية بها تمثال صغير لإلهة الحق « ماعة ».

وكان لرجال الشرطة دور كبير فى معاونة القضاء ، كما كان يقع على عاتقهم مع صيانة الأمن تنفيذ الأحكام وحفظ هيبة القانون .

نظام التقاضى

واستكمالا لحلقات هذا الموضوع يجب الإشارة إلى شىء من نظم التقاضى للتعرف على روح الحق التى كفلها القانون وحرص عليها القضاة ، فقد كان المدعى يكتب شكواه بالتفصيل والمدعى عليه يكتب دفاعه — ثم يرد الشاكى كتابة على خصمه — ويدفع المدعى عليه الاتهام مرة أخرى — ثم يقدم الخصمان ما كتباه إلى القضاء ليفصل فى القضية .[1]

كلمة عن النظام القضائى

بعصر القديمة

كان الملك باعتباره مصدر جميع السلطات يباشر القضاء ، إما بنفسه فى حالات هامة ، وإما بواسطة موظفين مدنيين أو دينيين .

وقد أنشئت منذ أوائل الإمبراطورية القديمة إدارة خاصة للمحاكم سميت الإدارة القضائية يشرف عليها الوزير الأكبر ، ويتولى إدارتها الفعلية عادة أحد أعضاء مجلس العشرة الكبار ، أو المجلس الإمبراطورى ، وهو الذى كان يشرف على كافة أعمال الدولة .

---

(1) Herodote: *Histoire*, *Livre* II. 179 Collection des Universites de FRANCE, Paris 1945.

وكان استقلال القضاة يتمثل فى اليمين التى كانوا يقسمونها فى حضرة الملك عند تعيينهم ،وقد كانوا يأخذون فيها على أنفسهم عدم طاعته،إلا فيما يطابق العدل بحيث يكون لهم مخالفته ، إذا أمرهم بما ينافى ذلك .

وكان القانون يدوّن فى كتب تودع المحكمة العليا ، وبخاصة فى قاعة « حور » العظيمة التابعة للمحكمة العليا و « سخت حر » أى الإدارة القانونية .

وكانت المحكمة العليا هى الإدارة المكلفة بتسجيل قوانين الدولة والمحافظة عليها[1] .

كلمة ختامية :

ومن هذا العرض الموجز للتشريع المصرى القديم،يظهر جليامدى عدالته ومزاياه الاجتماعية، وقربه من بعض التشريعات السماوية، كما وأن هذا التشريع القديم فى مجموعه ، يتمشى إلى حد مع بعض التشريعات الحديثة ، وإن اختلف الزمان وروح العصر .

---

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٢ ص ٥١ ، ٥٢ ،
و د . زكى عبد المتعال : **التراث القانونى المصرى القديم** ص ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ .

الفصل السادس

الشرطة فى خدمة الشعب (شعار عريق)

ذكرنا أن صيانة الأمن كانت محل العناية التامة من الفراعنة وحكومات مصر القديمة، كما هى فى العصر الحديث، وكان للشرطة دور كبير فى حماية المجتمع من المفسدين والمارقين، ليسلم الوطن من شرورهم .

وأن منصب رئيس الشرطة كان من أهم مناصب الدولة ؛ لدرجة أن الملك « سيتى الأول » كان يحمل لقب « رئيس المدچاة (شرطة الصحراء) قبل توليه العرش ، وكانوا يوفرون لرجال الشرطة كل الوسائل التى تمكنهم من حسن أداء واجباتهم ، فكانوا يعدون لهم مساكن لائقة كل فى مقر عمله ، وقد كشف عن ثكنات لرجال الشرطة ورؤسائهم بطيبة الغربية وتل العمارنة .

ونظراً لأن الشرطة هى أول أجهزة الدولة تأثراً بالحكم ، إذ أنها المنفذة لسلطانه ، فقد كان ولاة الأمور الأقدمون ينيرون لهم الطريق للعمل الصحيح بالتوجيهات القويمة ، وسبق أن أوردنا بالتفصيل أكثر من نص فى ذلك من بعض الفراعنة ، وبخاصة من الملك البطل « تحتمس الثالث » إلى وزيره « رخ مى رع » فى حفلة تنصيبه ، وقد سجلت على الآثار ، وكانت دستوراً لقيام الشرطة بمهامها، من ذلك قوله لوزيره :

« . . . كن يقظا للقيام بكل الواجبات — .. يمقت الإله التحيز. . — لاتصرف شاكيا دون أن تسمع شكواه — . . وناهض الشر .. » .

وقال الوزير المذكور فيما بعد :

جعلت الخصمين يخرجان من عندى متصالحين — ولم أمل لجانب واحد

فى المحاكمة — ولم أشوه العدالة من أجل رشوة — . . وقضيت على عصابات المؤامرات الليلية — . . وأبدت المجرمين على الماء واليابسة . . . » .

وقد كانت هذه الوصايا ترسم طريق الحكم السليم ، فيها الحث على العدل ، والأمر بالمعروف ،والمساواة بين الرعية ، وتوفير الأمن، وضمان الحقوق.

وقد كان لهذه السياسة فى الحكم وعلى الأخص أيام الملك «تحتمس الثالث» الأثر الكبير فى استمتاع البلاد بالرخاء والأمن ، مما أعطى الفرصة لهذا الملك البطل ومهد له القيام بفتوحاته ، ووضع أسس أول أمبراطورية عرفها التاريخ .

وتشير آثار الفراعنة إلى الكثير من النصائح والتوجيهات الملكية ، الموجهة إلى جهاز الشرطة، التى تدل على عظيم اهتمام قدماء المصريين بحفظ الأمن وتحقيق العدالة فى الدولة ، كما تشير إلى أن رجال الشرطة لم يألوا جهدا فى أداء واجباتهم ، وكانوا فى الغالب مثلا طيبا لاتباع التوجيهات البناءة فى خدمة المواطنين ،وكان لجهود الكثيرين منهم فى مختلف العصور ، ما حفظ لمصر أمنها واستقرارها .

الباب الثالث

نبذة تاريخية عن حالة الأمن
فى مصر القديمة

الباب الثالث

١ — العصر الثيني « المبكر »

الأسرتان الأولى والثانية (٣٢٠٠ — ٢٧٨٠ ق . م) :

لقد استقر الحكم واستتب الأمن فى عهد الأسرة الأولى والنصف الأول من الأسرة الثانية، وكان توحيدالقطرين بعد ماحدث من حروب بين الشمال والجنوب وبذل جهودقوية جعل الملك «مينا»[1] يضع أساساً لتطورالنظم السياسية فى مصر، فمهد ذلك إلى نهضة مباركة ، شملت كل نواحى الحياةالمصرية، وانتهت إلى تسجيل صفحات رائعة ، وإن اكتنفتها صعوبات نتيجة الفتن الدينيةوالسياسية التى كانت تحدث من وقت لآخر ، والبلاد فى طريق النهوض والاستقرار .

وكان الملك « مينا » عبقريا مهيبا قويا ، اجتاز الصعاب التى اكتنفت هذه الوحدة فى بدايتها ، فنعمت مصر فى عهده باستقرار الحكم وإزدهاره ، بفضل جهوده المثمرة ، حتى أنهم ألهوه بعد موته ، فى احتفال دينى فى عصر الملك « رمسيس الثالث » ، إذ كان تمثال « مينا » فى مقدمة تماثيل الملوك الآخرين بمدينة (هابو) فى الجهة الغربية من (طيبة) .

قال « هيرودوت » إن من أهم أعماله السلمية تأسيسه مدينة (منف) التى ظلت عاصمة البلاد حتى نهاية الدولة القديمة ، كما أسس معبد « بتاح » الإله الرئيسى لهذه المقاطعة ، وأحاطهما بسور لكى يحميهما من ثورات كانت تحدث فى ذلك الحين ،مما ساعد على تحقيق الاستقرار التام واستتباب الأمن .

---

(١) قال د. أحمد فخرى : كان المصريون القدماء — فى الدولة الحديثة — يذكرون على آثارهم اسم « مينا » كأول ملوكهم ، وذكروا ذلك لهيرودوت ، ونص عليه مانيتون فى تاريخه ، كما كان المصريون أيضا يكتبون اسمه على جعارينهم ، تيمناً به .

ومن أهم خلفائه الذين واصلوا رسالته فى النهوض بالبلاد وبالأمن الملوك : « عحا » و « چر » و « چت » و « دن » وابنه الملك « عج — إب » والملك « سمرخت » الذى حدثت فى عهده منازعات وقلاقل بسبب اغتصاب العرش ، ثم « قا — ع » وهو آخر ملوك هذه الأسرة .

ولقد بذل أغلب هؤلاء الملوك جهودا موفقه لجلب الرخاء وتوطيد الأمن ، بالعمل على التوسع التجارى خصوصاً مع السودان ، واستغلال المناجم ، والاهتمام بتأمين دروب الصحراء ، وقد عثر على اسم الملك «چت» مكتوبا على صخور أحد تلك الدروب التى كانت تربط إدفو بالبحر الأحمر ، وقد ظل مستخدما فى جميع العصور ، سواء للتجارة أو للحصول على بعض معادن تلك المنطقة وبخاصة الذهب .

وفى عهد هذا الملك أحرزت البلاد تقدما كبيراً فى الاتقان الفنى ، يتضح ذلك من لوحته الموجودة بمتحف « اللوفر » .

ولقد كشف حجر « بالرمو » ومقابر الملك « دن » وكذلك مقابر معاصريه أنه قام بحملة عاقب فيها قطاع الطرق من القبائل الرحل بصحراء سيناء الذين كانوا يغيرون على سكان الدلتا ، وفتح حدود البلاد للتجارة الخارجية على نطاق واسع ، فساعد ذلك على تنمية موارد البلاد ورخائها .

وبلغت مدة حكمه نحو ثلاثين عاما سطر فيها جهودا عظيمة مثمرة فى خدمة البلاد ، كان فى مقدمتها العمل المنتج فى توطيد الأمن ، ولقد زاد عدد الموظفين فى عهده على اختلاف تخصصاتهم ، مما يؤكد كفاءة النظام الإدارى ، وكشفت الآثار على النهضة الشاملة التى نعمت بها مصر فى ذلك العهد وتوفير الرخاء والأمن على أكمل وجه ، ثم خلفه على العرش

ابنه الملك « عج — إب » الذى كشف حجر بالرمو الكثير من نشاطه وإنتاجه وقيامه بإحصاء شامل فى البلاد كان يتكرر كل سنتين [١] .

الأسرة الثانية (٢٩٨٠ — ٢٧٨٠ ق . م) :

واجهت تلك الأسرة الكثير من المتاعب ، وبخاصة عند محاولة تغيير النظام العام للدولة والثورة على عبادة حورس ، وكان يشق على الرجعيين إدخال أى تغيير يؤثر فى مصالحهم الشخصية ، خصوصاً رجال الدين الذين كانوا يحرصون على استبقاء نفوذهم فى البلاد وسيطرتهم على سائر الشئون .

وقد تسمى أول ملوك (الأسرة الثانية) « حتب سحموى » أى مهدىء القوتين .

وحفل تاريخ النصف الثانى من الأسرة الثانية بكثير من ألوان النزاع الدينى والفتن السياسية من اتباع « حور » و « ست » ، واتسمت بالعنف واراقة الدماء فى عهد الملك « پرى — إب — سن » الذى أعلن الحرب على « حورس » وحذف اسمه من ألقابه ، ووضع بدلا منه منافسه القديم المعبود « ست » ولم يكتف بذلك ، بل أعاد عاصمة الملك ثانية إلى العرابة ، واتجه إلى التقليد القديم وهو تشييد قبره فى أبيدوس بدل سقارة ، فقضى بذلك على وحدة البلاد ؛ واضطربت الأمور واختل الأمن .

وبجهود الملك القوى « خع سخم » الذى خلفه على العرش وعاد إلى عبادة الإله « حورس » ولم يتخل عن « الإله ست » تمكن من إخماد الفتن الكبيرة ،

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ، ج ١ ص ٩٧ و ٩٨ و ١١٥ — ود . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٧٠ و ٢٧١ — والكسندر شارف : **تاريخ مصر منذ فجر التاريخ** ، تعريب د . عبد المنعم أبو بكر ص ٤٤ و ٤٥ — د . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ، ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ — ود . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ، طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ٧٣ و ٨٢ .

بعدة حملات انتصر فيها على أهل الشمال ، ويوجد نقش على كل من تمثاليه فى متحفى القاهرة وا كسفورد يسجل انتصاره وقتله ٤٧٢٠٩ من الأعداء الشماليين وقد تمكن من إعادة الوحدة للقطرين ، فظفرت البلاد بالاستقرار واستتباب الأمن ، ومواصلة النهوض فى كافة النواحى ، وذكر ما نيتون أن « خع سخم » كان فارع الطول فقد بلغ طوله أكثر من مترين وربع ![1]

وخلفه فى العرش الملك القوى الحازم « خع سخموى » فوضع حداً للفتنة الدينية ، بأن اتخذ لنفسه شعار المعبودين حورس وست مجتمعين ، ووضعهما معا فوق اسمه ، فأرضى الشمال والجنوب ، واستمتعت البلاد بالهدوء والسلام والأمن واستكمال أكثر مقوماتها ، كما تمكن من إحراز التقدم بالبلاد فى كثير من المرافق .

وبلغت مدة حكم كل من هاتين الأسرتين نحو ٢٠٠ سنة ، وكانت حضارتهما حجر الأساس المتين فى بناء الحضارة القوية الرفيعة فى أيام الدولة القديمة .

ويقول الدكتور أحمد فخرى : « كانت الأجيال القليلة السابقة على بدء الأسرة الأولى ، وتلك القرون الأربعة التى حكم أثناءها ملوك الأسرتين الأولى والثانية هى الفترة التى تفاعلت فيها جميع عناصر الحضارة فى مصر ، وكانت هى فترة التجارب والمحاولات التى قضاها شعب فتى فى مستهل أيام حضارته ، حتى استقر أخيراً على أوضاع خاصة ارتضاها لنفسه ، ووجد أنها تعبر تمام التعبير عما يريده ، سواء فى الدين أو الفن أو فى الحياة بوجه عام ، فاستمسك بها وحافظ عليها ، لأن أساسها كان قوياً ثابت الأركان ، فلما تقدمت به مدنيته استطاع أن يرتفع بالبناء فوق ذلك الأساس فلم يخب ظنه فيه ، وعندما اتصل بغيره من الحضارات فيما بعد

---

(١) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** جـ ١ ص ٩٨ و ١٠٠ — ود. أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** جـ ١ ص ١٢٤ و ١٢٦ — ود. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانيه عام ١٩٦٠ ص ٨٣ و ٨٥ .

لم يجد من بينها ما يلائم حياته أو ذوقه خيراً مما كان لديه ، فزاده ذلك استمساكا به[١].

نواة صيانة الأمن فى العصر الثينى :

فى ذلك الماضى البعيد ، قبيل (عصر الأسرات) وكذلك فى بدء (العصر المبكر « الثينى ») كان يقوم بما يقارب أعمال الشرطة لحفظ الامن نواة من أعوان مختارين ، مندمجة فى الجهاز الإدارى وغير منفصلة عن الجيش[٢].

منصب الوزير :

بعد توحيد المملكتين فى مملكة واحدة ، زادت كثيراً أعباء الملك ومسئولياته ولذلك أنشىء (منصب الوزير) لمعاونه الملك فى الإشراف على الأعمال فى شتى أنحاء الدولة .[٢]

استخدام النوبيين فى الشرطة والجيش : (شكل ٢٥)

كان النوبيون وخاصه قبائل « المازوى » يمتازون بصفات حربية مما شجع على استخدامهم بالجيش والشرطة فى أعمال الحراسة لصيانة الأمن فى مختلف المدن والصحارى ؛ وكذلك فى حراسة الحدود وطرق المناجم والمحاجر والجبانات .

وقد كان الجنود المصريون يحرسون الحدود ويعاونهم قصاصو الأثر من السودانيين ويسمون « الميچاى » ، وقد كان استخدام هؤلاء القصاصين للاثر والمحاربين السودانيين ذا أثر عظيم فى خدمة الأمن بالبلاد .

---

(١) جون ولسون : **الحضارة المصرية** ، تعريب د . أحمد فخرى ص ٩٤ — ود. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٨٦ و٨٨ .

(٢) برستد : **انتصار الحضارة** : تعريب د . أحمد فخرى ص ٦٧ و ٦٨ .

(٣) جون ولسون : **الحضارة المصرية** : تعريب د. أحمد فخرى ص١٣٨ و١٣٩ — ود . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** : حـ ١ ص ١٣٩ و١٤٠ و حـ٤ ص٩٢ و٩٣ طبعة ثانية سنة ١٩٦٦ .



(شكل ٢٥) جند مساعدة من النوبيين فى مقبرة ثانونى بطيبة

واستمروا فى عملهم بمصر كجنود للطليعة عند الهجوم ، وكجنود شرطة إلى حد أن أصبحت كلمة ميچاى تعنى شرطة كما أسلفنا ، وقد استخدمهم ملوك الأسرة السابعة عشرة ليكونوا كشافة فى حرب طرد «الهكسوس»، ولا يزالون للآن قوام شرطة الهجانة فى مصر ، ويستخدمون أيضاً فى سلاح الحدود بالقوات المسلحة[١].

---

(١) جون ولسون : **الحضارة المصرية** : تعريب د . أحمد فخرى ص ٢٣٣ و ٢٣٤ — ود . نجيب ميخائيل : **مصر الشرق الادنى القديم** جـ ١ ص ١٤١ و١٤٢ — د . محمد أبو المحاسن عصفور : **علاقات مصر فى الشرق الأدنى القديم** ص ٢٧ .

٢ — الدولة القديمة
من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة

(٢٧٨٠ — ٢٢٨٠ ق . م)

ملوك أقوياء وأمن مستتب:

استقر الحكم وساد الأمن فى النصف الأول من هذا العهد خلال عصر الأسرتين الثالثة وأغلب عصر الأسرة الرابعة وجانب من عصر الأسرة الخامسة ؛ بعد بذل جهود قوية قضت على الاضطرابات التى حدثت فى النصف الثانى من عصر الأسرة الثانية بسبب الثورة الدينية للملك « برى اب سن » على عبادة حورس .

وكان يحكم البلاد فى هذا العهد ملوك أقوياء لهم من الشخصية والقداسة والنفوذ والسلطة المطلقة ما جعل الأمن يستتب فى عصرهم ، وقاموا بجلائل الاعمال ، وكانوا يعدون قلب الدولة ، فزاد ذلك فى قداستهم ، وبنوا لأنفسهم المقابر الضخمة ، وأهمها الأهرامات .

ولقد ظلت الدولة القديمة قائمة أكثر من خمسة قرون ، فتحقق لمصر فى أغلبها وحدة البلاد وتنظيمها تنظيما يثير الإعجاب ، مع أمن مستتب وحضارة عظيمة ظلت باقية أمداً طويلا .

وكانت الحكومة المركزية قوية فى ذلك العهد ، إذ كان للملوك قداسة فى نفوس الشعب ، وكان فى مقدمة مهامهم العمل على جلب الخصب والرخاء للبلاد والدفاع عنها وحمايتها من اغارة الاجانب ، وتوطيد الامن ، وكان حكام الأقاليم جادين فى أعمالهم وتحت سيطرة الحكومة المركزية ، وكان نظام الدولة أشبه بالهرم قمته الملك ، وتتدرج السلطة منه إلى الوزير ، ثم إلى حكام الاقاليم ، فالموظفين على اختلاف اختصاصاتهم

عهد الأسرة الثالثة (٢٧٨٠ — ٢٦٨٠ ق . م) .

الشرطة فى عصر الملك زوسر :

جمع هذا الملك السلطة فى يده ، وكان من أهم ماعنى به تدعيم الأمن

وحماية الدولة من غارات البدو التى كانت تجتاح البلاد للسلب والنهب فقسم البلاد إلى مناطق سماها أبواب المملكة تحت قيادة حكام يعرف كل منهم بمرشد الأراضى « سشم تا » وكان فى يد هؤلاء الحكام ادارة الشرطة كل فى منطقته مما أدى إلى سيادة الأمن خاصة فى الصحراء الشرقية بما فيها من مناجم ومحاجر ، وسجل فى صخور وادى مغارة تخليد ذكرى الحملات القوية لهذا الملك فى سيناء .

وكان « زوسر » المؤسس للأسرة الثالثة وأهم ملوكها ، وقد استمر تقديسه دهوراً طويلة فى أذهان المصريين القدماء ، لما قام به من جلائل الأعمال[١].

فهو أول من شيد العمارات الحجرية العظيمة بمعاونة وزيره « إيمحوتب » وفى عهده بلغ فن البناء بالحجر والنحت شأواً عظيما ، فاعتبر عصره عصر البناء وفاتحة عهد جديد فيه ، مقرونا بامتيازه الكبير فى النهوض بمختلف مرافق الدولة وكافة مظاهر الحياة ، فضلا عن أنه كان مبرزا فى العلوم والآداب ورعايته لها[٢].

العبقرى ايمحوتب ودوره فى معاونة زوسر :

كان إيمحوتب مستشار زوسر ومعماريه العظيم ، ونابغة عصره وأول مهندس معمارى عبقرى ، وأول منشىء المبانى الحجرية ، عاش فى القرن الثلاثين ق . م ، وقام بتشييد أقدم مبنى كبير بالحجر فى العالم القديم هو « هرم سقارة المدرج » ، وكان من حسن الطالع أن يحكم البلاد فى ذلك العهد الملك « زوسر » الذى عرفه وقدر

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، ج١ طبعة ثانية ١٩٦٠ ص١١٨ وج٤ طبعة ثانية سنة ١٩٦٦ ص ٨٩ — ٩٧ ، وارمان ورانكه : **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** تعريب . عبد المنعم أبو بكر والاستاذ محرم كمال ص ٢٨ ، ود . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية ١٩٦٠ ص٨٩ — ٩٥ .

(٢) جون واسون : **الحضارة المصرية** تعريب د . أحمد فخرى ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ود. سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٢ ص٤٥١–٤٥٣ وبرستد : **تاريخ مصر من أقدم العصور** تعريب د. حسن كمال ص ٨٤ .

نبوغه ، فمد له يد المساعدة ، وعاونه على تنفيذ آرائه الناضجة ،ومشروعاته المفيدة فى كافة النواحى .

وكان إيمحوتب نابغة لا فى الدين والهندسة المعمارية فحسب ، بل فى الطب والحكمة والفلك أيضاً ،وقد وضع فيها مؤلفات ،مما خلد اسمه فى التاريخ المصرى ولقد ألهه المصريون بعد وفاته ، وشيدوا له المعابد فى أواخر أيام حضارتهم [١].

عصر الأسرة الرابعة (٢٦٨٠ — ٢٥٦٠ ق.م):

يمتاز أغلب عصر الأسرة الرابعة باستقرار الحكم وقوة شخصية الملوك ونفوذهم ، وسيادة الأمن أرجاء البلاد ، والنهوض المستمر بكافة مرافقها ، وقد بلغ ذلك قمته فى عهد الملك « خوفو » .

إلا أنه فى أواخرعهد هذه الأسرة تطورت الأموروإشتدت فيها الاضطرابات بسبب الخلافات الدينية والفتن الداخلية ، فتراخت تدريجيا قبضة الملك، كما أخذت سلطة الحكومة فى الضعف .

عصر الملك سنفرو :

تولى الملك « سنفرو » الحكم وسار على منوال أسلافه بعزيمة وثابة ونشاط جم ، وأخضع بدو سيناء لسلطانه ووطد الأمن والعدل واعتبر حكمه المثل الرفيع لما بلغته البلاد من رقى وقوة ورخاء وأمن ، وأحبه الشعب ، وبلغت مدة حكمه ٢٤ عاماً ، اتسعت فيها التجارة مع الأقطار الشمالية ، وخاصة فينيقيا ، واستخدم فى ذلك أسطولا تجارياً مكونا من أربعين سفينة ، كما استخدمه فى نقل أخشاب الأرز من لبنان لصنع السفن الكبيرة وأبواب القصر .

وقد سجل حجر بالرمو أحداث ستة أعوام من حكمه ، فقد أرسل حملة إلى

(١) د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٩٠ — ٩٤ ، وبرستد : **تاريخ مصر فى أقدم العصور** ، تعريب د . حسن كمال ص ٧٤ .

بلاد النوبة ، عادت بغنائم عديدة (منها ٢٠٠٠٠٠ رأس ماشية كبيرة وصغيرة و ٧٠٠٠ أسيراً)، كما قام بحملة إلى ليبيا عادت بغنائم طائلة (منها ١٣١٠٠ رأس من الماشية الصغيرة والكبيرة و ١١٠٠٠ أسيرا) .

وقد سجلت ثلاثة نقوش (بوادى مغارة) حملات هذا الملك فى سيناء وانتصاره على بدو الصحراء ، كما جاء بحجر بالرمو أيضاً أنه كان يقوم ببناء المعابد والقلاع والمساكن ، مما يؤكد استقرار الأمن فى عهده الى أقصى الحدود وظل اسم هذا الملك مرهوب الجانب حتى الدولة الوسطى[١] .

عصر الملك خوفو :

سار الملك « خوفو » على نهج والده الملك « سنفرو » فى حكم البلاد ، وكان حكام المقاطعات تحت نفوذه المباشر ، مما جعل عصره بحق أعظم عصور الأسرة الرابعة، فاستتب الأمن وأصبحت مصر سيدة العالم دون منازع .

الهرم الأكبر:

وكان هو منشىء هرم خوفو العظيم الخالد الذى قام بتنفيذه مائة ألف عامل خلال ٢٠ عاماً، كانوا يشتغلون فيه ثلاثة أشهر كل سنة أثناء الفيضان، وكانت تشرف على أعماله الضخمة حكومة صغيرة خاصة به، وكان للقائمين بعمل رجال الشرطة فى عهده أثر فعال فى فض المنازعات بين هؤلاء العمال على كثرتهم والعمل على المحافظة على الأمن .[٣]

(١) . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ١ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ ، ود. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ١٠٦ ، ود . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** جـ ١ طبعة ثالثة عام ١٩٦٠ ص ١٢٨ — ١٣١ وبرستد : **مصر من أقدم العصور** تعريب د . حسن كمال ص ٧٥ .

(٢) د. نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الادنى القديم** حـ١ ص١٦٥ — ١٦٩، ود. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٨٠ و ٨١ .

(٣) د. أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ص ١٤٩ — ١٥٢ .

وإنصافا لتاريخ هذا الملك فيما قيل عنه من أنه استعمل السخرة بقسوة لبناء هرمه، نقول أن الثابت على وجه التحقيق أن بناء الهرم كان يتم فى مواسم الفيضان فقط، حيث لاعمل للفلاح وقتئذ بالنسبة لرى الحياض، فكان تشغيلهم فى وقت عطلتهم من الزراعة يدر عليهم وذويهم الخير.

عصر الملكين خفرع ومنكاورع :

بدأ نفوذ كهنة « الشمس » يزداد فى عصر الملك « خفرع » وأصبحوا يتدخلون فى شئون الدولة تدريجياً، وحصلت قلاقل فى نهاية عصره، وكذلك بعد وفاته، إذ استطاع الحزب المعارض فى الأسره المالكة الاستيلاء على السلطة، مما أدى إلى عدم استقرار الأمن فترة من الزمن، ثم عادت البلاد إلى حالتها الطبيعية فى عهد الملك « منكاورع » الذى كان محبوبا من الشعب لعدله وعنايته بشئونه، وإن كان الأمن فى عهده قد تسرب إليه بعض الاضطراب لعجزه عن القبض على ناصيه الحكم بالحزم الذى كان يمثله « خوفو ».

وقد حكمت هذه الأسرة نحو مائة وخمسين سنة أتسم أغلبها بالاستقرار والأمن والرقى العظيم.[1]

ابو الهول :

من أسمائه «شب عنخ» وحرفها اليونان إلى «سفنكس» ومعناها باللغة المصرية الصورة الحية أو التمثال الحى.

ويقع فى شمال معبد الوادى، وعندما اعتزم الملك « خفرع » إنشاء هرمه بالقرب من هرم أبيه الملك « خوفو » وجد أن الصخر الضخم الذى أقيم عليه تمثال أبو الهول معترضا بعض الطريق فاضطر إلى الانحراف به لمفاداتة.

---

(١) د. نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الأدنى القديم** جا ص١٧١–١٧٧، و د. أحمد فخرى **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ١١٨ — ١٢٣ — وبرستد: **مصر من أقدم العصور القديمة** تعريب د. حسن كمال ص ٧٩.

ولما كان هذا الصخر الضخم مشوها الموقع، رؤى تهذيبة والاستفادة منه بعمل تمثال عليه برأس إنسان وجسم أسد رمزاً للعقل والقوة .

ولقد استخدم عدد وافر من الفنانين والعمال مدة إنجاز هذا التمثال ، وكان للشرطة دور هام فى المحافظة على الأمن وفض المنازعات بين بعض القائمين بالعمل فيه .

وقد رمم فى عدة عصور وخاصة عصر الاسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر لان الاهتمام بأبى الهول زاد كثيراً فى العصور المتأخرة،حتى أن جاليات أسيوية من أسرى الحروب فى الدولة الحديثة كانت تقدم له العبادة والقربان كالمصريين، وكذلك الرومان كانوا يقيمون له أعياداً بحفلات الرقص والموسيقى والغناء .

وقد احتل هذا التمثال العظيم مكانة كبرى فى العالم، ولذلك فإن الزائر لمنطقة اهرامات الجيزة يجد نفسه مدفوعا للاستمتاع بمشاهدته .

عصر الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق م .)

ذكرنا أن مصر بأجمعها كانت ملكا لفرعون يحكمها حكماً مطلقاً مقدساً، يساعده فى ذلك من يختارهم من الوزراء وكبار الموظفين وحكام الأقاليم الذين كانوا يخضعون له خضوعاً تاماً. وقد كان الأمن فى أول عهد هذه الأسرة فى حالة جيدة نوعا — وبخاصة فى عهد الملكين « ساحورع » و « إسيسى » — ولكنه اختل فى أواخر عهدها لتطور العقيدة تطوراً كبيراً وكذلك مركز الملكية[1].

الملك ساحورع (٢٥٥٣ — ٢٥٣٩ ق.م) :

كان هذا الملك ثانى فراعنة هذه الأسرة خلفا للملك « أوسركاف » وقد رد القبائل الليبية التى هاجمت الدلتا على أعقابها وهزمها شر هزيمة ، وعثر فى سيناء بجدران معبد هذا الملك على لوحات تمثل انتصاره بالخارج على الليبيين

(١) د. أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** جـ١ ص١٥٣ — و د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** جـ ١ ص ١٣٩ و ١٤٠ ود. أحمد فخرى: **مصر الفرعونية** ص ١٢١، ١٢٢.

والأسيويين وعودة جيوشه بالأسرى والغنائم ، كما عثر على نقش ببلاد النوبة ، مما يدل على وصوله إليها ، كذلك عثر حديثا بهرمه على لوح حجرى (بأبو صير) وجدت عليه رسوم لأربع سفن عظيمة مشحونة بالأسرى الفينيقيين حولهم بحارة مصريون ، وتعتبر هذه أقدم رسوم بحرية وجدت حتى الآن ، فلقد شيد هـذا الملك أسطولا بحرياً جعل مصر أول دولة بحرية معروفة فى التاريخ ، وقد ساعده على هذه الانتصارات استتباب الأمن الداخلى فى البلاد .

الملك اسيسى (٢٤٧٦ — ٢٤٤٨ ق٠م) :

اشتهر هذا الملك بقوة النفوذ ، والعمل على صيانة الأمن ، والعناية بتأمين الحدود ، واستثمار المناجم والمحاجر كمحاجر وادى الحمامات ، وهو أقرب جهات البحر الأحمر لنهر النيل ، ولذلك صارت القوافل تجتاز الصحراء ، مبتدئه من (قفط) مارة بالوادى المذكور إلى البحر الأحمر ، وذلك فى منتصف حكم هذه الأسرة الخامسة ، وكان هذا الطريق أسهل المواصلات وأنفعها حربياً وتجارياً إلى الصومال وما جاورها .

واسم هذا الملك من أشهر أسماء ملوك تلك الأسرة ، لأنه يقترن بعدة أسماء من كبار الموظفين الذين عثر على مقابرهم ، ومن أهمهم الحكيم الشهير « بتاح حتب » وزير هذا الملك ورئيس قضاته وصاحب مجموعات النصائح والإرشادات النفيسة التى يعتز بها قدماء المصريين فى كل العصور ، ويعتبرونها من الذخائر القيمة فى الحكمة والتوجيه الطيب نحو السلوك الحسن .

وقد كان هذا الحكيم مشرفاً على تربية الملك إسيسى ، وكانت توجد فى عهده قوة من رجال الشرطة وحامية ثابتة داخل مناطق الحدود ، وكذلك فرق أخرى تتكون من حاميات ثابتة داخل البلاد تحت تصرف السلطة المدنية المحافظة على الأمن وتنفيذ القانون .

التطور الكبير للعقيدة ومركز الملكية :

فى أواخر عهد هذه الأسرة أخذت الحكومة المركزية تضعف تدريجياً ، وقاوم الرأى العام استنفاذ الكثير من خيرات البلاد وثرواتها فى تشييد المقابر الملكية ودبت الخلافات السياسية والدينية ، فأدت إلى إضعاف سلطان القصر ونفوذه ، واضطر بعض الملوك إلى استمالة الأنصار والأعوان من كبار الموظفين ورجال الدين باغداق الهبات والامتيازات عليهم ، وكذلك الإسراف فى الانفاق على الهياكل والأغراض الدينية والجنازية والمقابر الملكية .

ولقد ظهرت أسر كبيرة أخذت تتوارث مناصب الوزارة والوظائف الكبرى بعد أن كان فرعون يسند تلك المناصب إلى آل بيته أو لمن يصلحون لها .

وأصبح الملوك لا يستطيعون الاحتفاظ بحقهم فى عزل الحكام أو نقلهم ، مما أدى إلى تقوية سلطة هؤلاء الحكام ، وصاروا لا يبالون بصلتهم بالملوك ، وانتهى الأمر إلى استقلالهم باقاليمهم مع اشتداد الفتن الداخلية كما قدمنا ، مما أدى إلى اضطراب الأمور واختلال الأمن فى البلاد ، فأخذت الدولة القديمة تقترب بسرعة من نهايتها(١) .

الأسرة السادسة (٢٤٢٠ — ٢٢٨٠ ق . م)
واضطراب الأمن

الملك تتى وقتله :

لقد تضاءلت هيبة الفراعنة على الوجه المتقدم ، فحيكت الدسائس والمؤامرات ضدهم ، وزاد الاضطراب واختلال الأمن عندما حاول الملك تتى صرف الناس عن (المذهب الشمسى) ، بتمجيد مذهب (بتاح) إله منف وتقريب كهنته

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج ١ ص١٨٨ — ٢٠٠ ،
و د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ١٢٨ ، ١٣٨ ،
ود. سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٢ ص ٤٦٣ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ،
وبرستد : **تاريخ مصر من أقدم العصور** تعريب د . حسن كمال ص ٨٢ و ٨٣ .

إليه ، والإغداق عليهم، فاغضب ذلك كهنة الشمس،حتى دبروا مع حراسه قتله.

يقول مانيتون : « انه لم يمت ميتة طبيعية بل قتله حراسه » ، ويذكر الدكتور فخرى: «ربما كان ذلك صحيحاً ، لأن مؤسسى الحكم الجديد يكونون معرضين دائماً لانتقام من نحوهم عن السلطان ، وأبعدوهم عن مكان الصدارة » .

الملك ببى الاول :

اهتم بشؤن البلاد حتى ازدهرت فى عهده الذى طال خمساً وعشرين سنة تقريباً، فقد نهض بها نهضة كبرى، ودعم الصلة التجارية بينها وبين جيرانها من الدول، فعم الرخاء واستتب الأمن فأحبه الشعب، يؤكد ذلك النقوش التى وجدت تحمل اسمه فى صان ، وبوبسطة وأبيدوس، ودندره ، وقفط ، ونخن ، والفنتين، وحتنوب التى بها محاجر المرمر ،وتوماس فى النوبة السفلى .. وغيرها ،وتمثاله الكبير المصنوع من النحاس فى متحف القاهرة ، وتماثيله الأخرى فى غيره من المتاحف .

ولكن هذا الملك لم ينج من المؤامرات التى كانت تهدد حياته فى قصره، ولقد أوضحنا الظروف التى تمخضت عن ذلك (بالباب الثانى)

الملك ببى الثانى :

أسند إليه العرش وهو فى السادسة من عمره ، وكانت والدته وصية عليه منذ بداية حكمه ، وحكم أربعة وتسعون عاماً. ويقول الدكتور أحمد فخرى : « من سوء الطالع أن العمر امتد بذلك الملك الضعيف ، واشتدت المظالم ، وعندما فاض الكيل شبت ثورة عاتية فى البلاد ، ثورة على العرش وعلى الحكام وعلى الآلهة وعمت الفوضى ، وانتهت أيام الأسرة السادسة وأيام الدولة القديمة[١] » .

---

(١) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ، ج ١ ص ٢٠٣ ، و د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ١٤٦ ، و د. أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج ١ ص ١٧٦ و ١٧٧ .

ثورة الشعب

كانت غضبة الشعب قوية لأقصى الحدود ، فثار ثورته الاجتماعية على الأوضاع الفاسدة ، على الوجه الذى سنوضحه ، واضطرب الأمن اضطرابا شديداً ، وسقطت الأسرة السادسة والدولة القديمة ذات الصرح العالى والمجد الرفيع فى النصف الأول من أيامها المجيدة ، وفيما يلى أهم المصادر الأثرية التى صورت هذه الأحداث الفظيعة :

١ — بردية الحكيم « إيبوور » الموجودة بمتحف (ليدن) بهولندا ، ونشرت مرارا ، وأحد مترجميها المؤرخ « جاردنر » .

٢ — بردية « نفرتى » المعروفة بـ « نفر — روهو » بمتحف (لننجراد) بالاتحاد السوفيتى ، ونشرها جولينشيف « عام ١٩١٣ » وترجمها جاردنر ، و « إرمان »(١) .

٣ — بردية الفلاح الفصيح .

ولقد جاء فى البردتين الأوليتين ما خلاصته :

« أكل القوى الضعيف ، وقتل الرجل أخاه ، وسلب اللصوص المارة ، وذبحوا الكثير من الموظفين ، وأصبح الناس كالقطيع من غير راع ، لقد طفح الكيل ، وحاق بالبلاد الخراب الكامل ، وتخلى الناس عن الفضائل ، ولم يجد الشعب أمامه طريقاً غير الثورة على تلك الأوضاع ، والانتقام ممن كانوا سوط عذاب عليه ، فانطلقت الثورة جامحة مدمرة بغير حدود ، ورزحت البلاد تحت عبء ثقيل من الفوضى والخراب ، امتد قرابة قرنين »(٢) .

---

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٥٩ — ١٦١ ، والسكسندر شاوف : **تاريخ مصر منذ فجر التاريخ** تعريب د . عبد المنعم أبو بكر .

٣ — فترة الانتقال الأول أو (الفترة الأولى)

« ٢٢٨٠ — ٢٠٥٢ ق . م »

(أ) اختلال الأمن فى عصر الأسرتين السابعة والثامنة (٢٢٨٠-٢٢٤٢ ق.م):

أجمع المؤرخون على أن الشعب المصرى القديم كان على حق فى ثورته الاجتماعية الكبرى ، وأنه كان على وعى تام عندما فقد ثقته فى حكامه الفاسدين ، نذكر على سبيل المثال قول الدكتور أحمد فخرى : « صورت بردية (إيبو — ور) حالة مصر فى أواخر أيام الأسرة السادسة أبلغ تصوير ، فقد انهارت السلطة المركزية فى البلاد ، وأصبحت حدودها مفتوحة ، وما لبث أن وفدت جماعات كبيرة من البدو المقيمين على الحدود ، وبخاصة من الشرق ، وأخذوا ينهبون الناس ويشيعون الذعر فى النفوس .

وبدلا من أن يقف رجال الأمن فى وجه العابثين أصبحوا هم الآخرون ينهبون ويقتلون ، فلا عجب إذا قامت ثورة جارفة ، حطمت كل شىء ، ولم يسلم منها مدفن أو معبد أو ديوان حكومى ، وامتد غضب الشعب إلى الأثرياء فنهبوا بيوتهم ، وقتلوا من قتلوا وشردوا من شردوا ، وأصبحت الخادمات يجلسن فى أماكن سيداتهن ، وأصبح السوقة والدهماء هم أهل الحل والعقد » .(١)

ويقول الدكتور نجيب ميخائيل : « كان دور الشعب فى هذه المرحلة دوراً له قيمته من غير شك ، وكان يحس أنه لم يعد وحده صاحب السلطان بل كان له فيه أكثر من شريك .. كاهن أو ذو نفوذ .. يبتزون ماله ويلقون له بالنفاية ..

---

(١) د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩١٠ ص ١١٢ .

وزاد أصحاب النفوذ الجدد من إرهاق الشعب واستغلاله وخربت ضمائرهم، فاضطربت الأمور واختل الأمن ، وكان هذا الانحلال السياسي واضطراب نظام الحكم ، مما دفع إلى فوضى شاملة انهارت بسببها المثل ، وراح الأفراد يقلدون الحكام كل يسعى إلى مصلحته الذاتية ، غير مكترث بالدولة إن رأى تعارضا بين مايناله من نفع ومايعود عليها من فائدة .. وكانت هذه النزعة الأنانية المستحدثة دافعاً إلى فقدان المحكومين ثقتهم فى الحاكمين وتشككهم فى نواياهم ، . . ويوم يفقد المحكوم ثقته فى الحاكم لا تجنى البلاد سوى البوار . . »

« وإذن فدور الشعب هنا ليس مما يمكن أن نتغاضى عنه ، فالثورة لا تقوم من الحكام وحدهم ، ولا يستطيع حاكم طامع فى العرش أن يصل إلى هدفه إن لم تسنده شعبية ، . . وليس هناك شعب ينتصر لطاغية ليحل محله طاغية آخر ، فهو لا يتدخل فى المعركة إلا حين يحس أن خدامه من الحكام لا يقومون على خدمته ، وإلا حين يحس أنه يشقى فتمتلىء بطونهم وخزائنهم دون أن يعملوا على راحته وإسعاده » .

« فالشعب يثور لأنه يحس بغبن ، وهو لا يصل الى هذه المرحلة إلا حين يرتفع لديه الوعى والإدراك ، فالشعوب الجاهلة لا تثور ، وليس من شك أن الشعب المصرى كان قد بلغ إذ ذاك هذه المرحلة ، فأحس بوجوب تغيير الاوضاع التى درج عليها ، لأنها لم تعد تتفق ومطالبه الجديدة فى الحرية والحياة ، ولم تعد تتفق وما ينشده من عزة وكرامة يرى أنها جميعاً أصبحت لازمة لمقومات كيانه »(٢)

---

(٢) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديمة** ج ١ طبعة ثانية عام ١٩٥٧ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

ولقد عمت الفوضى واضطراب الأمن أنحاء البلاد التي كانت مفككة العرى — خلال حكم هاتين الأسرتين — وقاست مصر في ذلك العهد الأمرين ، لضعف الحكومة المركزية عن قمعها ، خصوصاً في الوجه البحري الذي استفحل فيه أمر عصابات الأشرار من البدو ، فتملك سكانه شدة الهلع والاضطراب ولم يجدوا من يكبح جماح الأشرار ويوقفهم عند حدهم ويمنع شرهم ، كرد فعل لضعف ملوك ذلك العهد ، وكثرة توالبهم نتيجة لقصر مدة حكم كل منهم ، فكانت مهمة الشرطة عسيرة وشاقة في ذلك العصر المظلم ، بل وأكثر عصور مصر التاريخية ظلاما .

وكانت الأحوال أفضل نسبياً في الصعيد وفي مصر الوسطى ، لاستقلال كل حاكم بإقليمه ، ورعايته لكافة شئونه ، ولكن لم يخل الحال من أن يجور حاكم قوى على ممتلكات جاره محاولا إخضاعه له ، فيضطرب حبل الأمن ويقع الناس فريسة هذا التعدي ، وكانت الامور تسوء لدرجة وقوع حروب بين الإقليمين ، فينجم عنها توقف الحياة العامة بسبب التخريب والنهب والقتل والتشريد .

الأسرة السابعة:

ذكر المؤرخ مانيتون أن هذه الأسرة حكمت البلاد سبعين يوماً فقط ، وهو أمر يصعب قبوله ، وخاصة أن ملوكها بلغ عددهم سبعين ، وذكر آخرون أنها حكمت عدة شهور انتهت في نفس العام (٢٢٨٠ ق . م) .

وقد كان الأمن في عهد هذه الأسرة مضطرباً لأقصى الحدود كما قدمنا

الأسرة الثامنة:

لم يختلف الحال في هذه الأسرة عما كان في عهد سابقتها ، وقد أجمع المؤرخون على أن ذلك العصر كان أكثر عصور مصر اضطرابا في الأمن.[٢]

(١) د نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج ١ طبعة ثانية عام ١٩٥٧ ص ٢٠٢ ، ود. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

ب — عصر ملوك إهناسيا

(٢٢٤٢ — ٢٠٥٢ ق . م)

عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة :

كان ملوك هاتين الأسرتين يعتبرون أنفسهم الخلفاء الشرعيين لملوك منف ، وكانوا يهتمون بشئون الدلتا أكثر من اهتمامهم بالوجه القبلى لمسالمة ملوك طيبة، ولقد عمل الملك الحازم « اختوى الرابع » (خيتى) على تأديب عصابات البدو التى كانت تنشر الفوضى والفزع والنهب بين الناس فطهر الدلتا منهم .

وحاول هذا الملك أن يفيد ابنه بتجاربه ونصائحه وتوجيهاته ، بحكم كثيرة مفيدة من الأدب العالى نكتفى منها بالبردية المحتوية على وصيته الشهيرة ، بقوله :

« كن سياسياً فى أحاديثك لأن اللسان سيف للملك ، والكلام أفعل من الحرب ، واقرأ خلاصة تجارب أسلافك ، وأهمها اتباع جادة الحق ، وإقامة العدل والتحلى بالصبر، ومغالبة الشر، والبعد عن الطمع ، وعدم معاقبة أحد بظلم ، والعمل على ترك ذكرى حسنة من حب الناس ، لأن سعادة الإنسان فى آخرته تتوقف على عمله فى الدنيا لا على قبر يبلى ، ولا على قرابين تقدم بانتظام ، ولكن الإله يعرف ما فى القلوب، ويطلب من عباده أن يحسنوا نياتهم ويذروا وراءهم الطمع والشر ، لأن النيات الحسنة هى التى يقبلها ، وهى أقرب إلى قلبه من القرابين التى يقدمها المذنبون ليكفروا بها عما اقترفوه من إثم » .

الأسرة التاسعة « ٢٢٤٢ — ٢١٣٣ ق . م » :

لم تتغير حالة البلاد فى ذلك العصر عن ذى قبل ، فقد استمر تعرض الدلتا لغزوات البدو ، وكانت الأسرة التاسعة مفتقرة لعون بعض حكام الأقاليم لرد هؤلاء الغزاة وبقدر ما كان عليه الملوك من ضعف — إذ كان لا يتعدى سلطانهم العاصمة — والبلاد

مفككة العرى بقدر ما كان حكام الأقاليم من قوة ونفوذ كبيرين فى أقاليمهم، كل منهم مستقل بكافة شئونه ، ولم يعد يربطهم بملوك إهناسيا من رابطة سوى الجزية كرمز للولاء لهم ، واستمروا يقيمون مقابرهم بالقرب من مدنهم ، ولا يعتمدون فى الدفاع عن أقاليمهم إلا على أنفسهم، وأخذوا يحصلون الضرائب من أتباعهم ، فأفلت الزمام من يد هذه الأسرة، وأصاب الضعف التام حكمها ، فتفككت عراها، وتأخرت مرافقها واضطرب أمنها، حتى آذنت شمسها بالمغيب.

فى الأسرة العاشرة (٢١٣٣ — ٢٠٥٢ ق . م .) :

بدأ الحال يتحسن قليلا ، إذ ولى عرشها بعض الملوك الأقوياء ، ومؤسس هذه الأسرة الملك « خيتى » الذى وصفه المؤرخ « مانيتون » بالظلم ، ومعاملته لشعبه بالشدة والعسف ، وكانت الظروف التى حوله من استقلال حكام الأقاليم وتنافسهم على النفوذ ، واعتداءات أشرار البدو ، واستلامه تركة مثقلة بالضعف والاضطراب ، كان كل ذلك باعثاً على أن يتبع الحزم والشدة ، ولكننا لا نلتمس له المعاذير فى أن يعامل شعبه بالعسف والظلم .

ثم دب النشاط والتقدم وخاصة فى عهد الملك « نفر كارع » ثانى ملوك هذه الأسرة.

وخلفه الملك « واج كارع » (اختوى الرابع) المعروف بوصيته الشهيرة لابنه ، وهى التى ألقت ضوءاً واضحاً على حالة البلاد فى ذلك العصر ، ولقد جاهد هذا الملك حتى طهر الدلتا من عصابات البدو التى كانت قد أحدثت الفوضى والفزع بما كانت ترتكبه من جرائم السلب والنهب ، وواصل جهوده حتى استقر له الحكم واستتب الأمن ، وحاول التخلص من أمراء طيبة وحلفائهم فى الجنوب، فوقعت الحرب بينه وبينهم وانتصر عليهم بمعاونة أمراء أسيوط ، ولكن الأمراء الطيبيين بقيادة « إنتوف » تمكنوا من استعادة ما فقدوه ثم استولوا على مدينة كوم اشقاو .

ولما تولى العرش ابنه الملك « مري‌كارع » لم يستطع مجابهة الموقف الصعب، لأن « منتوحوتب الثانى » الذى كان حاكماً قوياً على طيبة إذ ذاك ؟ واستأنف الحرب وانتصر على أمراء أسيوط ، حتى وصل بجيشه إلى الأشمونين ، مما أدى

إلى تضعضع نفوذ الإهناسيين لأنه لم يبق لهم إلا القليل من مصر الوسطى ، بينما أخذ نفوذهم يتضعضع فى الدلتا .

وفى عصر الملك « اختوى الخامس » — الذى حصلت فى عهده حوادث الفلاح الفصيح — استطاعت جيوش طيبة الانتصار التام على أسرة اهناسيا ، واخضاع البلاد كلها لحكمها .

وبذلك بدأ حكم الأسرة الحادية عشرة يحكمها الملك العصامى أمنمحات الأول الذى فرض الوحدة الكاملة على البلاد ، وأعاد إليها التقدم والرخاء والأمن[1]

الخطوط الرئيسية لذلك العصر المظلم :

تتبين من نقط ثلاث هى :

(١) وصية الملك « اختوى الرابع » لابنه الملك « مريكارع » وقد اشرنا إليها فيما تقدم .

(٢) بردية الحكيم « ايبو — ور » والفيلسوف « نسو » مما يعكس حوادث ذلك العصر .

(٣) بردية القروى الفصيح .

جـ — الأدب المصرى القديم فى عصر انهيار الملكية والسلطة المركزية

يعكس حوادث العصر

ترك ذلك الاضطراب والاختلال فى الأمن — فى عصر انهيار الملكية والسلطة المركزية فى أواخر الأسرة السادسة ، والفوضى التى تفشت فى أرجاء البلاد فى

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٢ ص ٤٢٦ و ٤٢٧ .
ود . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** جـ١ طبعة ثانية عام ١٩٥٧ ص ٢٢٧ و ٢٣٢ .
ود . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية ١٩٦٠ ص ١٦٦ و ١٧١ .

تلك الأوقات العصيبة — آثاراً ذات أثر عميق فى الفكر والأدب والدين، يعتبر من أروع ماخلفته مصر من أدب مزدهر، ولقد ظهر بجلاء فيما وصفوا به ذلك العهد التعس ما أصاب البلاد فيه من نكبات بعد انهيار الدولة القديمة، مصوراً بلغة فصيحة، وأسلوب بليغ وأدب رفيع، يحوى آراء ناضجة وأهدافاً محددة من ذلك :

بردية الحكيم الشجاع « ايبو — ور » الذى حذر الملك القابع فى قصره المطمئن إلى مايسمعه من رجال حاشيته من أكاذيب، بأن طلب منه إنقاذ الوطن من سوء الحال الذى انحدر إليه، فى لغة بليغة مؤثرة بقوله : « إن القيادة والفطنة والصدق معك، ولكنك لاتنتفع بها، فالفوضى ضاربة أطنابها فى كل مكان فى طول البلاد وعرضها، ولكنك مع ذلك تغذى بالأكاذيب التى تتلى عليك، فالبلاد قش ملتهب، والإنسانية منحلة، ليتك تتذوق بعض هذا البؤس بنفسك » .

بردية نفرتى :

وهو رئيس الكهنة وصاحب النبوءة التى قيل أنه قصها على الملك « سنفرو » أول ملوك الأسرة الرابعة بما ملخصه : أن أحد الملوك سيقوم بإنقاذ البلاد من فوضى ستتعرض لها .

وذكر الدكتور أحمد فخرى : « من المرجح جداً أنها كتبت فى أوائل أيام الأسرة الثانية عشرة، وربما فى عهد الملك «أمنمحات الأول» كدعاية سياسية له لمحاولة إقناع الشعب بأن إنقاذه لمصر أمر يحقق إرادة الآلهة منذ زمن بعيد، وكان هذا الملك عصاميا صادفته صعوبات عديدة، فاستفاد بنشر هذه النبوءة على اوسع نطاق، وقد تم له ماأراد من استقرار الحكم والأمن بعد اقصائه حكام الاقاليم الغير موالين له، ومابذله من جهود مثمرة للنهوض بالبلاد بفضل عبقريته وذكائه وشجاعته وحسن إدراكه للأمور »[1].

---

(١) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم**، جـ١ ص ٢٥٥ — ٢٥٦.
ود. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية**، ص ١٥٩ — ١٦١ — ٢١٢، ٢١٣،
ود. محمد أنور شكرى : **حضارة مصر والشرق الادنى القديم**، ص١٥٧—١٥٩.

وبردية الحكيم نسو :

كان هذا الفيلسوف أديباً كبيراً، متمسكا بالفضيلة والتقوى ،صور فى برديته مفاسد المجتمع ، وتتلخص فلسفته فى :

صراع المتعب من الحياة مع روحة ، ومن فساد الناس ، وأنه قد راود نفسه بمحض إرادته على الموت ، للتخلص مما شاهد فى مجتمعه من النكبات والخطايا والذنوب ، ولكن روحة كانت تثنية عن ذلك ، ثم يستعرض المساوىء الفاشية ، وتحاول نفسه تبغيض الموت اليه ، ونسيان همومه ، وترغيبه فى مباهج الحياة ، ويدور فى أعماق نفسه حوار طويل متعدد الجنبات، فلايقتصر على آلامه الشخصية كهجر إخوانه له وعدم وفائهم فحسب ، بل لتألمه من انتشار الآثام ، ووقوع البلاد فريسة الأشرار الذين استباحوا كل المحرمات ، وعرضوا مجد مصر وتاريخها الخالد للهوان ، وأبدى عدم رغبته فى العيش بين هؤلاء الآثمين .(١)

(د) الفلاح المصرى الفصيح وشكاويه

حدثت وقائع هذه البردية فى أواخر الأسرة العاشرة فى اهناسيا ، وكانت من أحب قطع الأدب وأكثرها انتشارا فى الدولة الوسطى ، وقد ترجمت إلى عدة لغات وأحدث ترجمة لها للمؤرخ ولسون ، وعربها الدكتور سليم حسن فى كتابه — الأدب المصرى القديم — الجزء الأول .

ويدعى هذا الفلاح « خوان أنوب » وهو من أهالى وادى النطرون فى الفيوم تقدم للمختصين بتسع شكاوى تدل على أن الأمن لم يكن مستقراً فى ذلك الحين . ويقول الدكتور أحمد فخرى « إنها تحث على إعطاء الفقير حقه ، وحمايته من الغنى الطامع ، وأن يكون الحاكم سياجاً وملجأ للمظلوم ، وأن يخشى عقاب الله إذا انحرف عن الطريق السوى، ونلخص هذه البردية فيما يلى:

---

(١) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج ١ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، والكسندر شارف : **تاريخ مصر من فجر التاريخ** ، تعريب د . عبد المنعم أبو بكر ص ٧٦ ، ٧٧ .

سار هذا الفلاح بدوابه محملة ببعض الحاصلات إلى اهناس للتجارة فيها ، فمر بمنزل « تحوتى نخت » أحد موظفى « رنسى » ، مدير بيت الملك (ناظر الخاصة) فضرب هذا الفلاح ضرباً مبرحاً ، واغتصب دوابه بحجة أكلها لبضع سنابل من قمحه ، وبالرغم من استعطافه له ، عشرة أيام لم يرق له ولم ينصفه ، فلما يئس قصد إلى « رنسى » ليشكو إليه ما حاق به ، وذلك عندما كان يحاول ركوب سفينة ليعقد فيها جلسة للمحكمة ، وقص عليه قصته بلغة فصيحة استرعت سمعه ، فرفع « رنسى » قضية ضد « تحوتى نخت » أمام قضاة المحكمة معه ، الذين بعد تشاورهم قالوا : إن هذا القروى لا بد أن يكون أحد فلاحى « تحوتى نخت » الذين تركوا العمل عنده ، وذهب ليعمل عند الآخرين ، وأن ما حدث له هو ما يستحقه أى قروى يفعل ما فعله ، وأردفوا ذلك بقولهم : أعلى مثل ذلك يعاقب تحوتى نخت بسبب كمية تافهة من النطرون وشيء قليل من الملح ؟ أصدر إليه أمرك بأن يعوضه عنها وسيفعل ذلك ، ولكن رنسى لزم الصمت ، فلم يرد على القضاة ، ولم يرد على القروى الفصيح .

وجاءه هذا القروى مرة ثانية ، شاكيا ومذكرا إياه باليوم الآخر ، ويطالبه بإقامة العدل حتى يناله بعد موته ، وقال له : « إنك أبو اليتيم ، وزوج الأرملة ، وزوج المرأة المهجورة ، ودثار من لا أم له » .

ثم ذهب رنسى إلى الملك «بنكاورع» (اختوى) آخر ملوك الأسرة العاشرة ، وأنبأه بأنه قص عليه قصته بلغة غاية الفصاحة استهوته واسترعت سمعه .

ولما سمعها الملك أمر المدير أن يسجل عنده هذه الشكوى ، ويبلغه بكل ما سيقول الفلاح ، ويجعله يطيل إقامته ليستمر فى الشكوى ، وأمره بأن يمده هو وأسرته بالمؤونة دون أن يعلمه بأن الملك أمر بذلك ، فنفذ المدير الأمر .

ثم عاد الفلاح مرة بعد أخرى إلى الشكوى من الحكام والقضاة ، واختلال الأمن فى الطرق وفقدان الوازع النفسى ، ومحاولة خادم المدير عدم اتصال الفلاح بالمدير ، وأوضح له كل ذلك بفصاحة ، وقد بلغت شكاواه تسعا

ومما قاله للمدير « من الذى يكبح جماح هؤلاء ؟ من الذى يجب عليه أن يقضى على الفقر ويصلح الخطأ ، من يجب أن يكون منصفا ، أهو الظالم ؟ والذى كان موضع الأمل أصبح فى صمم وإغضاء » .

وتوجه رنسى إلى الملك « نب كاورع » وأبلغه إياها ، ووصف إعجابه بفصاحة هذا الفلاح وحسن بيانه ، فقال جلالته « استزده من القول ، وأبلغنى مايقول ، على أن تسجل شكاواه ، وترفع إلينا ، ثم عليك أن تواصل تزويد زوجته وأطفاله بالمؤونة دون أن يعلم أنك أنت الذى أعطيته إياها » .

فأعطى « رنسى » التموين الكافى لأحد أصدقائه ليقدمه إلى « الفلاح » ثم أمر شيخ بلده « سخت حموت » أن يقدم لزوجة ذلك الفلاح وأولاده ما يكفيهم من التموين كل يوم [1] .

ثم أتى له هذا « الفلاح » ليتظلم إليه مرة أخرى وقال :

« يأيها المدير العظيم ، إن العدل ميزان ، والاستقامة واجبة فى العمل ، والانحراف مخل بالمصالح ، وقد أخذ الحكام يشاغبون ، وينحاز بعضهم الى بعض ، والقضاة ينحرفون ، والوزاع النفسى يتلاشى ، والأمن يختل ، وخادمك يحول بينى وبين الاتصال بك » .

وقال المدير « رنسى » :

« هل تعتقد أن ممتلكاتك أمر أهم من أن يقصيك خادمى » ؟

ثم واصل « الفلاح الفصيح » شكواه فقال :

« إن كيال الغلال يعمل لمصلحته الشخصية ، وذلك الذى يجب عليه أن يقدم حسابه تماما يجور على متاع غيره ، وذلك الذى يجب عليه أن يحكم بمقتضى القانون يأمر بالسرقة .. فمن ذا الذى يكبح جماح هؤلاء .؟ »

---

(١) د. سليم حسن : **مصر القديمة** جـ٢ ص ٤٣٦ — ٤٤٨ ، ود. محمد أنور شكرى : **حضارة مصر والشرق الأدنى القديم** ص ١٥٨ ، ود. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ١٧٦ ، ١٧٨ .

« إن إصلاح الخطأ بطىء ، ولكن الضرر سريع ، والعمل الطيب يصلح ما فسد ، والحكمة تقول (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به[١]) ».

ولقد مل هذا الفلاح من تكرار الشكاوى دون طائل ، وذكر « رنسى » بأنه هو المسئول عن نكبته ، وأنه سيقف يوما ما ليحاسب على ظلمه له ، وظن فى « رنسى » تعمد الإهمال ، وعدم الاستجابة لما يشكو منه ، فقال : « إن المبصر قد غشى بصره ... ثم دعى على (رنسى) بما وسمه من دعاء » .

وانصرف بعيداً ، فأرسل رنسى من عاد به إليه ، فظن التعس أنه سيعاقبه ، وقال « إنى تواق إلى الموت كما يتوق الظمآن عندما يقترب من الماء ، وكما يتوق فم الرضيع إلى لبن أمه » فرد عليه « رنسى » قائلا : «لا تخف أيها القروى ، إنك ستقيم معى » ولكن يأس القروى كان قد بلغ نهايته فقال : «لن آكل خبزك ما حييت» ولكن رنسى قال له «تعال من هنا حتى تستمع إلى ما قلته من شكاوى» — وأمر أن تقرأ عليه من بردية سطرت عليها ، ثم حملها إلى الملك الذى أعجب بها ، وأصدر أمره لرنسى بأن يتولى الحكم فى هذه القضية ، فأرسل اثنين من رجال الشرطة لاحضار « تحوتى نخت » وأصدر الحكم عليه بمعاقبته بإعطاء كل ممتلكاته إلى هذا القروى تعويضا له عما فقده ، مع رد متاعه إليه .

وفى قصة هذا الفلاح الفصيح الشجاع تصوير لمثل حى ناطق عن المساوىء الاجتماعية والظلم الذى حاق به من موظف مسئول ، وكان يحصل لأمثاله من الفقراء والضعفاء ، ومدى عناية الملك ومدير بيته بتحقيق العدالة ، والفصل فى الشكاوى والتظلمات بالعدل والإنصاف ، فقد كان الحاكم سياجا يحمى الضعيف من عسف القوى ، ومعاقبة من يعتدى على القانون أو على حقوق الأفراد العقاب الرادع ، فآمن الموظفون الذين ينتمون إلى ذوى النفوذ من بين الحكام ، أنهم لا يستطيعون أن يظلموا القرويين الفقراء ، دون أن تنالهم يد العدالة ، بالحزم الواجب .

---

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ، طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، وبرستد : **فجر الضمير** . تعريب د . سليم حسن ص ١٩٧ ، ٢٠٦ .

وقد كان لذلك أثره فى المجتمع ، وفى سيادة القانون والعدل بين الناس مما كان له أحسن الأثر فى حالة الأمن فى البلاد .

(هـ) القيم الاخلاقية للمجتمع المصرى القديم

كان المصرى القديم يحب عائلته ومنزله ، ويكن لوالديه الحنان والعطف ، ويعتز بصلته بأقاربه ، ويعتبر بلدته هى دنياه .

ومن خلقه التسامح والقناعة والصبر على مشاق الأعمال ، وبقدر ما كان يبدو على وجوه المصريين فى الدولة القديمة من الشدة ، كان يبدو عليها فى الدولة الحديثة الرقة نتيجة لحياتهم المترفة .

وكان المصرى القديم يهتم بآداب السلوك فى الحياة الرسمية والدينية ، مما أدى إلى رفع مستوى البلاد الاجتماعى ، وإلى وجود رأى عام مستنير مهذب ، كان له أثره فى المجتمع وفى حالة الأمن . (١)

(و) حكام الأقاليم

لقد مهد استقلال حكام الأقاليم بأقاليمهم إلى انهيار الملكية والحكومات المركزية ، وتفتيت الوحدة ، ومع ما لذلك من الأثر السيء فى البلاد عامة ، فقد كان سببا فى بذل بعضهم جهده فى النهوض بإقليمه ، والعمل على رفاهية أهله ، ونشر العدل والأمن بينهم ، مما جعله يفخر بذلك ويباهى به مثال ذلك :

ماذكر بنقوش مقبرة « تف إيب » حاكم أسيوط :

«إذا جن الليل دعا لى النائم فى العراء، لأنه أصبح آمنا كأنه ينام فى بيته، لأن قوة جنودى كفيلة بنشر الأمن على الناس وحماية أرواحهم ».

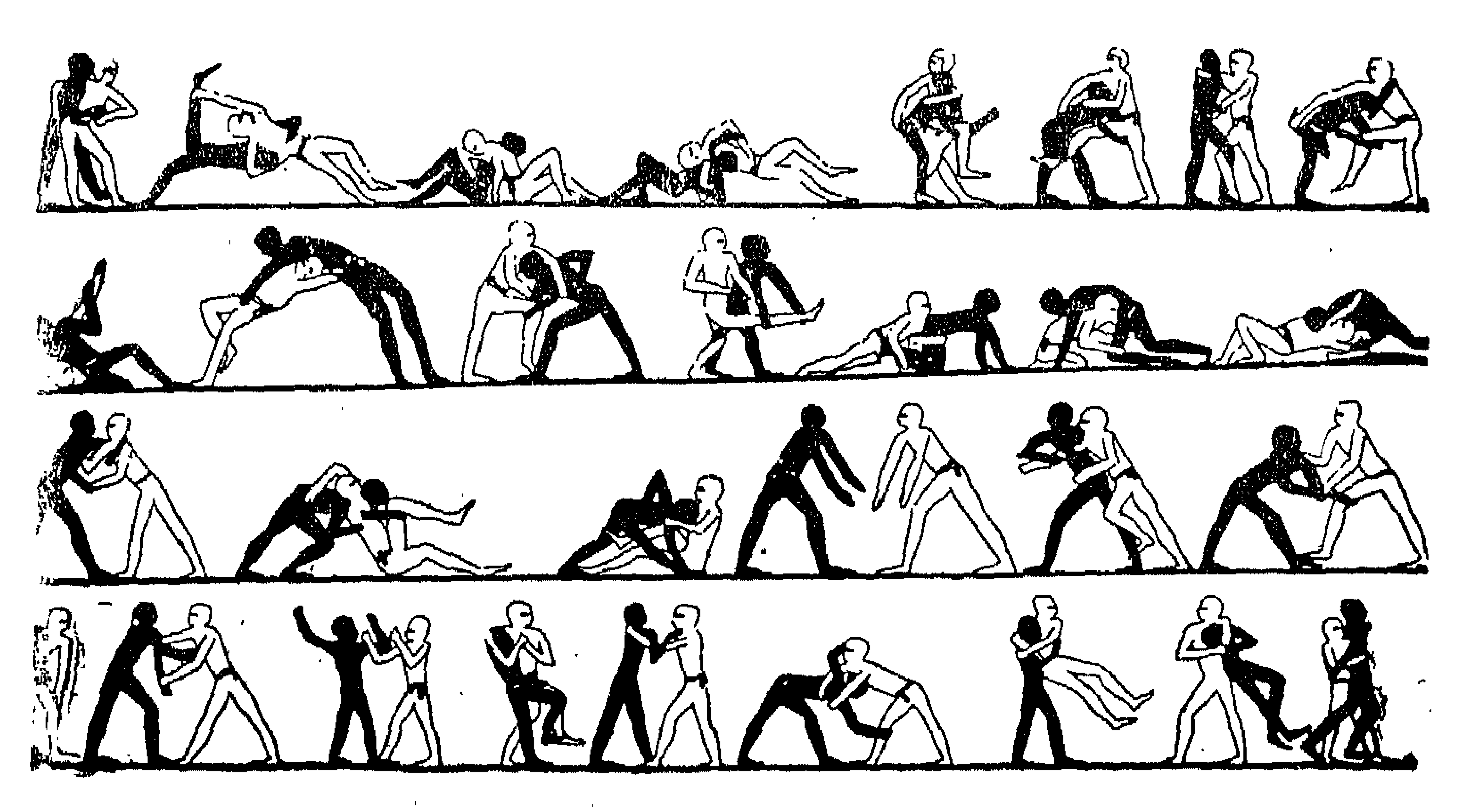
---

(١) ول ديورانت : **قصة الحضارة** جـ٢ «الشرق الأدنى» تعريب الاستاذ محمد بدران ص٩٥ ، ٩٦ — والأستاذ محمد صابر : **مصر تحت ظلال الفراعنة** ص ٤٧ .

وحاكم آخر بأسيوط يقول :

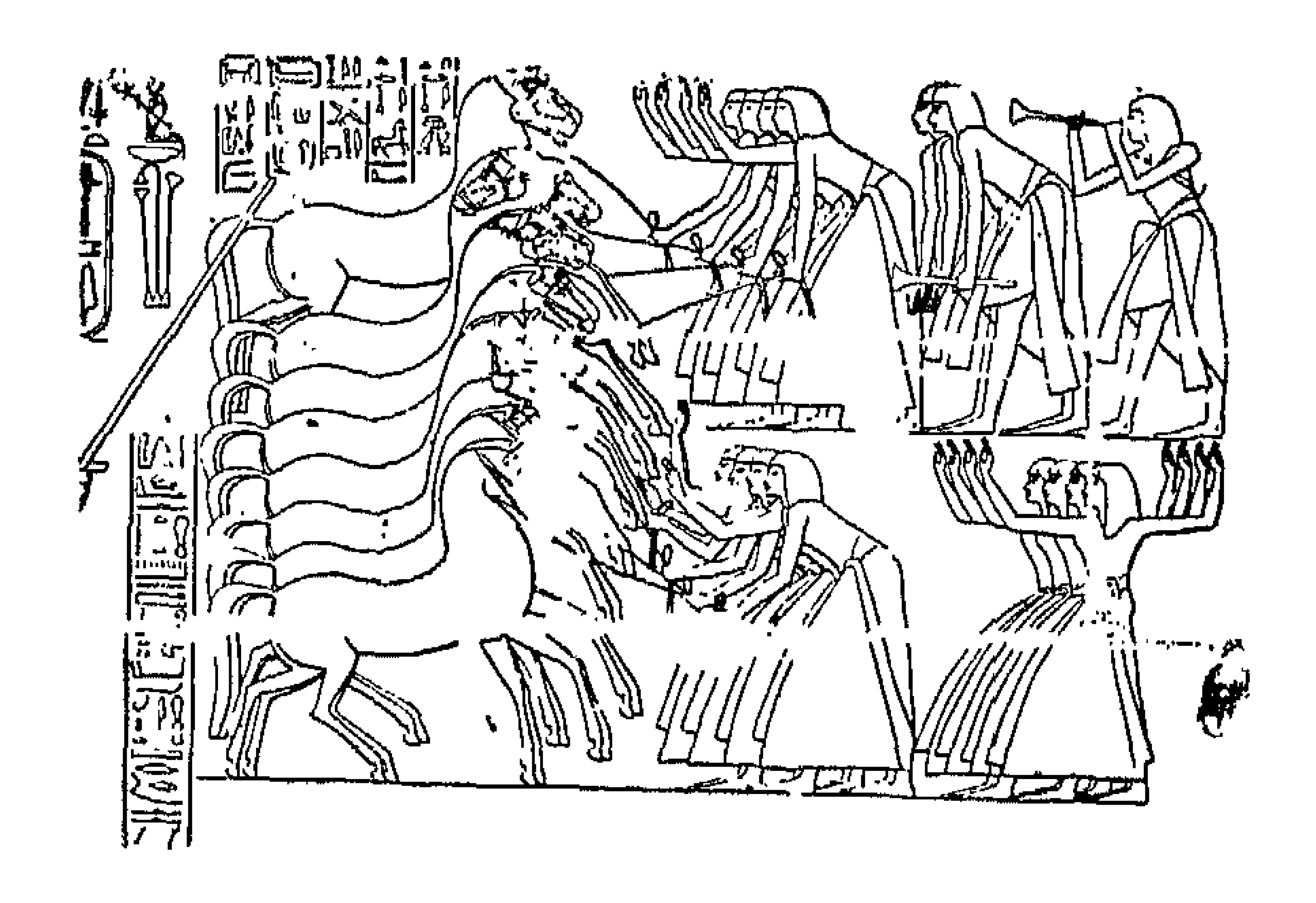
« إنه عندما بلغ منصب الإمارة ، أخذ فى إصلاحه والنهوض به فى كافة المرافق وتوطيد الأمن فى أرجاء البلاد ، وأن المرأة التى لازوج لهاتبيت وحدها وباب بيتها مفتوح ، لاتخشى شيئا ، لأن سطوة رجال الشرطة ويقظتهم نشرت الأمن والطمأنينة التامة بحيث لايخشى أحد على حياته أو عرضه أو ماله .

وكان بعض هؤلاء الحكام يفخرون أيضا بأنهم أحسنوا تدريب جنودهم جسمانيا، فصوروا على مقابرهم فى (بنى حسن) بالمنيا تمارينهم الرياضية (شكل ١٢) وكيفية استعمال السلاح، ومنه رمى القوس والمبارزة والمصارعة والفروسية (شكل ١٣) ، وحمل الأثقال والسباحة، وذلك لتقوية عضلاتهم ، ومرونتهم وسرعة حركاتهم ، لكى يصبحوا أكفاء للنهوض بواجباتهم على وجه مرضى [1].



(شكل ١٢) التربية الرياضية لجنود الشرطة فى مقابر بنى حسن

(١) د . نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم جـ١ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .



(شكل ١٣) تدريب الجياد فى مدينة هابو

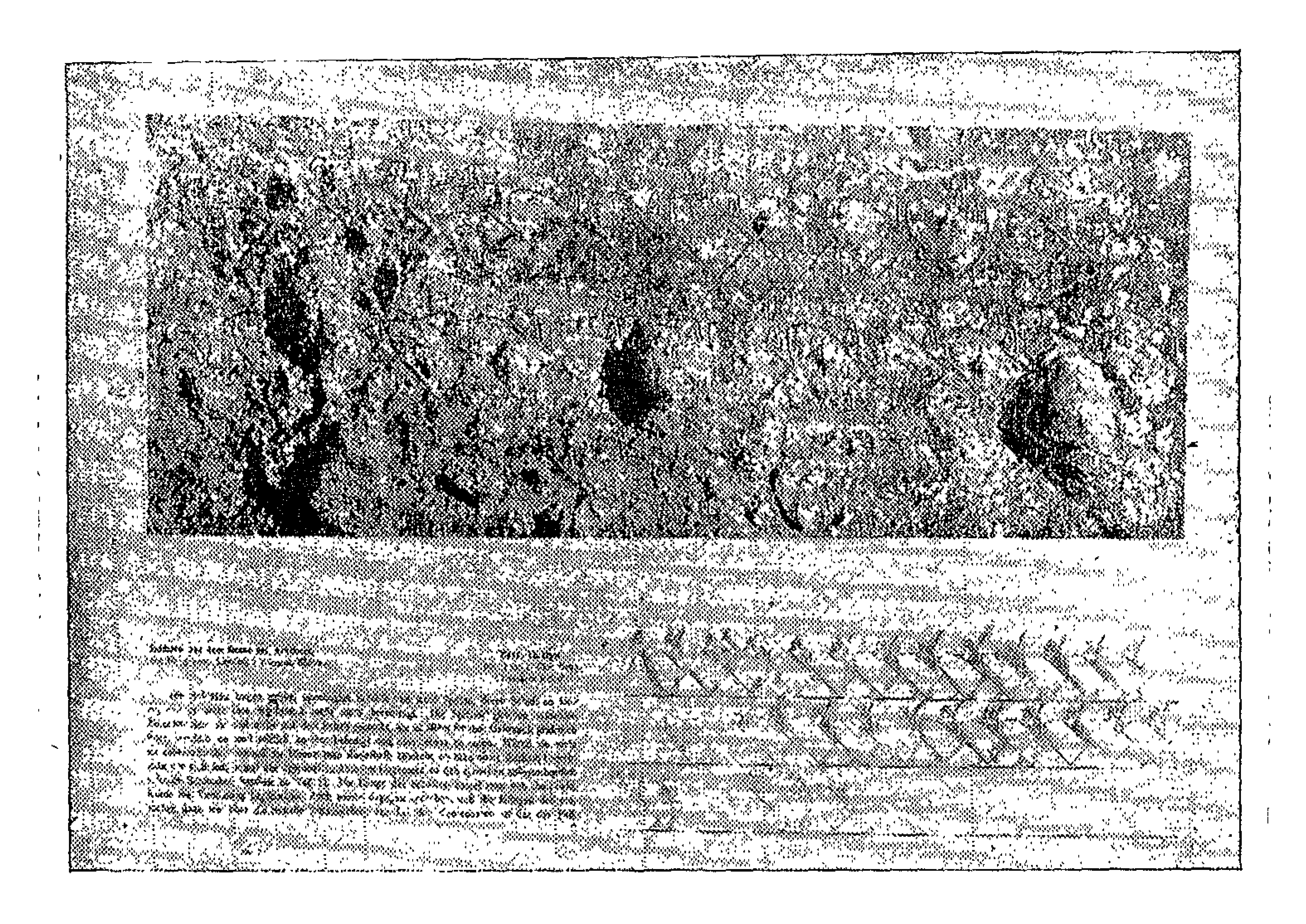
ومع أن نقوش بعض المقابر كانت تشير إلى ماتتمتع به البلاد إذ ذاك من الأمن والرفاهية ، إلا أن الظاهر أنها كانت شعاراً يخفى وراءه اضطراب الأمور والفوضى واختلال الأمن بكثير من الأقاليم فى ذلك العهد .

مثال ذلك :

١ — من بين ما عثر عليه من نصائح للملك « مرى إيب رع » (أختوى) مؤسس الأسرة التاسعة قوله: « على من يريد أن يعيش آمنا أن يكون مستعداً للحرب » .

٢ — وظهور صور الأسلحة والجنود بكثرة ، وما جاء بنقوش على جدران مقبرة (خيتى بن تف إيب) أحد أمراء أسيوط من أن كل موظف كان فى عمله ، وأن أحداً لم يقتل ، ولم يرم عن قوسه ، وأن الأطفال لم تقتل إلى جانب أمهاتهم ، ولا الفلاحين إلى جانب زوجاتهم » (شكل ١٤) .

= ود . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٢ ص ٢٠ ،
ود . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ١٨٢ ، ١٨٣ ،
ود . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ، ج٢ ص ٢٠ ، ٢١ ،
وإرمان ورانكة : **مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** تعريب دكتور عبد المنعم أبو بكر والأستاذ محرم كمال ص ٢٩ .



(شكل ١٤)منظر من مقبرة « حيتى الثانى » حاكم أسيوط يمثل ثلاثة صفوف من الجنود

فإنه لو كان ذلك هو الواقع ، لما أقدم الملك « وادج كارع أختوى الرابع » من الأسرة العاشرة (٢٢٨٠ ق . م .) على إصدار مرسوم « يهدد فيه كل من يجرؤ على تحطيم التماثيل وموائد القربان ومقاصير المقابر ، وإتلاف النقوش أو أى أثر آخر من أى نوع كان، يعاقب بأقسى العقوبات،وذلك بحرمانه من إرث آبائه، وعدم دفنه بين الأبرار » .(١)

الدولة الوسطي

الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة

(٢١٣٤ — ١٩٩١ ق . م) (١٩٩١ — ١٧٧٨ ق . م)

بعث الدولة من عثرتها :

كان هذا العصر بدء ازدهار جديد فى التاريخ المصرى القديم ، ولقد عملت

(١) دكتور نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ١ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٩ ،

ود . محمد أنور شكرى : **حضارة مصر والشرق القديم** ص ١٥٧ .

الدولة الوسطى على استرداد مكان مصر المعروف بامتيازه في (النصف الأول من الدولة القديمة) بعد تلك الحروب الأهلية المتعاقبة التى استمرت زهاء ثمانين عاماً ، بسبب تنازع السلطان بين البيتين الكبيرين فى طيبة وفى إهناسيا ، ولئن كان فى (الأسرة الحادية عشرة) بعض ملوك ضعاف ، فقد كان فى أواخرها ملوك أقوياء ، سيطروا على مصر كلها ، واستعادوا وحدتها ، وعملوا على استقرار الأمن فيها ، وسنذكر لمحة عن كل منهم فى (هذا الفصل)[١].

جهاز الشرطة فى عهد الدولة الوسطى :

ظل جهاز الشرطة مرتبطاً (بالجهاز الإدارى) فالوزير وهو ممثل فرعون والرئيس الأعلى للادارة والشرطة ، كان يتولى الإشراف على كافة شئون الدولة ومنها الأمن ، ولقد عثر على لوحة بمتحف (برلين) لشخص يحمل عدة ألقاب من بينها لقب (مدير الصحراء الغربية) ولقب (رئيس المرور والشرطة) فى هذه الجهات ، وعليها أيضاً موجز ليقظته ونشاطه ، فيقول : « وصلت إلى الواحات الغربية ، وفحصت كل أطرافها ، وقبضت هناك على الهاربين من الأحكام .. وقد ظل جنودى سالمين ، ولم تحدث أية خسائر فى الأنفس بينهم » — إذ المعروف أن الأشقياء المحكوم عليهم كانوا يهربون فى الصحراء[٢] وكانت توجد فى ذلك العهد وظيفة « الوعرتو » الكبير لأهالى المدينة ، ويقول دريوتون « إنه كان يقوم بدور (المأمور) تقريباً فى نظامنا الحالى »[٣].

ازدهار الثقافة والقوة والأمن فى عهد الدولة الوسطى :

كان لجهود ملوك (الدولة الوسطى) نشاط وافر فى دعم الحكم والأمن ، كما ازدهرت فيه الثقافة ، وكانت مصر إذ ذاك أعظم الأمم ثقافة وقوة فى بلاد المشرق القديم ، وكان نفوذها الثقافى يتغلغل خاصة فى سوريا وفلسطين ،

---

(١) د . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** : ج ٢ ص ٨٥ ، وشارف : **تاريخ مصر من فجر التاريخ** ، تعريب د . عبد المنعم أبو بكر ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٢ ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(٣) دريوتون ، وفاندييه : **مصر** : تعريب الأستاذ عباس بيومى ص ٣٣٨ .

وقد اهتم ملوكها بتأمين حدودها الغربية والشرقية ، وتحصين وتأمين واحات الصحراء الغربية ، وإرسال دوريات من رجال الشرطة للتفتيش على الطرق لتأمينها .

(أ) الأسرة الحادية عشرة

حكام طيبة الملوك (أسرة إنتوف)

(٢١٣٤ — ١١٩١ . ق . م .)

انتوف الأول وجهودة لاقرار الأمن :

هو موجد أمراء (طيبة) الذين أصبحوا فيها بعد ملوكاً، وكان أميراً عظيماً، قدسه أهل طيبة، وأخذ الأمن يستقر في عهده ولعلو مكانته نقش الملك « تحتمس الثالث » اسمه في قائمة أجداده الخاصة بمعبد الكرنك وذلك بعد مضي ثمانمائة عام، إذ كان أول أسم نقشه فيها (للاسرة الحادية عشرة) هو الحاكم والأمير المبجل الوراثي[1].

انتوف الثاني « ٢١٣١ - ٢٠٨٢ ق . م »:

حكم نحو خمسين عاما وكان طموحا حازما عمل على التوسع وأحسن إدارة البلاد ، واختيار معاونيه في إدارتها ، وكان من الحكام الأقوياء ، اهتم باستتباب الأمن، وقد عثر على لوحة لأحد كبار موظفيه واسمه « ثثي » نقش عليها مالخصه : «لقد كنت حازما جم النشاط ، موضع ثقة عند سيدي وحا كما هادىء الأخلاق أحب الخير وأكره الشر ، وأقوم بالواجب بنزاهة وإخلاص . . وإذا وليت عملا كنت عادلا فيه » .

انتوف الثالث (٢٠٨٢ — ٢٠٧٩) ق . م :

كان هذا الملك متقدما في العمر ، حكم مدة قصيرة لم تتجاوز العامين ، وكل ماخلفة قبر شاهق لنفسه ، يعلوه هرم وضع أمامه لوحة .

---

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٣ ص ٥ ، ود . أحمد فخري : **مصر الفرعونية** ص ١٨٤ ، ود . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** جـ ١ طبعة ثالثة عام ١٩٦٠ ص ٢٤٥ .

وجاء ببردية « أبوت » عن تفاصيل سرقة مقابر الملوك فى الأسرة العشرين ، «أن لجنة التحقيق زارت هذا الموقع ،وأشارت فى تقريرها أنها وجدت هذه اللوحة فى ذلك المكان أمام الهرم ، وكانت نتيجة فحصهم لهذا القبر أنهم وجدوه سليما لم يسرق منه شيء » واللوحة المشار إليها فى المتحف المصرى الآن .[١]

وفى لوحة تركها موظف كبير فى عهده اسمه « كارو — أنتف » ذكر فيها أنه أدى أعمالا حسنة بقولة : « قدمت سفينة للغريق ، وأعطيت العطشان ماء ، والجوعان طعاماً » .[٢]

الملك منتوحتب الثانى يعيد الوحدة ويوطد الأمن (٢٠٦١ — ٢٠١٠) :

تولى العرش بعد وفاة أبية الملك « منتوحتب الأول « ٢٠٧٩ — ٢٠٦١ »وقد كان أقوى ملوك هذه الأسرة وأحزمهم وأول ملوك طيبة ، تولى العرش على الوجهين البحرى والقبلى ، وأعاد الوحدة فيهما ، وكانت انتصاراته خارج الحدود بداية عهد جديد نهضت مصر فيه نهضة كبيرة ، كما تمكن من توطيد دعائم الأمن ، وقد حكم واحد وخمسين عاماً تقريباً تمتعت فيه البلاد بالاطمئنان والرفاهية ، وسالمه أمراء الأقاليم ودانوا له بالطاعة والولاء.[٣]

وسائل حقا نخت وأمن منتتب :

كان حقا نخت من الكهنة ، وقد وكل إليه الوزير « إيبى » إدارة أملاكه التى أوقفها للصرف من ريعها على مقبرته ، لذلك كان يجوب أطراف البلاد ، ولم

---

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٣ ص ١١ ، ١٣ ، ود أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ود . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ١ طبعة سادسة عام ١٩٦٦ ص ٢٤٥ ، ٢٤٧ .

(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٣ ص ٢٧ ، ود أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ١٨٧ .

(٣) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٣ ص ٢٩ ، و د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ١٨٧ ، ٢٠١ .

يتعرض له أحد بسوء لا فى نفسه ولا فى ماله ، لاستتباب الأمن فى البلاد فى ذلك العهد بفضل كفاءة الشرطة وجهودها إذ ذاك .(١)

منتوحتب الثالث (٢٠١٠ — ١٩٩٨ق.م) :

سار على نهج أبيه فى الإنشاء والتعمير ، واهتم بالمناجم والمحاجر ، وأرسل حملة من ثلاث آلاف شخص ، عن طريق وادى الحمامات إلى شاطىء البحر الأحمر وصنعوا السفن التى أوصلتهم إلى بلاد « بونت » ثم عادوا معهم كل ماوجدوه فى موانى تلك البلاد ، وبعض أحجار الجرانيت اللازمة لتماثيل المعابد . ولقد حكم نحو أثنى عشر عاما ، نعمت البلاد فيها بالسعادة والاستقرار والأمن ، وامتد احترامه وتقديسه لعدة قرون .(٢)

انتهاء حكم البيت الطيبى :

وتلاه على العرش ابنه « سنوسرت » الذى لم يعش طويلا ، وأعقبه عدم استقرار لمدة خمسة أعوام تقريباً ، اكتنفتها أحداث هامة انتهت بانتهاء حكم البيت الطيبى الذى بقى فى الحكم نحو ١٤٣ عاما ، وأعقبه تأسيس أسرة حاكمة جديدة كما سيوضح فى (الفصل التالى) .(٣)

(ب) الأسرة الثانية عشر (١٩٩١ — ١٧٧٨ ق . م)

العصر الذهبى

امنمحات الاول (١٩٩١ — ١٩٦١ ق. م): (شكل ١٥)

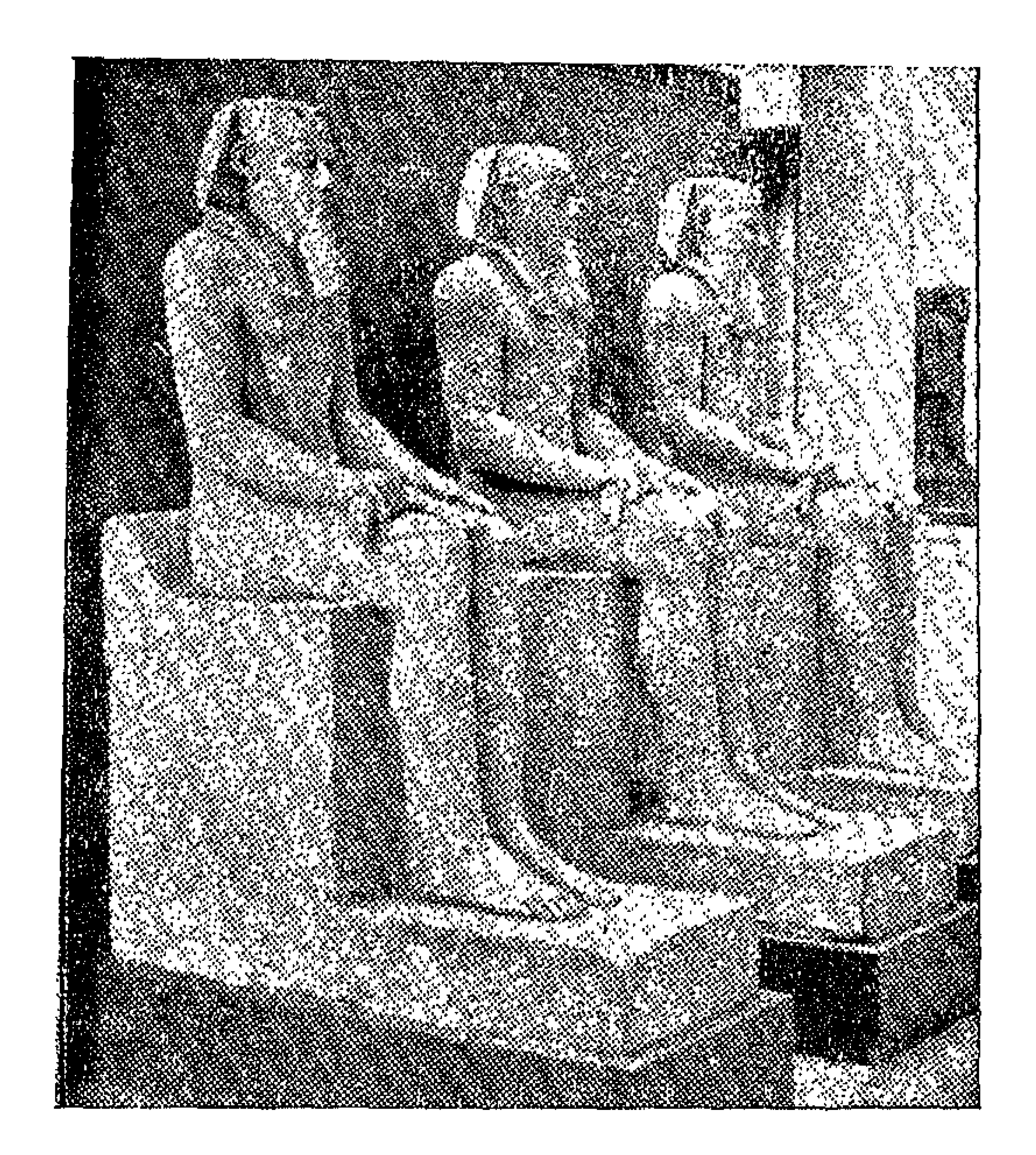
أسس هذا الملك أسرة جديدة وبذل جهوداً ناجحة فى تنظيم البلاد والعودة بها إلى الاستقرار والأمن ، بعد أن وضع حدا للاضطراب الذى كان

---

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ٢٠٢ ، ٢٠٧ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) المرجع المتقدم ص ٢٠٩ - ٢١١ .



(شكل ١٥) ثلاث تماثيل للملك « أمنمحات الأول »

ـ تفشى فى البلاد بعد وفاة الملك « منتوحتب الثالث » ونشط فى استغلال المناجم والمحاجر وتسهيل التجارة، والقضاء على غارات البدو من كلا الصحراوين .

ولقد نهضت البلاد فى عهد هذه الأسرة إلى المستوى الأعلى ، ويعتبر عصرها من أزهى العصور فى مصر .

وحكم الملك « أمنمحات الأول » ثلاثين عاما ، وكان ذكياً عبقريا، ذا شجاعة ومهارة سياسية وخبرة إدارية ، ويعتبر من أعظم الفراعنة فى تاريخ مصر كلها ، اذ نفذ إصلاحات عديدة عادت على البلاد بالرخاء وتوطيد الأمن وقد تخلص من حكام الأقاليم المعارضين له ،وتغلب على جميع العقبات التى اعترضت طريقه فزاد ذلك من قوة نفوذه ، مما ساعد أفراد أسرته على استمرارهم فى الحكم نحو مائتى سنة .

وكان من حكمته رداً على معارضيه أن أمر باذاعة تنبؤات « نفرتى » الذى كان قد تنبأ الملك « سنفرو » بما سوف يصيب البلاد من محن وقحط ، وأنه سيظهر منقذ يخلص البلاد من شرورها ويوطد سلطانة بها ، ويعتبر ظهوره رحمة للجميع ،وقد عثر عليها بمتحف (لننجراد) بالاتحاد السوفيتى .

وباذاعته لهذه النبوءة أظهر نفسه أمام الشعب بأنه المنقذ المنتظر ، فاستمال بذلك المواطنين ، واستقر له الأمر .

ومن أقواله : «لا جائع فى عهدى، ولا ظمآن تحت سلطانى ، وما هذا إلا لامتثال الرعية لأوامرى وتمسكهم بها حتى صرت موضوع حديثهم [1]».

ولكن بعد سنين قضاها فى الكفاح، دبرت مؤامرة لاغتياله فى مخدعه بالقصر تكلمنا عنها بالتفصيل فى (الفصل الرابع من الباب الثانى) .

الملك سنوسرت الاول (١٩٧٢ – ١٩٢٨ . ق م) :

حكم نحو ٤٤ عاما واشترك فى الحكم مع أبيه عشر سنوات، وأظهر كفاءة فى إدارة الحكم ، وبذل جهودا مثمرة فى الأمن الداخلى والخارجى ، وتدل النقوش التى عثر عليها أنه كان إدارياً يقظا حازما، تجلى ذلك فى دقة رقابته على رجال الحكومة ، فكانوا يؤدون واجباتهم بعناية وأمانة .

وقد تمكن من القضاء على المؤامرة التى قامت ضده لتنحيته عن الملك إثر اغتيال أبيه ، وامتاز عصره بإقرار العدل ، وتثبيت أقدامه لا فى مصر فحسب ، بل وفى البلاد التى كانت على حدودها .

كما عنى بالإصلاحات العديدة الهامة التى نفذها داخل البلاد — وبالاهتمام باستغلال المناجم واستخراج الذهب والنحاس وغيرها كالفيروز من سيناء، واستثمار محاجر صحراء النوبة الغربية — وقد كشف حديثا عن موضع هذه المحاجر بالقرب من أبى سمبل ، وإرسال البعثات إلى الصحراء للبحث عن

---

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٣ ص ١٦٩ ، ٢٢٢ ، د . نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الادنى القديم** ج ١ ص ٣١٩ — ٣٢٢ ، ود. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٢١٢ ، ٢١٤ ، ود . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج ٢ ص ٨٨ .

الذهب، والعمل على تأمين الطرق، وقد كان الأمن مستتبا خلال مدة حكمه[١].

الملك امنمحات الثانى (١٩٢٨ — ١٨٩٥ ق . م):

ظل الهدوء قائما والأمن مستتبا فى عهده، مستفيداً من جهود أسلافه، كما استمرت صلات المودة بين مصر وغيرها من الأمم، وقد واصل النشاط فى استغلال مناجم المعادن والأحجار الكريمة، وإرسال البعثات إلى الصحراء لتأمينها .[٢]

الملك سنوسرت الثانى (١٨٩٥ — ١٨٧٩ ق م.) :

حكم فى هدوء وسلام تسع سنوات تقريباً بما فيها الفترة التى اشترك فيها مع أبيه، واقتفى أثره فى سياسته، وزاد عليه أن وجه جهوداً متمرة لتنفيذ مشروعات رى كبرى فى إقليم الفيوم، وشيد هرمه والقرية التى بناها للموظفين والعمال فى اللاهون، ولقد أحسن إدارة الشئون الداخلية ودعم الأمن بالبلاد[٣].

الملك سنوسرت الثالث (١٨٧٩ — ١٨٤١ ق . م) : (شكل ١٦)

كان هذا الملك من عظماء ملوك الفراعنة لما قام به من دفاع عن حدود مصر وتأمينها بإقامة الحصون، وبما خاضه من معارك حربية سجلت لمصر مجداً خالداً، وقد أجمع المؤرخون على أن هذا الملك هو الذى وضع حجر الأساس القوى فى بنـاء الامبراطورية المصرية، وتناقلت الأجيال انتصاراته واسمه.

---

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ود. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج ١ طبعة سادسة ١٩٦٦ ص ٣١٩ ، ٣٣٧ ، ود . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٣ ص ٢٠٣ — ٢٤٥ .

(٢) د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٢١٩ ، ود. سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٣ ص ٢٤٦ — ٢٦٤ .

(٣) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج١ طبعة سادسة ١٩٦٦ ص ٣٣٧ — ٣٤١ ، ود . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٧٧ ، ود أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .



(شكل ١٦) تمثال من الجرانيت الأسود للملك « سنوسرت الثالث » الأسرة ١٢ ـ دولة وسطى

كما قام بإعداد أسطول ضخم لنقل الجنود ومدهم بالأغذية والأسلحة والمهمات ولم تصرفه غزواته عن العمارة والإنشاء ، فاهتم بكعبة الدين القديمة « أبيدوس » وعنى بتطهير معابدها وتنظيم الاحتفال بأعيادها ، كما شمل نشاطه تعمير اهناس فبنى لمعبودها « حرى شاف » أثراً عظيما .

وقد تمكن من القضاء التام على آخر نفوذ لحكام الأقاليم وجردهم من امتيازاتهم ، فأصبحوا موظفين عاديين كغيرهم .

وفى كل ماقام به هذا الفرعون العظيم دليل على استقرار الحكم واستتباب الأمن .

ومات بعد أن حكم نحو ثمانيــــة وثلاثين عاماً ، مخلفاً وراءه هذه الذكرى الخالدة [1].

امنمحات الثالث (١٨٤١ – ١٧٩٢ ق . م) :

أشركه والده معه فى الحكم فى أواخر عهده، وطال حكمه نحو نصف قرن واستفادت مصر كثيراً من نشاطه وعلو همته ، وإصلاحاته العديدة التى شملت جميع أرجاء الدولة خصوصاً الفيوم التى خصها بعناية فائقة ،ونعمت البلاد فى عهده بالرخاء والأمن دهراً طويلا، إذ انصرف لمواصلة النهوض بالشئون الداخلية ، بعد أن جنى ثمرة جهود والده فى إصلاحاته العظيمة وانتصاراته الفذة وقضائه التام على نفوذ حكام الأقاليم .

ولقد ترك هذا المصلح الكبير آثاراً كثيرة ناطقة بكفاءته النادرة وفضله الجزيل وعهده السعيد،ثم بدأ يخبو نور هذا المجد من بعده ، ودخلت مصر فى ظلام حالك ، مما أدى إلى سقوط الأسرة الثانية عشرة ، ودخول مصر فى عصر الاضمحلال الثانى [2].

فترة الانتقال الثانى

اختلال الأمن خلالها (الفترة الثانية)
الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة
(١٧٧٨ — ١٥٩٤ ق . م .)

١ — الاسرة الثالثة عشرة « ١٧٧٨ — ١٦٢٥ . ق . م » :

حدثتنا النقوش أنه فى نهاية (الأسرة الثانية عشرة) حدثت هزة عنيفة قوضت أركان البلاد .

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج ١طبعة سادسة ١٩٦٦ ص٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ود .أحمدفخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية ١٩٦٠ ص ٢٢٠ ، ٢٦١ و د. أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج٢ ص ١٢٧ — ١٤١ ، ود . سليم حسن : **مصر القديمة** ج / ٣ ص٢٧٨ — ٢٩٧ .

(٢) د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية ١٩٦٠ ص ٢٢١ ، ود . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج / ٢ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

ويقول المؤرخ المصرى « ما نيتون » فى مختصره عن تاريخ مصر : « إن ملوك (الأسرة الثالثة عشرة) كانوا نحو ستين فرعونا ، وأنهم اتخذوا مدينة (طيبة) عاصمة لملكهم ، وأنهم حكموا نحو ثلاثة وخمسين عاماً ، وكان عهدهم عهد اضطراب فى الأمن وفوضى شاملة ، وفتنة هوجاء ، فكان الملوك يتوالون فى سرعة خاطفة ، لدرجة أن ثلاثة منهم لا يعلم قيام حفلة تتويج لواحد منهم ، مما يؤكد خلعهم بمجرد توليهم العرش قبل التتويج » .

« وكان سرعان ما يغتصب من الملك عرشه ، وقد يفقد حياته ثم يتلوه غيره وتتجدد معه نفس المأساة ، هذا إلى أن كبار رجال الدولة — وبخاصة الضباط — كانوا يتنافسون ويتشاحنون فيما بينهم ، وكان منهم من يبيع وظيفته كما تباع السلع » كما تدل عليه اللوحة التى فى بهو الأعمدة بالكرنك ، وسنوضح موضوعها فيما يلى .

أخذ نجم (الأسرة الثانية عشرة) الذى كان من أزهى عصور مصر ، — فى نهاية حكمها — فى الأفول فجأة ؛ وتولاها الضعف الشامل ، وخرج الملك من يدها إلى (الأسرة الثالثة عشر) ، ويقف المؤرخون حائرين يتلمسون الأسباب لهذا التغيير وهذا الضعف الشامل الذى أصاب البلاد ، فلا يعرفون له سبباً واضحاً ، فأخذت تتجمع فى الأفق سحب قاتمة ، وعندما بدأت رياح الأحداث فى مصر وفى خارج مصر تدفع بتلك السحب فوق البلاد ، وإذا بمصر تتعرض مرة أخرى لفترة ضعف ، هى ما نسميه عصر الفترة الثانية .

هجرة الشعوب الهندو أوربية :

فضلا عن استعادة حكام الأقاليم لسلطانهم القديم ، والمؤامرات فى البيت المالك ، توجد حقيقة هامة ربما كانت هى أقوى الأسباب ، وهى أنه منذ ٢٠٠٠ سنة ق . م . تقريباً ، بدأت بعض الشعوب الهندو أوربية تأتى إلى الشرق والشمال من مواطنهم الأصلية فى أواسط آسيا لتستقر فى بلاد العراق وفى سوريا فترتب على هذه الهجرات اضطراب فى الأمن فى تلك الولايات ، وقد حاربت

بعض هذه القبائل سكان البلاد الأصليين وأجلتهم عنها ، واستقرت قبائل أخرى فى البلاد تباعاً طلباً للعيش مع سكانها فى وئام ، ولم يمض غير قرنين حتى أصبح منهم أمراء يحكمون البلاد ، وأمام هذه الأخطار كلها لم يكن لمصر المفككة العرى من سبيل إلا الاستسلام للقضاء[1].

ملوك الأسرة الثالثة عشرة وآثارهم :

لم يزد حكم هذه الأسرة عن خمسة وخمسين عاماً ، ويقول مانتيون : « إنه كانت أمامه قوائم طويلة لعائلات مختلفة فى نواحى مصر ، وكان كل منها يدعى الملك ، وأنه حكم الشمال والجنوب فاعتبر مانتون أن كل بيت من هذه البيوت حكم البلاد كلها ثم تلته البيوت الأخرى ؟ بينما الواقع أنها كانت تحكم فى وقت واحد عندما كانت مصر مفككة الأوصال .

كان هناك بيت قوى فى طيبة ، وكان هناك بيت آخر فى قفط ، وثالث فى أسيوط ورابع فى شرق الدلتا ، وخامس فى غربها ، وكان نفوذ بعض هذه البيوت يزداد حيناً ويتقلص حيناً آخر . ولكن أهمها جميعاً ما نسميه الأسرة الثالثة عشرة وهو البيت المالك الذى حكم على الأرجح فى منف فى الشمال وخلف آثارا كثيرة فى طيبة وفى أماكن كثيرة فى البلاد ، والذى ظهر من حكامه بعض ملوك امتد نفوذهم جنوباً ، إلى بلاد النوبة وشمالا إلى لبنان .

سخم ـ رع ـ خو ـ تاوى :

كان أول ملك معروف . وكانت مملكته ممتدة من الدلتا شمالا إلى الشلال الثانى جنوباً ، وقد كان أقوى ملوك هذه الأسرة .

---

(١) د . أحمد فخرى . **مصر الفرعونية** ص ١٩٣ ، ٢٣٤ — ٢٣٦ ، ود. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** جـ ١ طبعة سادسة عام ١٩٦٦ ص ٣٧٨ — ٣٩٤ ، ود . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** جـ ٢ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ و ٤٠٨ و ٤٠٩ ، د . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٤ ص ١ — ٧٠ .

سمنخ - تاوى - سخم - كارع :

تلاه على العرش ، وذكر اسمه فى بردية تورين كسابقه ، وعثر له على آثار بجهات مختلفة فى مصر ،وفى عهده انقطعت تسجيلات مقاييس النيل،مما يرجح أن الأمور فى أيامه لم تكن مستقرة فى النوبة .

وعثر على تماثيل ولوحات لعشرات من أسماء الملوك فى عدة نواح بمصر شمالا وجنوباً ! كما عثر على لوحة فى بيبلوس ، تصور أمير ذلك الإقليم وإسمه « يوناتان » مما يدل على أن نفوذ مصر كان فى عهده ممتدا إلى بعض المناطق السورية .

وقد انتشرت المنازعات والفوضى فى البلاد جرياً وراء المغانم والملك والجاه ، وجاء عهد امتاز بقلة أخباره ومعلوماته ؛ ويظهر أن أحوال البلاد الداخلية كانت فى أثنائه سيئة للغاية ، ولما تضعضعت القوة الحاكمة أخذت تتضاءل تدريجيا والأمن يضطرب ، وصار القطر فى حال فظيعة من اليأس والضعف ، سهل على الأجنبي الاستيلاء عليه واغتصابه .

وجاء فى لوحة عثر عليها فى الكرنك ذكر فيها اسم الملك « سواج — ان — رع » وعليها صورة عقدتنازل فيه حاكم إقليم «الكاب» عن منصبه لأحد أقاربه ، مقابل قيمة ٦٠ دبن [١].

الملك نحسى « والهكسوس » :

من المرجح أنه كان على صلة بأيام «الهكسوس»الذين بدأوا فى أواسط أيام هذه الأسرة يستقرون فى شرق الدلتا[٢] .

وأن البحث فى تاريخ تلك الأسرة وترتيب ملوكها ، ومقدار ما كان لهم من أثر فى تاريخ هذا الوادى ، وما قدم بعضهم من خير أو شر بين يدى هذا الوطن يعد من أشق الأمور وأصعبها ، نظراً لقلة ما خلف زمانهم من الآثار والوثائق التى يعتمد عليها المؤرخ فى دراسة هذه الفترة من تاريخ مصر الفرعونية .

---

(١) الدبن يساوى ٩١ جرام من الذهب ، وهى تشمل ذهبا وحبوبا وثيابا .

(٢) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ، ص ٢٣٧ و ٢٣٨ — وبرستد : **تاريخ مصر من أقدم العصور** ، تعريب د . حسن كمال : ص ١٢٧ — ١٣٩ .

وقد كانت إمارة « الكاب » قوية حصينة ، وأمراؤها من طراز قوى أبى .. وظاهر أن فرعون صرح المشترى بوضع الوثيقة فى دار « أمون » لضعف يده فى ذلك العهد ! بينما كان المشترى أميراً ذا خطر ، قدر فرعون أن يستميله بمثل هذا التأييد ، فيضمن ولاء إقليمه ، ويتقى خطره وعصيانه ، ويستعين به يوم يتحرج الأمر .

وليس من شك أن أمور مصر فى ذلك الوقت كانت سيئة جدا والأمن مختلا ، وكانت البلاد مندفعة إلى السقوط ، ومن أسف أن رسل الشر كانوا يسرعون إليها من شرق الدلتا فى ركاب « الهكسوس »[1].

ويتبين مما تقدم مدى ضعف الملك والحكومة المركزية واضطراب الأمن فى ذلك الوقت الأسود .

كارثة غزو الهكسوس (والمقاومة الشعبية)

الأسرة الرابعة عشرة حتى نهاية الأسرة السابعة عشرة

الأسرة الرابعة عشرة (١٧٧٨ — ١٥٩٤ ق . م) :

اتخذت هذه الأسرة مدينة (سخا) مقراً لملكها (بمحافظة كفر الشيخ) ، وذكر « مانيتون » أن ملوكها كانوا ٧٦ ملكا ، وبدأت حكمها فى نفس الوقت الذى بدأته الأسرة الثالثة عشرة ، وإنما طالت مدتها لبعدها عن مقر « الهكسوس » فى الشرق ، وكانت مصر — فى ذلك العهد — فى غاية من الفوضى والاضراب الداخلى ، كما أن كان عليه الحال فى عهد الأسرة الثالثة عشر ، مما أدى إلى انهيار سلطان الحكومة المركزية واختلال الأمن ، فأطمع ذلك « الهكسوس » (ملوك الرعاة المخربين) فى الإغارة عليها واحتلال شرق الدلتا بسهولة دون حرب ، فعاثوا فيها فسادا ونهبا واستبدادا وإذلالا واستعبادا ، واضطرب

---

(١) د . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج ٢ ص ٢٥٤ — ٢٨٢ .

الأمن أيما اضطراب ، أما طيبة ، وجزء كبير من الصعيد ، فقد بقيت تحت نفوذ البيوت الحاكمة هناك .

جـ — الاسرتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة (١٦٧٥ — ١٥٦٧ق.م):

فى عهد هاتين الأسرتين استمرت الخلافات والمنازعات بين الطامعين فى العرش ، فأدى ذلك إلى مزيد من الفوضى واضطراب الأمن ، وإلى انقسام البلاد الى دويلات صغيرة ، وإطالة أمد سيطرة «الهكسوس» الذين استغلوا ذلك الانقسام فى توطيد سلطانهم السياسى بالبلاد طيلة عهد هاتين الأسرتين فأدى ذلك إلى مزيد من اختلال الأمن .

د — الأسرة السابعة عشرة (١٦٦٠ — ١٥٧٠ ق . م):

لقد اشتد سخط الشعب ، وانتشرت الدعوة لتحرير البلاد . وحكم فى هذه الأسرة ثلاثة وأربعون ملكا من ملوك « الهكسوس » فى شمال الوادى وبعض أقاليمه الوسطى ، وثلاثة وأربعون فرعونا من فراعنة (طيبة) المصريين فى وقت واحد فى الصعيد ، الذين كانوا تحت إمرة حكام وطنيين أسماهم « هيردوت » ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وكانت مدة حكم كل منهم قصيرة ، وقد اشتد فى عهدها سخط الشعب ، وسرت فى البلاد فى أواخر أيامها دعوة إلى تحريرها من الهكسوس المغيرين ، فتضافرت فى النضال قوى الشعب وقوى الجيش تضافراً عظيماً .

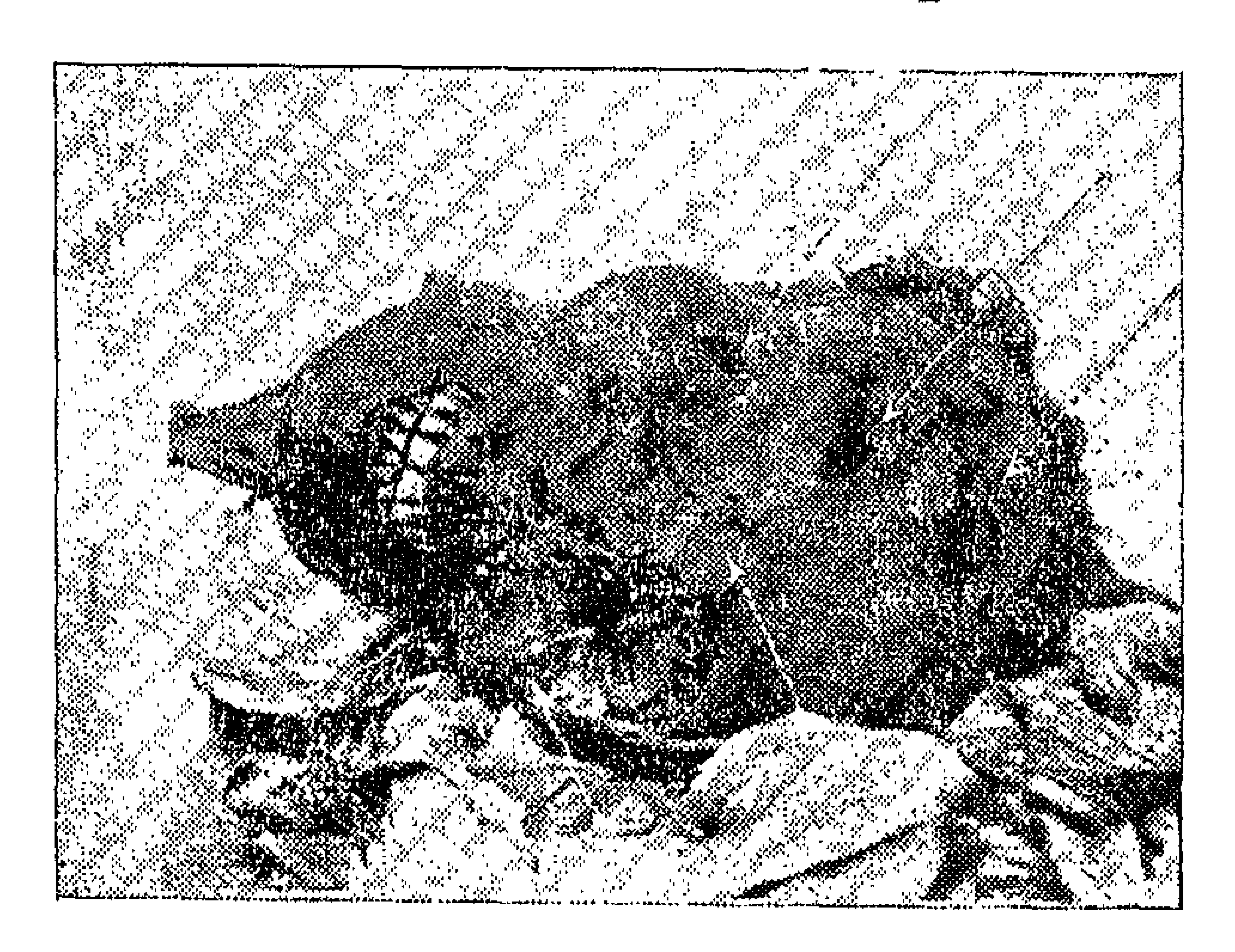
الملك سقنن رع :

تزعم هذه الثورة آخر ملوك الأسرة السابعة عشر فى (طيبة) وهو الملك « سقنن رع» الذى جاهد حتى قضى نحبه قتيلا فى هذه الحرب الوطنية المقدسة[١]. (شكل ١٧)

---

(١) د. سليم حسن : **مصر القديمة** ج٤ ص ١ — ٣ ، ود . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج٢ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، و د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٢٤٠ .

ويلاحظ فى الشكل التالى وجود آثار ثلاث ضربات بالبلط ، وقد سقط شهيداً فى أثناء الصراع مع « الهكسوس » فى حرب التحرير .



(شكل ١٧) مومية الملك « سقنن رع » الذى صرع فى ميدان القتال

٦ — الدولة الحديثة

(١) بناة الامبراطورية القسم الاول

الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٠ — ١٣٠٤ ق . م)

الملك أحمس الأول يحرر البلاد (١٥٧١ — ١٥٥٨) :

تولى العرش وهو فى الثامنة عشرة ، وكان مهيباً ومثالا للجد والدهاء وقوة الإرادة ، وقد تم على يديه تحرير الوطن المفدى ، وطرد الهيكسوس حتى بلاد (فينيقيا) ثم واصل الانتصارات حتى وصلت جيوش مصر فى عهده إلى (فلسطين) شمالا و(النوبة) جنوباً ، وقد ساعده على هذه الانتصارات سيطرته التامة على كافة شئون البلاد واستقرار الأمن الداخلى فيها — وأصبح حكام الأقاليم فى عهده يعينون كسائر الموظفين ، وصارت الحكومة المركزية صاحبة السلطان والنفوذ التامين .

ولقد أعاد حكمه القوى الحازم لمصر مجدها ، كما كان فى النصف

الأول من حكم الدولة القديمة،ووضع اللبنة الأولى فى الإمبراطورية المصرية التى استقر بها الرخاء والأمن .

وورد فى اللوحة التى أقامها « أحمس الأول» فى معبد الكرنك تخليداً لأعماله ولأعمال والدته الملكة « إعح حوتب » التى كان لها المقام الأول مدة حياته ، خصوصا وأنها أدت دوراً رئيسيا فى الحرب(١).

وكتب عنها فى لوحة الكرنك :

« امدحوا سيدة البلاد وسيدة جزر البحر الأبيض ، فاسمها محترم فى جميع البلاد الأجنبية ، وهى التى تضع الخطط للناس — وهى أخت ملك وأم ملك، هى العظيمة القديرة التى تهتم وتضطلع بشئون مصر ، وهى التى جمعت جيشها وحمت الناس ، وأعادت الهاربين ، ولمت شتات المهاجرين ، وهدأت ما حل بالصعيد من خوف ، وأخضعت من كان فيه من عصاة ، لها الحياة » .

وبالمثل جدته الملكة « تتى شيرى » التى أدت دورا عظيما فى حرب الاستقلال ووفاء منه لذكراها ، شيد لها أثراً كبيراً فى أبيدوس ، وضع فيه لوحة ما زالت باقية تقص قصتها الخالدة(٢) . فكان لبعض سيدات هذه الأسرة تاريخ حافل بالمفاخر الوطنية فى تلك الحقبة المشرفة .

تقوية الجبهة الداخلية وأثرها فى الانتصارات الخارجية :

كانت الحكومة وقت تولية « أحمس » العرش مؤلفة من حكام ضعاف ، فعنى باختيار معاونيه وكون حكومة قوية ، واستحدث أنظمة جديدة دعمت الحكم ، وأشرف إشرافاً عمليا على كافة شئون الدولة ، وكان لذلك يقابل وزيره كل صباح ، وقد ساعده فى هذا النجاح الكبير خبرته الإدارية والسياسية والحربية فى حرب الهكسوس(٣)

---

(١) د. سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٤ ص ٢٠٢–٢١٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ص٢٦٠ — ٢٦٢ .

(٣) برستد . **تاريخ مصر من اقدم العصور** ، تعريب د . حسن كمال ص ١٥٣ .

وقد أدى هذا الفوز فى النضال إلى إقبال المصريين من مختلف الطبقات على الالتحاق بالخدمة العسكرية للذود عن البلاد .

ومن مفاخر ذلك العهد : أن المصريين هم أول شعوب العالم التى قسمت الجيش إلى فرق وفيالق ، وقامت بتقسيم قواته إلى قلب وجناحين ، وإلى مفاجأة العدو بحركات التفاف حوله ، وإلى ابتكار الكماشة ، وإلى إنشاء فرق من العربات الحربية التى كانت تحدث الرعب الكبير فى هجومها على العدو مما كان يؤدى إلى هزيمته .

وبذلك كانت أولى الدول التى ابتكرت الأساليب الحديثة فى القتال[١] ، ولسيطرة هذا الملك التامة على البلاد اشتهر بالألقاب الآتية :

« ملك الملوك على كل الأرض .. المسيطر على رجال الدين .. وعلى سكان الدلتا ، وسكان الوجه القبلى .. وسكان بحر ايجه .. الذى يقف الأجانب عند باب قصره .. شديد البأس .. معطى الحياة .. » [٢] .

وقد بلغ حكم هذا الملك أربعة وعشرين عاما ، تمكن فيها من الارتفاع بكرامة الوطن المفدى والنهوض بكافة شئونه الداخلية والخارجية ، وإسعاد الشعب بالرفاهية والرخاء والأمن .

الملك امنحوتب الاول (١٥٤٦ — ١٥٢٦ ق . م :

ورث صفات والده وجده وحكم إحدى وعشرين عاما ، امتازت بالهدوء والإنشاء والتعمير وزيادة الرخاء وتدعيم الأمن ، وحب الشعب له حبا جما .

ولأنه كان يافعا عند توليه العرش ، فقد عاونته والدته الملكة « أحمس نفرتارى » معاونة كبيرة على الوجه الذى قامت به الملكة « إعح حوتب » مع والدة « أحمس » من قبل .

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ٢ ص ٨٧ و ٨٨ .
(٢) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج ٤ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ .

وقد قدسه الشعب من كافة الطبقات، وبخاصة العمال الذين عملوا فى نحت قبور الفراعنة ، وقيل أنه واضع نظام مؤسسة طوائف العمال الذين عملوا فى غرب طيبة ، فاعتبروه راعى حياتهم ومصدر أرزاقهم ، ورفعوه إلى مصاف الأرباب . ولذلك كانوا يلجأون إلى زيارته فى أوقات الشدة ضارعين إليه رفع الكروب عنهم فى حياته وبعد مماته واستمر ذلك قرونا عديدة .

وقد شارك العمال فى تقديسه لبعض العظماء والمستنيرين من المفكرين ورجال الدين ، وقد ترك « حوى » أحد خدام « أمون » أثراً يقدس فيه هذا الملك وأمه « أحمس نفرتارى » وأباه « أحمس الأول » وبذلك بلغ أقصى ما يتمناه فرعون وأى انسان، فمات قرير العين[١] .

الملك تحتمس الاول وجهوده للامن والامبراطورية (١٥٢٥ — ١٤٩٥ ق.م.):

واصل الجهود التى بدأها جده « أحمس الأول » ثم الملك أمنحوتب الأول فى الاصلاحات الداخلية والانتصارات الخارجية ، وتكوين الامبراطورية المصرية التى بلغت أوجها فى عهد الملك « تحوتمس الثالث » كما قام بتقوية الجهاز الحكومى ، والنهوض بمختلف الشئون الدينية والمدنية والعسكرية ، وقد أشار الى أعماله فى الأثر الذى أقامه جهة الشلال الثالث على حدود مملكته الجنوبية ، وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى ، بقوله :

« لقد جعلت حدود مصر واسعة كدائرة الشمس ، وأمنت الذين كانوا فى خوف ، وطردت عنهم الشر ، وجعلت مصر سيدة البلاد » .

وختم هذا النص: « بذكر مجد مصر واتساع رقعة ملكها، وأنها أصبحت فوق بلاد العالم » كما شيد أثراً حجرياً على منحنى الفرات الكبير بالقرب من البحر الأبيض جاء فيه :

---

(١) برستد . **تاريخ مصر من اقدم العصور** تعريب د . حسن كمال ص ١٦٧ و ١٦٨ ، ود . أحمد بدوى: **فى موكب الشمس** . ج ٢ ص ٣٨٢ — ٣٨٤ و د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٢٦٤ وجون ولسون : **الحضارة المصرية** تعريب د . أحمد فخرى ص ٢٧٩ ود . نجيب ميخائيل . **مصر والشرق الادنى القديم** ج ٢ طبعة ثالثة عام ١٩٦٥ ص ١٥٥ .

« إن ذلك المكان هو الحد الأقصى لممتلكات مصر الأسيوية » ثم قال عنه «أليس هو الذى نشر الأمن فى البلاد ، ورفع من شأن شعبه، وجعل مصر سيدة العالم ثم أعطاها لواء الزعامة لأقطار الأرض ؟».

وبذلك سمت مكانة مصر وأصبحت مهيبة الجانب بين سائر الممالك ، غنية بخيراتها ، فأعانها ذلك على التشييد والتعمير وتنفيذ الإصلاحات العديدة ، وتدعيم الأمن ، والقيام بالفتوحات الكثيرة ، فرفرفت رايتها على حصون الشام وقلاع فلسطين حتى نهر الفرات ، وأقاليم النوبة إلى ماوراء الشلال الرابع ، كما وضع حدا للاضطرابات التى كانت متفشية هناك ، وجعل طيبة عاصمة الإمبراطورية المصرية ، ولقد تدفقت عليها خيرات الإمارات والأمم المختلفة ، بعد أن وطد نفوذه القوى فى الشمال والجنوب .

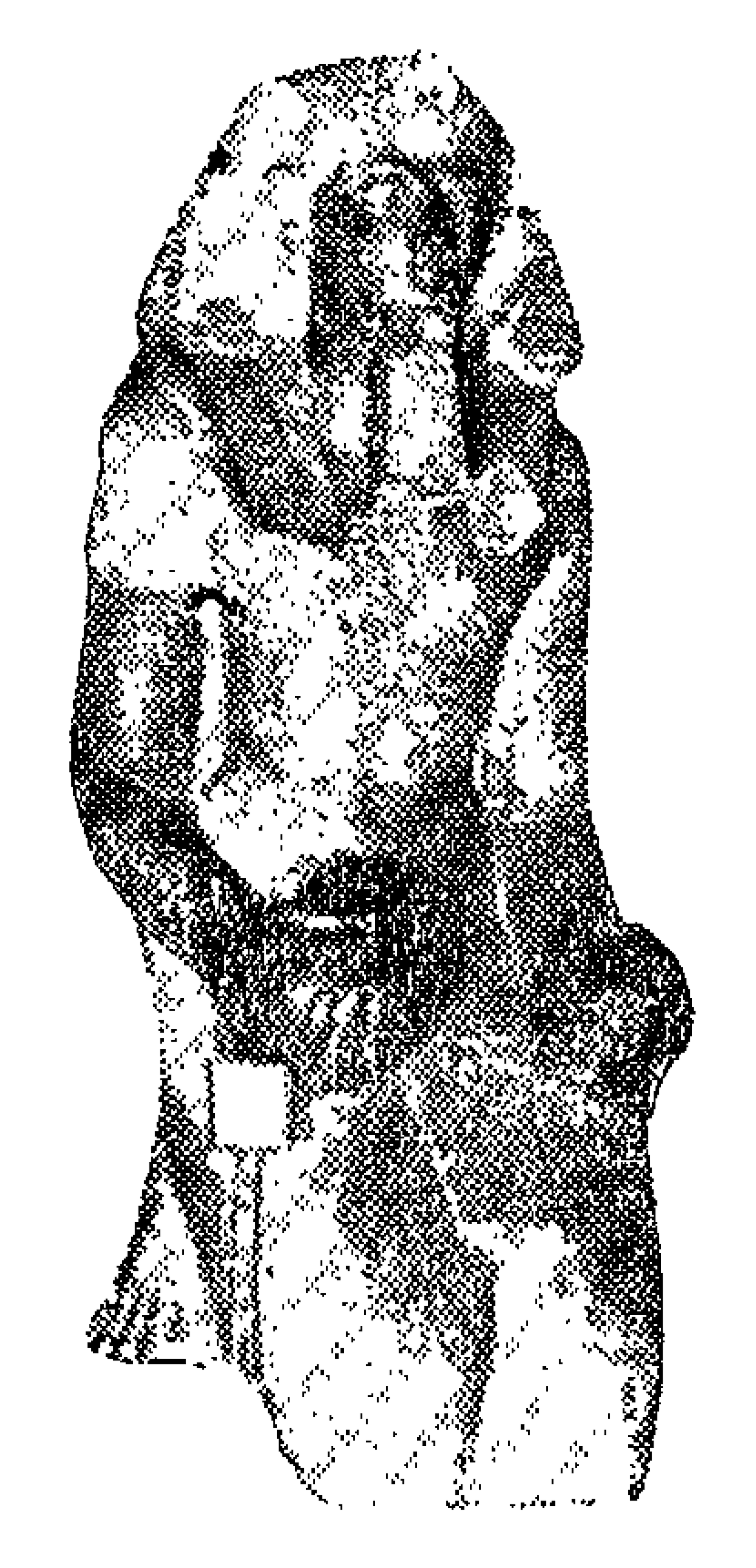
ولقد بلغت مدة حكمه ثلاثين عاماً أسعد فيها شعبه وتركه فى أحسن حال من الرفاهية والرخاء والأمن الشامل .

وبالمتحف المصرى لوحة تسجل مدى اهتمامه بالأمن ، وحرصه على ازدهار مجد بلاده ، وامتداد حدودها ، وسعادة شعبه ، وعيشه فى اطمئنان وسلام .

الملك امنحوتب الثانى وتوطيد الأمن (١٤٣٦ — ١٤١١ ق.م.) :

شب هذا الملك فخوراً بأعمال والده وبطولته ، وقد أشركه والده فى الحكم السنتين الأخيرتين من عهده ، ولما تولى العرش بعد وفاة والده ، كان مثالا رائعا للقوة والعزم والنشاط ، كما كان رياضيا فى أخلاقه متدربا على مختلف ضروبها ، حتى امتاز فيها امتيازاً عظيما ، وكان شعبه يزهو بشجاعته وقوة بأسه ثم قاد الجيوش لإطفاء الفتن التى حدثت فى بعض الإمارات إثر موت أبيه ، وعاد منها منتصراً أعظم انتصار ، وسجل أنباءها مؤرخا لها بعامه الثالث فى الحكم .

وكان سنده فى انتصاراته المتعاقبة استقرار الحكم واستتباب الأمن فى أرجاء البلاد .



(شكل ١٨)
تمثال من الجرانيت الوردى للملكة حتشبسوت تقدم القرابين
فى الزى الملكى المعتاد ــ دولة حديثة

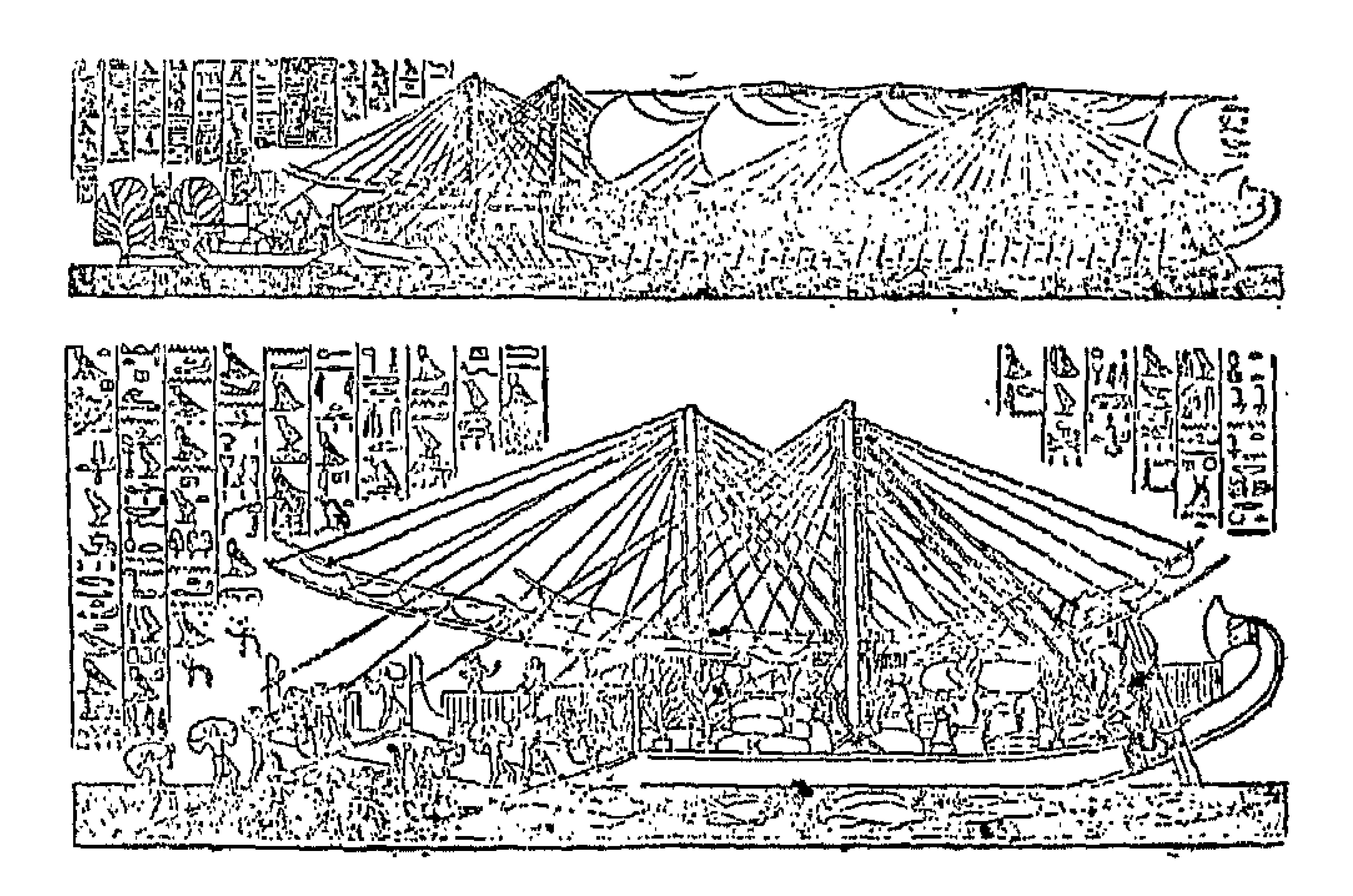
الملكة حتشبسوت وحكمها الزاهر (١٤٨٦ــ١٤٧٨ ق.م) (شكل١٨)

تبوأت عرش مصر بالوراثة بعد والدها الملك « تحتمس الثانى » الذى حكم البلاد مدة قصيرة ، وكانت ملكة ممتازة ، ذكية قديرة طموحة ، وقد تزوجها « تحتمس الثالث » ليكسب شرعية الجلوس على العرش ، إذ كانت أمه زوجة ثانوية لأبيه ، فجلس معها على العرش ، ولكن كانت مقاليد الأمور كلها بيدها منذ وفاة والدها « تحتمس الأول » حتى وفاتها ، وفى قول ضعيف المؤرخ «زيته» انه تزوج من ابنتها ، وكانت على خلاف شديد مع « تحتمس الثالث » وكان حكمها مزدهرا ، فقد عنيت بتنمية موارد البلاد وخيراتها فقويت العلاقات التجارية وبخاصة مع الجنوب ، وبعثت بحملة إلى بلاد (بونت) ، فعادت محملة بالكثير من منتجاتها وسلعها[1] « شكل ١٩ ».

(١) د . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ، جـ ٢ ص ٣٨٥ ـــ ٤٠٠ ، و د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٢٦٩ و ٢٧٠ ؛ وبرستد : **تاريخ مصر من أقدم العصور** تعريب د . حسن كمال ص ١٦٨ ـــ ١٧٤ .

واختارت بعض الموظفين الأكفاء، وأخصهم حظوة لديها المهندس «سنموت» الذى أشرف على تربية ابنتها الأميرة «نفرو — رع» التى توفيت صغيرة بعد أن أعلنتها خليفة لها فى الحكم، ولقد اهتمت بالشئون الداخلية، فعظم فى عهدها مجد مصر، وتوفر الرخاء واستقر الأمن، وخاصة فى مناطق الصحراء وشبه جزيرة سيناء، وأعادت فتح الطريق التى كانت مغلقة إلى المناجم والمحاجر.

كما عنيت بالفنون والصناعات، وماتت بعد أن حكمت البلاد بكفاءة تامة نحو عشرين سنة، وهى فى التاسعة والخمسين من عمرها. وبعد وفاتها تزوج «تحتمس الثالث» من ابنتها «مريت رع حتشبسوت»[1].

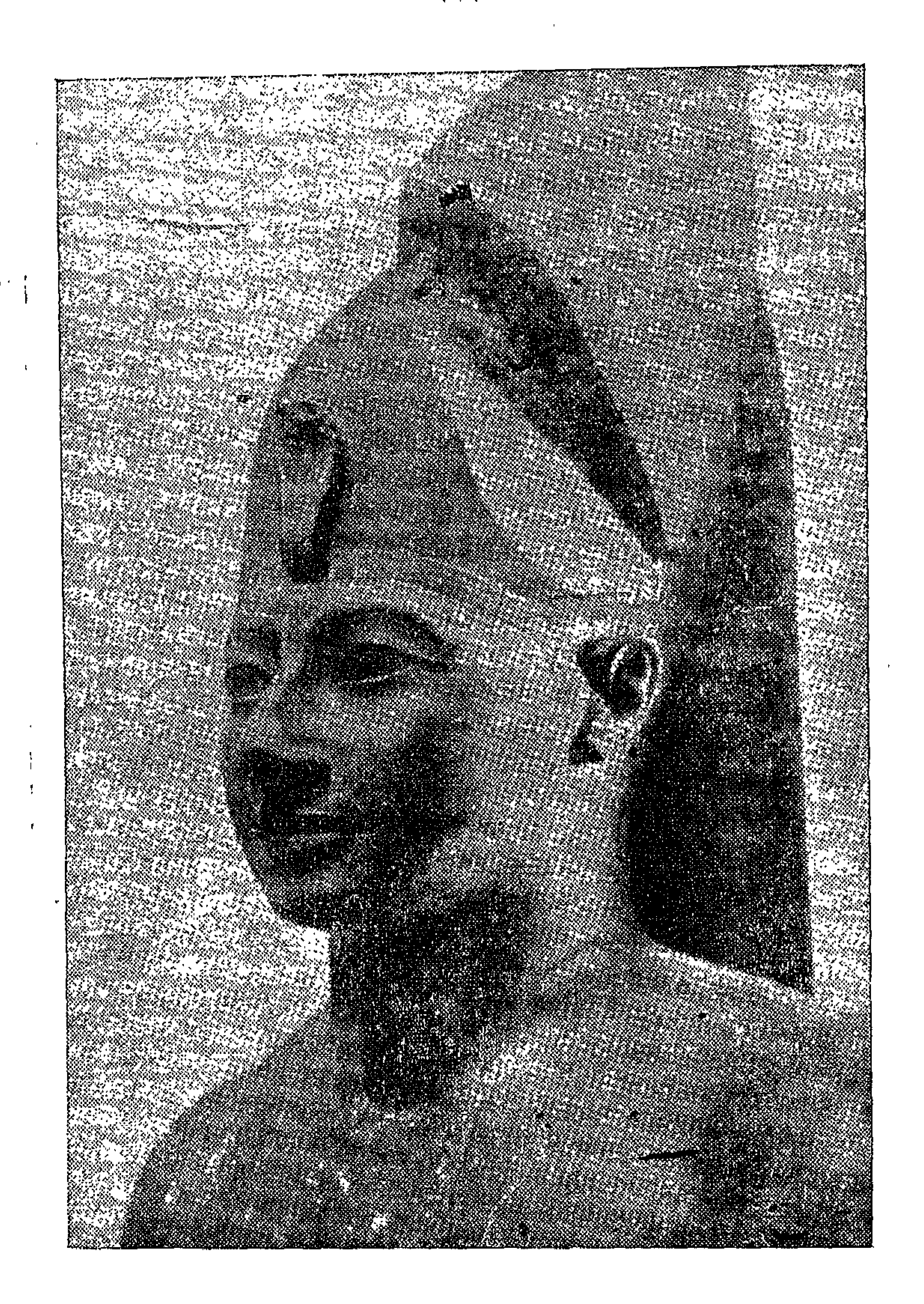


(شكل ١٩) أسطول الملكة «حتشبسوت فى بلاد «بونت (الأسرة ١٨)

الملك البطل تحتمس الثالث: (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق.م) (شكل ٢٠)

كانت أعظم هدية قدمتها «حتشبسوت» إلى هذا البطل، أنها تركت البلاد فى رخاء عظيم وأمن شامل، فساعده ذلك — مع ما اتصف به من مواهب نادرة وبطولة فذة — على الانطلاق من عقاله وهو فى الحادية والثلاثين من عمره، فقاد الجيوش وانتصر انتصارات عظيمة متتابعة، وفتح الموانى القائمة على شاطئ (فينيقيا) ليتخذها قواعد حربية لتموين جيوشه وقت أن كانت تغزو قلب آسيا،

(١) د. نجيب ميخائيل. **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ٢ ص ١٥٦ — ١٦٦، و د. أحمد فخرى: **مصر الفرعونية** ص ٢٧٤ و ٢٧٥.



البطـــل الملك « تحتمس الثالث »
مؤسس أول امبراطورية فى العالم القديم
الأسرة ١٨ « الدولة الحـــديثة »

(شكل ٢٠)

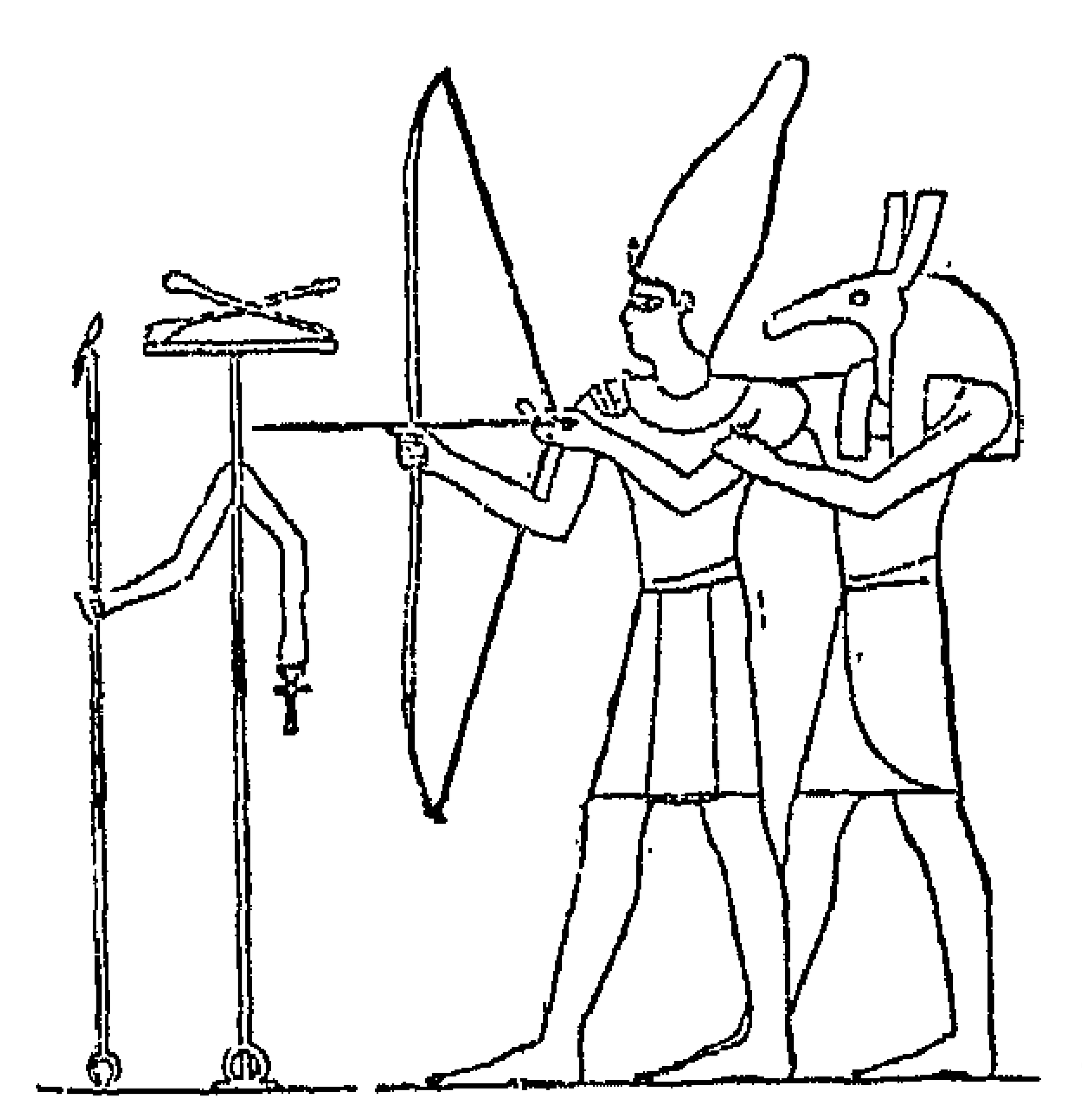
حتى دفع حدود مصر الى أقصاها ، فامتدت من الشلال الرابع جنوبا حتى أعالى نهر دجلة والفرات شمالا ، مؤسسا أكبر وأقدم امبراطورية عرفها التاريخ القديم .

وبدأت مملـكة « ميتانى » تشعر بأهمية صداقتها له ، فقدمت ولاءها وهداياها

وامتاز هذا الملك فى حروبه بلونها الخاطف السريع ، ووفرة الأسلوب والغنائم ،فأخذت جميع امارات الإمبراطورية والدول المجاورة تخطب وده، وتقدم له الهدايا والتحف،وفى مقدمتها مملكة« ميتانى »التى كانت قد شجعت العصيان ببعض الولايات السورية ، وكذلك مدينة « قادش » التى لعبت دوراً رئيسياً فيه ، ولم تشغله الحروب عن اهتمامه ببذل جهود اجتماعية وعمرانية مثمرة أدت إلى مواصلة النهوض بالبلاد ورفاهيتها وأمنها .(شكل ٢١)

وقد عثر حديثاً عند « أبو الهول » على لوح حجرى غاية فى الضخامة يصوره متعبداً ، ومسجلا نبذا عن تاريخ حياته من يوم اعتلائه العرش .

وتوفى بعد أن قضى فى الحكم نحو خمسة وعشرين عاماً ، ودفن كأسلافه فى وادى مقابر الملوك بطيبة ، وقد ترك ذكرى عظيمة خالدة بين ملوك مصر الأقدمين.(١)



(شكل ٢١ الإله « سيت » يعلم « تحتمس الثالث » الرماية

(١) د. أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ، ج ٢ ص ٥١١ — ٥١٣ ، ود . أحمد فخرى: **مصر الفرعونية** ص ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، وبرستد : **تاريخ مصر من اقدم العصور** تعريب د حسن كمال ص ٢١٤ — ٢١٦ .

وكذلك مملكة « خيتا » فى آسيا الصغرى ، وأيضاً « أشور وبابل » ومن ذلك التاريخ صارت مصر صاحبة النفوذ فى غربى آسيا، كما أصبحت جميع ثغور فلسطين وسورية وجزر البحر الأبيض داخلة تحت نفوذ مصر بفضل أسطولها القوى .

ولقد بلغ هذا البطل الذروة فى ميدانى الحرب والسياسة معا ، فمع قمعه العصيان والتمرد بالإمارات بالقوة ، كان يعالج مختلف الشئون الداخلية والخارجية بالحكمة وإصالة الرأى ، ولقد كان إثر عودته من حروبه يقوم برحلات تفتيشية فى أرجاء البلاد ، لمراقبة أعمال الموظفين فى جميع فروع الحكومة للتثبت من حسن قيامهم بواجباتهم بدقة ونزاهة.

وكان يوالى من يواليه من أمراء وحكام البلاد التى فتحها ،ويغدق عليهم بره ولقد جاء ذكرى ذلك فى إحدى لوحاته العديدة ، وحكم إمبراطوريته الواسعة بالحزم واللين ، وكان يعرف كل مايحدث فى أرجائها ، وكان كما وصفه وزيره (رخ - مى - رع) كالصقر يرى كل شىء .

ومع اتساع رقعة الإمبراطورية المصرية بالفتوحات العظيمة استتب فيها الأمن ، ولم تحدث فى الأقاليم الأسيوية التى فتحها أيه ثورة لعلم أهلها بقوته وعظمته ومقدرته الحربية ، ووثوقهم بفشل أية محاولة للثورة إذا أقدموا عليها[1].

وقد مكن له فى كل ذلك مواهبه النادرة ، ونضوج النظم الإدارية التى سنها بالبلاد،وحسن اختياره للقوامين عليها من الحكام.

ومن ذلك أنه اختار فى بداية حكمه الوزير العظيم (سرامون) أو(وسر) وقد ترك هذا الوزير أثراً خالدا فى نظم الحكم ووضع مبادىء قويمة .

ويتحدث الوزير (وسر) فى نقوشه ، عما كان للوزير إذ ذاك من

---

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ، ص ٢٧٧-٢٨٧ .

مقام عظيم ومكانة فريدة فى نفوس الشعب ، فيقول : إنه كان يحمل الألقاب الآتى ملخصها .

« الأمير الوراثى ، رئيس العدالة ، مدير أسرار فرعون ، المشرف على بيتى الذهب والفضة (أى رئيس الخزانة) .. وعمدة المدينة والوزير » .

ومما اشتهر عن هذا الوزير أن إخلاصه فى خدمة مصر كان الهدف الأول . وإنه كان يسمو بنفسه عن الإثراء والطائفية ، وأنه يرى أنها يجب أن ترتكز على الأخلاق والقانون ، وكان يتصور عودته فى صورة ملاك إلى عالم الأرض ، يتسلم ثانية عبء التفكير لمساعدة قومه بكل مايسعدهم ويصلح أحوالهم ، كما كان يفعل فى حياته الدنيا . ولقد خلفه فى الوزارة ابن أخيه رخ مى رع ، وسار على نهجه ، وأصبح أعظم الوزراء قدراً وكفاءة

ولقد كان « تحمس الثالث » مثالياً فى أخلاقه وتدينه فيقول عن نفسه : إنى لم أنطق بكلمة مبالغ فيها ابتغاء الفخر بما عملته ، فأقول أنى فعلت شيئا دون أن يفعله جلالتى ، ولم آت بعمل فيه مظنة ، وقد فعلت ذلك لوالدى الإله أمون ، لأنه يعرف ما فى السماء ويعلم ما فى الارض ويرى كل العالم فى طرفة عين .

وأصبحت الاعمال الخالدة التى قام بها هذا البطل العظيم مضرب الامثال فى مدى نحو عشرين عاما ، وتداولها الناس بشغف وفخار عظيمين فى الأسواق والشوارع وفى كل آن .

ومن علائم اهتمام هذا الملك البطل بحسن إدارة البلاد ، اختياره الموفق للموظفين ، كما يدل عليه ما سجله (أنتف الحاجب) باللوحة المودعة (بمتحف اللوفر) ثم بنقوش قبره فى جبانة ذراع أبو النجا رقم ١٥٥ : « إنه كان يحمل ألقاب الامير الوراثى — عمدة طيبة — رئيس كل الواحات ، مدير أعمال البيت العظيم للملك (تحتمس الثالث) » وماجاء على لوحته المذكورة ماخلاصته :

انه بإرشاد الفرعون له الحياة والعافية والصحة ، كان يتصرف بيقظة وحكمة وعدالة وانصاف واحترام ، للحقوق ومواساة للمحتاجين ، ومات هذا الملك البطل بعد أن حكم أربعة وخمسين عاما بكفاءة مثالية نادرة كالأساطير . فخلد لمصر ولشخصه العظيم تاريخا حافلا بجلائل الاعمال ، ومجداً لا تمحوه السنون والأيام[1]

الملك تحتمس الرابع « ١٤١١ — ١٣٩٧ ق م »:

فى مستهل توليته العرش حدثت جفوة بينه وبين كهنة « أمون » ، لأنهم لم يقروه على الوسيلة التى تذرع بها لإبعاد أحد إخوته الذكور الذى كان أقرب منه إلى الملك ، وفى ذلك ذكر الدكتور أحمد فخرى : « إذا كانت آثار هذا الملك لا تتحدث صراحة عن ذلك ، فإن اللوحة الشهيرة باسم (لوحة الحلم) وهى التى أقامها بين ذراعى (أبو الهول) فى الجيزة تحمل فى ثناياها أنه لم يكن هو الأمير صاحب الحق فى الملك ، فإن تحتمس الرابع قد اقام هذه اللوحة فى العام الأول من حكمه ، ويقص علينا فيها أنه كان يصطاد يوما من الأيام فى صحراء الأهرام عندما كان أميرا ، وجلس فى ظل تمثال (حور أم أخت) أى (تمثال أبو الهول) وغلبه النعاس ، فرأى بوضوح أباه الإله يبشره بأنه سيصبح ملكا فى المستقبل ، وسيضع التاج على جبينه ، ويطلب منه إذا تحقق ذلك ، أن يرفع الرمال التى تجمعت حوله لأنها تكاد تخنقه ، ولا يستطيع التنفس ، ويقول تحتمس أن هذه النبوءة الإلهية تحققت وأنه أمر برفع الرمال » .

« ولو أمعنا النظر فى هذه القصة لرأينا فيها محاولة لتبرير وجوده على العرش ، إذ لو كان هو الأمير الشرعى لما كان هناك داع لهذه القصة المخترعة ، كما أننا نعرف فى الوقت ذاته من مقبرة المشرف على تربيته ، أن نزاعا حدث بين الأمراء ، فمحيت أسماؤهم ماعدا تحتمس الذى أصبح فيما بعد ملكا على البلاد ، وربما كانت

---

(١) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٤ ص ٤٦٤ — ٥١١ ، ود . محمد أنور شكرى : **حضارة مصر القديم** ص ١٩٠ و ١٩١ .

مؤامرته لإبعاد أخيه صاحب الحق قد أغضبت كهنة « أمون » الذين لم يقروه على مافعله .

من أجل ذلك اتجه نحو كهنة « الشمس » وبذل كل ما فى وسعه لإحياء عبادة « رع » وأكثر من ذلك فإنه شجع عبادة قرص الشمس « أتون » وأصدر أمره برسمه أثناء إعطائه الحياة ، وسيتجلى ذلك مع النتائج الكبيرة الأثر فى عهد حفيده « أخناتون » .

لقد أبدى هذا الملك جدارة تامة فى الحكم ، ويقظة وحزما كبيرين فى حسن إدارة البلاد ، واقتفى أثر جده البطل (تحتمس الثالث) فى الشئون الداخلية والخارجية ، وكان آخر ملوك مصر المحاربين الذين قامت الإمبراطورية على سواعدهم ، وجعل هيبة السلطان المصرى تحتل المكان الاسمى فى سوريا وفى العراق وفى آسيا الصغرى وفى أدنى الشرق ، بما قام به من شجاعة وبطولة على رأس الجيش فى آسيا أدت الى انتصارات باهرة متتابعة ، وقد ساعده على ذلك استتباب الأمن داخل البلاد خلف الجيوش المصرية الظافرة .

وإذا كان قد أبلى فى الحروب بالخارج، فإنه قد أبدى من النشاط والحزم وحسن إدارة البلاد بأفق واسع وجهود ناجحة ، أوصلت سلطان مصر فى عهده إلى مكان الزعامة ، وجعلت هيبتها تحتل المكان الأسمى فى مختلف دول آسيا وخاصة ممالك (ميتانى ، وبابل ، وأشور ، وخيتا) فأحدث بينها تنافسا فى أن تخطب ود مصر وأهمها فى ذلك الحين كانت مملكة « ميتانى » .

وكانت الجهود الضخمة لوالده وجده العظيمين قد يسرت له الأمور، وأعانته على السير بالإمبراطورية سيراً حميداً ، فهادن وصادق وتودد ، ثم وثق عرى ذلك بمصاهرة ملك « ميتانى » القوى ، فتزوج من ابنته التى أصبحت بعدئذ والدة الملك « أمنحوتب الثالث » .

تولى تحتمس الرابع العرش فى سن العشرين، ولم تطل مدة حكمه أكثر من أربعة عشرة عاما كافح وجاهد فيها جهاد الأبطال ، ونهض ببلاده الى

أقصى درجات الرقى والحضارة ، وكان موته إيذانا ببدء فترة جديدة فى تاريخ مصر كما سيتضح ذلك فيما يلى :(١)

ب — عصر أخناتون (العمارنة) وانهيار الامبراطورية

الملك امنحتب الثالث (١٣٧٠ — ١٣٦٠ ق . م .) . (شكل ٢٢)

نشأ هذا الملك فى حياة ترف ومتعه ، وفى النصف الأخير من حكمه صم أذنية عن كل نداء ينبهه إلى الخطر الذى يهدد البلاد بفقد ولاياتها ، ويبدو أن هذه الحياة اللاهية ، قد سادت الشعب ، كما يشير مدرس لتلميذ فى إحدى البرديات : يحذره من ارتياد مشارب الجعة ، واصفاً له مافيها من المغنيات والراقصات المحترفات ، وما يجرى من أعمال تتنافى مع الخلق الكريم ، ولقد تأثر الحكم والأمن دون ريب تأثراً واضحاً خلال هذا العهد(٢) .

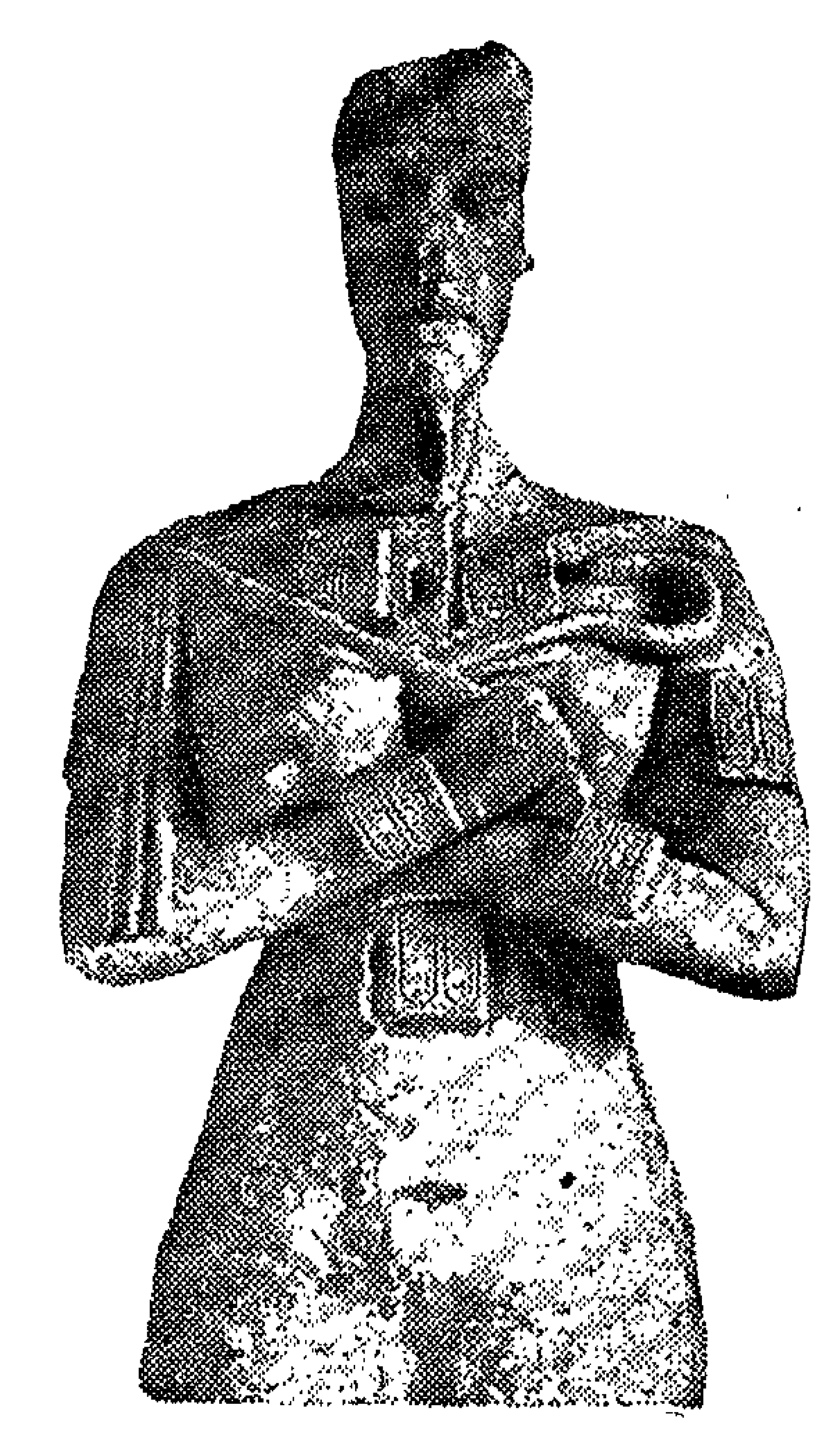
الملك امنحتب الرابع «أخناتون» (١٣٧٠ — ١٣٤٩ ق . م .) :(شكل ٣٥)

كانت مصر بعد « أمنحتب الثالث » فى حاجة ماسة إلى ملك يعنى بإقالتها من عثرتها والعمل على إزالة آثار الأخطار الجسام التى خلفها العهد السابق ، ولكن شاءت المقادير أن يشارك الملك « أمنحتب الرابع » أباه فى الحكم ، ولما انفرد به لم يلق بالا إلى شئون الدولة فى الخارج والداخل ، إذ شغل بأحداث دين جديد واختار القوة الكامنة فى قرص الشمس « أتون » إلها له ، ولم يشتط فى دعوته لدينه ، بل احترم كافة الآلهة ، ومع ذلك ناصبه كهنة أمون العداء وأعلنوها عليه حرباً شعواء وحذا حذوهم رجال الدولة المحافظون ، فأحدث ذلك بلبلة

---

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٢٩٣ — ٢٩٥ ، ود. أحمد بدوى: **فى موكب الشمس** ج ٢ ص٥١٥ — ٥٢٩ ، وبرستد: **تاريخ مصر من أقدم العصور** تعريب د . حسن كمال ص ٢١٦ و٢١٧ .

(٢) د .أحمد فخرى: **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص٣٠٠ ـ ٣٠٣ .



(شكل ٣٥) الملك امنحتب الرابع (اخناتون)

فى الأفكار واضطرابا بين طوائف الشعب ، واختلالا فى الأمن ، مما أدى إلى شعور الملك بالخوف على حياته ، وعدم اطمئنانه إلى حرسه المصريين ، فأحاط نفسه بحرس آخر غير مصرى .

وتحدثنا مناظر مقبرة « ماحو » الذى كان يشغل وظيفة «رئيس الشرطة» بمدينة « أخت أتون » عن مؤامرة دبرت لقتل الملك ،وكاد ينجح المغامرون فيما عقدوا الأمر عليه ،لولا يقظة رئيس الشرطة وإسراعه بالقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة .

وتشير تلك الحادثة إلى ماوصلت إليه حالة الأمن فى البلاد من اضطراب فادح[1].

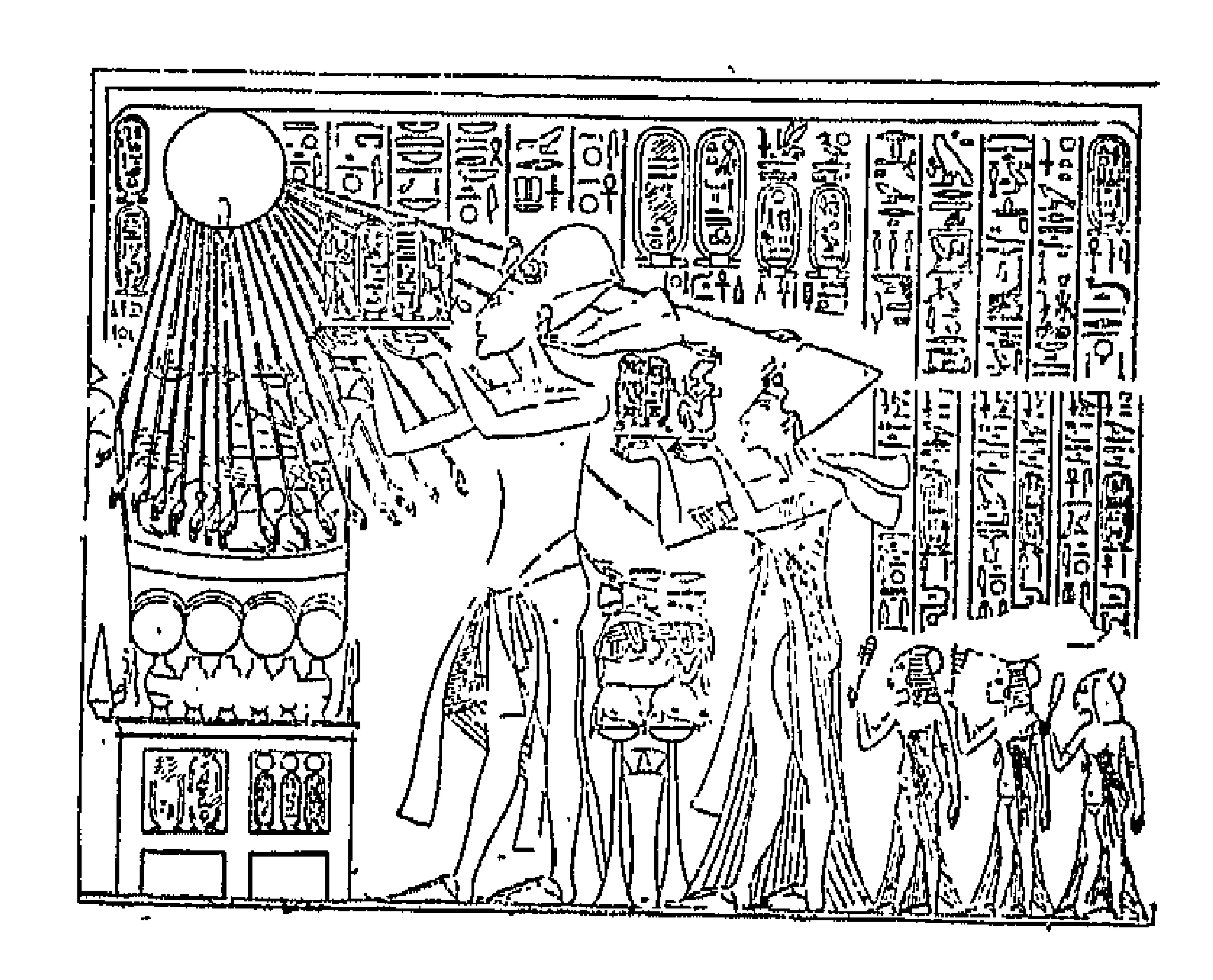
---

(١) ود . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية**،ص ٣٠٣ و ٣٠٦ ـ ود . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** جـ ٢ ص ٢١٨ و ٥٦٨ و ٥٨٣ ـ ود . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** جـ ٢ ص ٥٦٨ و ٦١٠ ، ود . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٥ ص ٤٢٠ و ٤٢١ .

وفى عهده انتهز بنو إسرائيل فرصة الانحلال والفوضى ، فعاثوا فى الأرض فساداً، ولكن شاء الله لمصر الخير وأعان شعبها على تطهير البلاد منهم .

ولما اشتدت مهاجمة الكهنة للملك أمنحتب الرابع ، اشتد تعصبه لدينه وشيد مدينته ثم أطلق عليها اسم « أخت أتون » لتكون معقل الدعوة للدين الجديد ، فأعلن فى العام السادس من حكمه أنه اختار لنفسه اسم (أخ — أن — أتون) أى « الحفيد لأتون » لكى يؤكد صلته بمعبوده ، وأمر بإغلاق معبد « أمون » وتحريم عبادته ، ثم محا اسمه من الآثار جميعاً . (شكل ٣٦)

وأعلن الحرب على كل الآلهة بما فيها « أوزيريس» فتكتل الكهنة ضده بعناد شديد ،وغرقت البلاد فى خضم هائل من الصراع الدينى ،وتفاقمت الفرقة بين الناس ، وزادت متاعب الملك ، فانتقل من طيبة إلى عاصمته الجديدة ، غير ملتفت لشئون الإمبراطورية الواسعة التى أخذت تنسلخ منها الولايات تباعاً ،واتخذ له بطانة من الأعوان ، وأبعد عن الوظائف من لم ينحازوا إليه ومن بينهم الكثير من الأكفاء الذين كانت الحاجة ماسة إلى خبرتهم فى هذه الظروف العصيبة ، فازدادت الحالة سوءاً ، داخل البلاد وخارجها وأغمض عينيه وغض الطرف عن الخطر المحدق بالإمبراطورية ، فأطمع ذلك الدول المجاورة ،وأغارت مملكة «خيتا» على سوريا وضمتها إلى أملاكها ، كما أعلنت فلسطين وفينيقيا وغيرها استقلالها .



(شكل ٣٦) الملك « أخناتون » وأسرته يقدمون القرابين للشمس

وأحدثت بعض قبائل بدو الصحراء المعروفة باسم « خابيرو » اختلالا في الأمن ، واستخدمها بعض الأمراء في الحرب ضد منافسيها ، وهكذا حاق الخطر بمصر من كل ناحية .

وأخفق الحكام المصريون وأمراء وزعماء آسيا المخلصون لمصر فيما بذلوه من جهود لدى أخناتون وطيبة بكل الوسائل ، فلجأوا إلى والدته الملكة « تيي » في طيبة التي كررت نصائحها وتحذيراتها للملك دون جدوى ، إذ ظل منصرفا إلى العبادة ووضع الأناشيد في مدح إلهه « أتون » وقضاء كل أوقاته في المعبد ، والإغداق على أشياعه وخاصة ذلك الأجنبي الذي اصطفاه الملك ويدعى « توتو » الذي قوى سلطانه وأصبحت له الكلمة العليا ، وكشفت الآثار أن بضع أمراء أسيويين استعانوا بنفوذه في تحقيق مآربهم دون علم الملك بذلك ،فزاد ذلك من تفكك عرى الإمبراطورية ، وانزوى أخناتون في قصره ومعبده خوفاً على حياته ، ثم مات في سن مبكرة قبل أن يوطد دعائم دينه الجديد في البلاد ، ويرى المؤرخ «الكسندر شارف» أن موته لم يكن طبيعياً ، بل دبرت ضده مؤامرة قضت على حياته .

كما يرى الدكتور أحمد فخرى : أن « سمنخ كارع » الذى كان الملك قد أوفده إلى طيبة لمحاولة إعادة الأمور إلى ما كانت عليه ، وباءت جهوده مع كهنة أمون الأقوياء بالفشل في ذلك الحين ، قد مات اغتيالا وأن اسم زوجته اختفى ، مما يدل على اختلال الأمن واضطراب الأحوال في البلاد إذ ذاك .

وقد كان لفن العمارة أصوله وجذوره منذ أيام الدولة الوسطى ، وتحددت خطوطه في عصر « أمنحتب الثالث » وتبلور في وضوح ظاهر أيام « أخناتون » فبلغ غاية الحد من الحساسية والجمال والإبداع في التمثيل الطبيعي ، فكان بذلك متمشيا مع روح الدين الجديد ومبادئه .

تمجيد بعض المؤرخين لأخناتون : إن المعجبين بأخناتون من المؤرخين كثيرون:

قال الدكتور أحمد بدوى : « قد كان عهد (أخناتون) من أجل عهود التاريخ وأبرها بالإنسانية ، وإننى حين أتصور ألوانه ، لا أكاد أراها غير مزيج عذب من الخير والجمال والحق والعدل والحرية الصادقة ... وليس من الغريب أن تكون أيام عهد أخناتون قصيرة ، فالجمال أندر من القبح ، والخير أندر من الشر، والحق أقصر عمراً من الباطل، والظلم أكثر شيوعا من العدل، والحرية أقل انتشاراً بين الناس من الاستعباد والذل[1] .

وقال الدكتور أحمد فخرى :

« لقد بلغ الإعجاب ببعض الباحثين فى هذا العصر إلى تمجيد أخناتون تمجيداً كاد يرفعه إلى درجة الأنبياء ، لأن هذا الرجل العظيم استطاع فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ البشرية أن يكتب ما كتب، ويدعو إلى ما يقرب من الوحدانية وكان لأناشيده وآرائه أثر فيمن جاء بعده من الشعوب » .

« كان (أخناتون) فيلسوفا ومفكراً من خير فلاسفة ومفكرى العالم القديم ، وإذا كانت المرارة قد تملكت نفسه بعد أن رأى الصعاب فى نشر دينه الجديد ، فأهمل شأن الحرب وربما كان لذلك أسبابه، وربما كان أيضاً عن عقيدة راسخة فى المحبة والإخاء بين الناس وكراهية منه للقتل والتخريب » .

« كان (أخناتون) عظيما من عظماء التاريخ، ليس فى مصر وحدها وإنما فى تاريخ العالم ، وكانت صيحته دعوة جديدة فى آذان العالم ، لم يكن الناس قد تهيئوا لها إذ ذاك ، ومهما قيل عن تفكك الإمبراطورية فى عهده ، فهذا أمر آخر ، وإن أناشيده وآراءه وأثر ثورته فى الفن لباقية ، وستظل باقية كإحدى مفاخر

---

(١) د. أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج ٢ ص ٦١٠ و ٦١١ — وشارف : **تاريخ مصر من فجر التاريخ** تعريب د. عبد المنعم أبو بكر ص ١٤١ — و. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ٢ ص ١٩١ — ٢٠٠ — ود. أحمد فخرى: **مصر الفرعونية** طبعة ثانية عام ١٩٦٠ ص ٣١٩ ، ٣٢٠ و٣٢٧ و٣٢٩ .

الحضارة المصرية ، وسيظل اسم « اخناتون » وأضواء ثورتة الدينية لامعة فى تاريخ الفكر فى العالم ».

الملك سمنخ كارع :

كان زوجاً لابنة « اخناتون » من زوجته « نفرتيتى » واشترك معه على العرش بضع سنوات ثم انفرد بالحكم بعده فترة قصيرة ، وكان على صلة حسنة بكهنة طيبة لاعتداله فى معاداتهم ، ثم رغبته فى مهادنتهم .

واختارت « نفرتيتى » توت عنخ أمون « زوجاً لابنتها الأخرى وجعلته وليا لعهد « سمنخ كارع »[١] .



(شكل ٣٧) الملك « توت عنخ أمون »

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، جـ ٢ ص ١٩١ و ١٩٢ — ود. أحمد فخرى: **مصر الفرعونية** ص ٣٢٣ و ٣٢٥ — ود. أحمد بدوى: **فى موكب الشمس** جـ ٢ ص ٦٢٠ — ود . سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٥ ص ٤٤٢ — ٤٥٩ .

الملك توت عنخ أمون (١٣٤٨ — ١٣٣٧ ق.م) : (شكل ٣٧)

بمجرد وفاة (سمنخ كارع) رفع أنصار الردة ولى عهده (توت عنخ أتون) على العرش ، وكانت البلاد تتطلع بعد أخناتون إلى ملك قوى حازم يلى حكمها ولكن وليها توت عنخ أتون وهو فى نحو العاشرة أو الحادية عشرة من عمره ، وكانت ولايته للعرش خسرانا للمذهب الجديد ، فانه بمجرد توليته خضع لجميع اشتراطات كهنة أمون وسطوتهم ، ففقد الدين الجديد بذلك كل أمل فى البقاء وعاد إلى عبادة « أمون » وغير أسمه من « توت عنخ أتون » إلى « توت عنخ أمون » وأعاد البلاط إلى « طيبة » ، وكان هذا اليوم بدء تسلط الكهنة على شئون الدولة ؛ ولم تتمكن الفراعنة فيما بعد من استعادة قداستهم ونفوذهم القديم.

وأقام « توت عنخ أمون » ستة أعوام أخرى فى طيبة ، وبلغت مدة حكمه تسعة أعوام ، ومات وهو فى ريعان شبابه .

ويتبين من دراسة آثاره وعصره ، أنه بالرغم من صغر سنه عند توليه العرش ـ مع ضعف بنيته ـ أخذت مصر تنهض من كبوتها فى الخارج وتستأنف حياتها العادية فى الداخل ، وأنقذت البلاد من الفوضى الدينية المحزنة التى وقعت فيها ، وقد وصف ذلك « توت عنخ أمون » فى لوحة تذكارية « بالكرنك » معدداً ما قام به من جهود فى سبيل إصلاح البلاد وأمنها ، مستعيناً بالقائدين « حور محب » و « آى » :

وتدل دراسة تاريخه على أنه كان شهما ، وقد خلد لمصر مجدا فنيا عظيما ، ولو طالت حياته لسعدت البلاد بالكثير من ثمرات جهوده .

الملك آى (١٣٤٤ — ١٣٤٢ ق . م):

تزوج بأرملة « توت عنخ آمون » فكسب بذلك شرعية توليه العرش ، إذ كان يخشى منافسة القائد القوى « حورمحب » وإن كان هذا الزواج مازال مشكوكا فى صحته ، وكان فى نشأته من قادة الجيش برتبة فارس ، كما كان كاهنا متحمسا « لأخناتون » ومواليا لعقيدته ، إذ هاجر معه إلى « أخت أتون » ولقب بالأب المقدس ، ولكنه سرعان ماعاد إلى الدين القديم ، وانتقل مع « توت

عنخ أمون » إلى مدينة (طيبة) . ولما تولى الملك بعده لم يقو على مقاومة الثورة الفكرية والاجتماعية ، والفوضى التى اضطرب معها الأمن بالبلاد ، ولم يستمر على العرش طويلا ، ويقول الدكتور « سليم حسن » :

«إن (آى) لم يحكم أكثر من ثلاث سنوات ، ولم يعلم من آثارة كيف كان مصيره ، هل مات حتف أنفه أو أعلن عليه القائد الأعلى للجيش (حورمحب) العصيان وقتله ؟ ، وتدل ملابسات الأحوال على أن الرأى الأخير هو المرجح » .

صراع السلطة واضطراب الامن لاقصى الحدود:

وقد حدث بعدئذ صراع على السلطة ، فوقعت طيبة فى أيدى اللصوص الذين نهبوا بعض المقابر ، واضطرب الأمن لأقصى الحدود .

فتطلعت الأنظار الى القائد الفذ « حور محب » إذ لم يكن غيره يصلح لتولى العرش[١].

فترة الإصلاح الداخلى

جـ — الملك حور محب

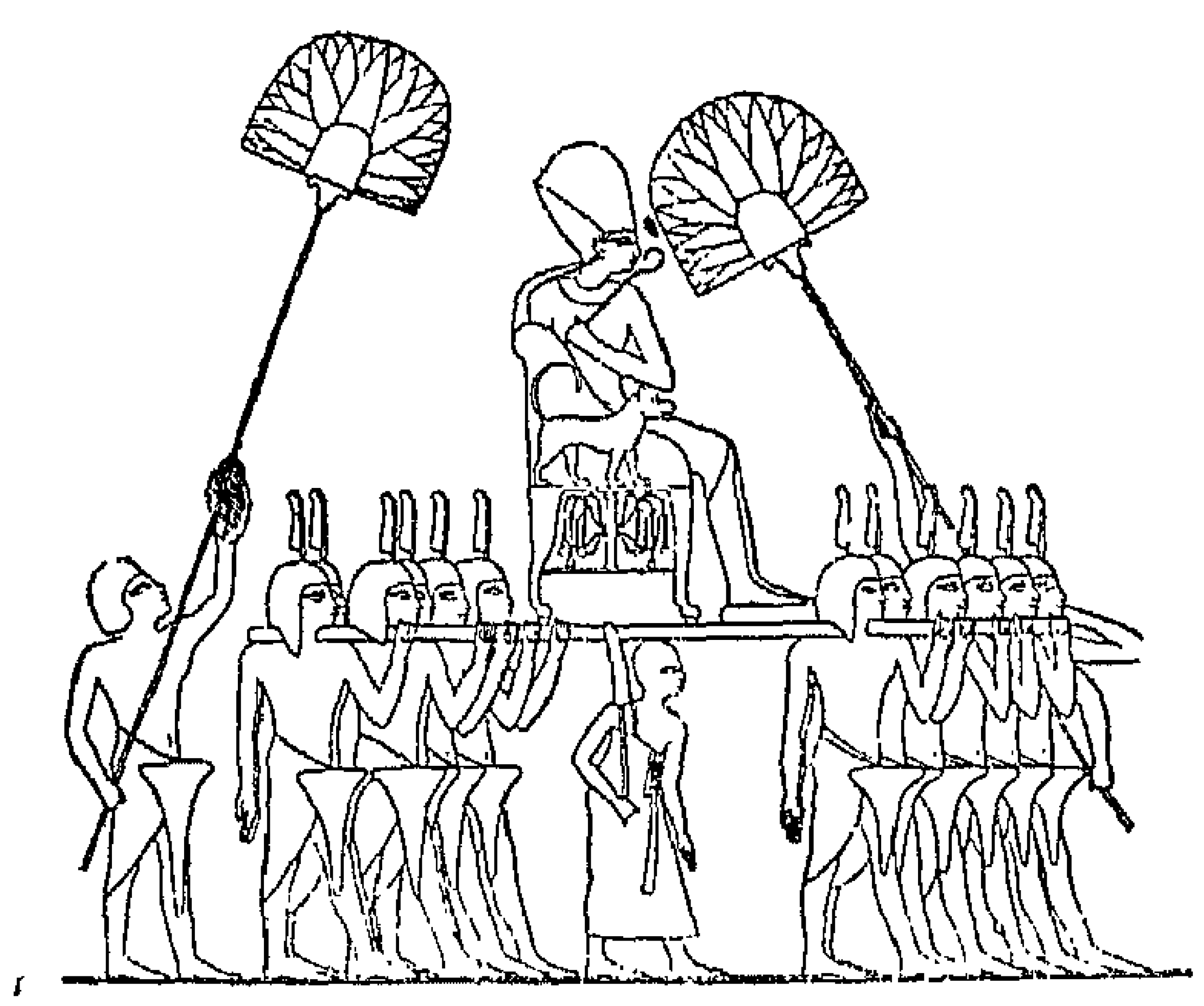
١٣٤٢ — ١٣٠٣ق . م (شكل ٣٨)

كان «حورمحب» من بين أتباع «أخناتون» ونشأ بين أبناء الشعب ، وانصهر فى بوتقته، فكان ملماً برغباته وميوله وآماله ، وما حاق به من عسف وظلم.

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٣٣ و ٣٣٤ ،
و د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** جـ ٢ طبعة ١٩٥٨ ص ١٩٦ — ١٩٩
(١) د. سليم حسن : **مصر القديمة** جـ٥ ص ٤٤٦ — ٥٧٦ .

وكان كثير الشبه بـ «تحتمس الثالث» وقضى صدر شبابه بالجيش ، وكان إدارياً ماهراً مغرماً بالأدب والعلم ، وتولى عدة مناصب هامة فى الدولة ، منها القيادة العامة للجيش ، ورئاسة المستشارين الملكيين ، ووزارة العدل ، وكان محل ثقة الجيش وكهنة أمون (بطيبة) لذلك كان توليه العرش أمراً سهلا ، اذا أخذنا فى الاعتبار كذلك تزوجه بإحدى أميرات البيت المسالك .

تولى «حور محب» الملك والبلاد فى حالة سيئة واضطراب فى الأمن لدرجة الإنهيار كما بينا ، وكان عليه أن يبذل من الجهد الكثير لإعادة الأمن وتنظيم الإدارة بالبلاد ، وقد كان فضلا عن كفايته وخبرته ، ملما بنواحى الخلل والفساد فيها عليماً بوسائل معالجتها فسارع إلى تحقيق ذلك بحكمة وحزم .



(شكل ٣٨) الملك حور محب يحمله الجنود وحاملا المراوح إلى الأمام والخلف

وكان يرى أنه لا أمل فى حروب بالخارج دون الاستقرار فى الداخل لذلك عقد معاهدة مع ملك « خيتا » ضمنت له الاستقرار على الحدود ، فانطلق بكل طاقته إلى الإصلاح الداخلى بالبلاد ، وأصدر مرسوما مليئا بالإصلاحات الإدارية المتنوعة ، وكان يشرف بنفسه على دقة تنفيذه .

المرسوم الإصلاحى

يشتمل على تشريعات عديدة : منها ما يختص بالعقوبات التى توقع على من يعتدى على السفن التى تحمل الضرائب الى خزانة الدولة ، أو تحمل أشياء للمعابد أو زوجة الملك، ومنها ما يختص بمعاقبة الموظفين الذين يسخرون الأرقاء دون رضاء سادتهم، أو يتلاعبون فى تحصيل الضرائب، ومعاقبة الجنود الذين يظلمون الفلاحين .

كما يشتمل على إصلاحات إدارية ومالية وقضائية ، منها النص على عقاب من ينحرف من القضاة لرشوة أو غيرها بالإعدام .

وفى ختامها يقول :

« إنكم تستطيعون رؤية هذه المراسيم التى أمرنا بتحديدها لإصلاح شئون البلاد كلها ، بعد أن رأينا أعمال الظلم التى كانت تقترف فى هذه البلاد » .

وتوفى (حور محب) سنة ١٣٠٤ ق . م ، بعد أن حكم ثلاثين عاما، أعاد فيها الى البلاد الاستقرار والأمن والعدل والرخاء ؛ كما نجح فيما أراده من إسعاد الشعب ؛ فعادت لمصر ثقتها فى نفسها وعادت الطمأنينة إلى النفوس ، واستتب الأمن لأقصى الحدود »[1].

وهكذا اختتمت الأسرة الثامنة عشرة أيامها بالملك العظيم (حور محب) كما بدأتها بالملك البطل (أحمس الاول) وإذا كان أحمس قد وضع الأساس الحربى لهذه الإمبراطورية فإن (حور محب) قد وضع الأساس المدنى لها .

---

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٣٤ — ٣٣٨ ، برستد: **تاريخ مصر من أقدم العصور**، تعريب. د. حسن كمال ص٢٦٧ و٢٦٨ و د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٥ ص ٥٨٠ — ٥٩٣ .

(٢) د.أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٣٤ — ٣٣٨ .

وبدون ريب كان للجهود الممتازة لحور محب فى ماضى حياته والتى جاءت به إلى العرش أعظم الأثر فى حسن إدارة الإمبراطورية بكفاءة نادرة فى عهده الزاهر المجيد .

٧ — عصر استعادة الإمبراطورية

الأسرة التاسعة عشرة وتوطيد الأمن

(١٣٠٤ — ١١٩٥ ق.م)

توطد الأمن فى عصر هذه الأسرة ، بجهود الملوك العظام رمسيس الأول وسيتى الأول ورمسيس الثانى ومرنبتاح كما يلى :

الملك رمسيس الاول (١٣٢٠ — ١٣٠٨ ق . م) :

تولى العرش وهو طاعن فى السن ، وكان ذا نفوذ كبير فى الجيش والإدارة ، وثالث الملوك العسكريين عقب الثورة الدينية بعد « حور محب » الذى كان أستاذه وزميله فى الجيش ومن أخلص أنصاره ، وكان من القواد العسكريين وشغل منصب وزير بالوجه القبلى ، وأشرك معه فى الملك ابنه « سيتى الأول » الذى كان إذ ذاك يناهز الأربعين من عمره ، وقد أنشأ رمسيس الأول الكثير من المعابد خصوصاً فى (منف والنوبة) — لذلك قام الكهنة بتأييده ومؤازرته ، وأسس أسرة ملكية من عقبه ، شأنه فى ذلك شأن الملك « أمنمحات الأول » وقد حكم رمسيس الأول نحو عامين متتبعاً سياسة سلفه العظيم « حور محب » واستقر فى عهده الأمن بالبلاد .(١)

(١) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ج ٢ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ود . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج ٢ ص ٢٩٠ — ٢٩٦ ، و د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٣٩ .



(شكل ٣٩) تمثال من المرمر للملك « سيتى الأول » دولة حديثة

الملك سيتى الأول (١٣٠٣ — ١٢٩٠ ق . م) (شكل ٣٩)

سماه أبوه بهذا الإسم نسبة إلى الإلة ست ، وقد كان جندياً وإدارياً حازماً ، وسلك سياسة رشيدة على منوال والده،وكان له من قدرته وخبرته وحزمه ماجعله يبدأ عصراً جديداً فى تاريخ البلاد ، فسميت أولى سنى حكمه « عصر البعث » وكان من جلائل أعماله ذلك الفتح الذى أحرزه فى بلاد آسيا وقمع الثورات فى بلاد النوبة ، واستثمار مناجم الذهب فيها ، وتوجد بردية بمتحف تورين بإيطاليا توضح مختلف الطرق إلى هـــذه المناجم ، وهى تعتبر أقدم وثيقة جغرافية فى التاريخ .

وأهم معبد أقامه « سيتى الأول » فى الإمبراطورية المصرية هو فى (العرابة) وهو الذى كانت تقام فيه الشعائر الجنائزية لملوك مصر القدامى .

ولقد لبث فى الحكم ثلاثة عشرة عاما،سعدت مصر فيها بنجاح جهوده فى الداخل والخارج،إذ استتب الأمن فى أرجائها واستعادت الإمبراطورية

المصرية مجدها ، فجدد بذلك عهد « أحمس الأول » و « تحتمس الثالث » و « حور محب » .

ونجد نقوش انتصاراته الباهرة على جدران معبد الكرنك، مبينا فيها الحصون التى تمتد من القنطرة إلى رفح ، وما ألحقه من هزائم بجيوش الشعوب الأجنبية التى كانت إذ ذاك تجتاح كل بلاد الشرق القديم ، وجدد المعاهدة التى أبرمها « حور محب » مع « خيتا » »[١].

الملك رمسيس الثانى (١٣٠١ — ١٢٣٢ ق . م) : (شكل ٤٠)

هو ابن سيتى الأول ، ولما تولى الحكم نهض بالبلاد واهتم بتوطيد الأمن، ويؤيد ذلك النقش الذى يصحبه منظر يشاهد فيه « رمسيس الثانى » على عرشه ومعه الموظف « رمسيس عشاحب » منحنيا أمامه — والنص يدل على أن الملك يعطيه تعليمات — وقد جاء فيه :

«الحمد لك أيها الملك الشجاع ، ياشمس الأقواس التسعة .. انه لا يوجد ثائر فى زمنك، بل الأرض كلها فى سلام»[٢] .

قال الدكتور أحمد فخرى : « انه بعد هذه الخطوة بدأ فى استغلال مناجم الصحراء مترسماً فى ذلك سياسة أبيه ، فلما انتهى من ذلك حوالى السنة الرابعة من حكمه ، ذهب فى رحلة لزيارة أطراف ملكه فى آسيا ، والاطمئنان على حاميات الموانى وخطوط المواصلات ، ثم عاد مرة ثانية فى السنة الخامسة من حكمه بعد أن عبأ جيوشه وتقدم بها لسحق جيوش ملك « خيتا » الذى ألب الكثيرين من سكان (سوريا) ضد مصر ، ورابط بهم وبجيوشه فى « قادش » وتضاربت الأقوال عن نتيجة هذه الموقعة ، ولم يمض عامان

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٣ ، ود. سليم حسن : **مصر القديمة** جـ ٦ ص ٢٩ — ١٧٦ .

(٢) أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٤٤ـ٣٥٧ ، ود. سليم حسن: **مصر القديمة** جـ ٦ ص ١٩٨ ـ ٥٠٨.



(شكل ٤٠) تمثال للملك رمسيس الثانى دار تحف تورين

على معركة « قادش » هذه حتى كانت « فلسطين » قد ثارت بأسرها ، فسارع « رمسيس الثانى إلى إخماد الفتنة وأعاد كل فلسطين إلى حظيرته ، فردت هذه الحملة إلى مصر سيادتها على تلك البلاد كلها وعلى شاطىء فينقيا ، وبعض جزر البحر المتوسط ، وآثر أكثر هذه البلاد مودة مصر ، فأرسلوا وفودهم إليها ومعهم الهدايا ، طالبين الاطمئنان إلى التحالف معها .

«ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الحملة كانت سببا فى ذيوع اسمه كأحد الفراعنة المحاربين ، الذين حافظوا على الإمبراطورية التى ورثها عن « تحتمس الثالث » .

وكانت هذه الحملة أيضا درسا قاسيا لمملكة « خيتا » وأجبرها على احترام مصر ،

وعدم التدخل فى أمر ولاياتها» (١)

وقال أيضا « .. لقد اضطر الملك «خيتا» أن يوثق الصلة، فجاء زائرا إلى مصر ومعه ابنته وزفها زوجة إلى رمسيس، وكان ذلك فى العام الرابع والثلاثين من حكمه، وكان فى مصاهرة هذين البيتين ما كفل الأمن والطمأنينة فى غربى آسيا»(٢).

ولم يبلغ ملوك مصر ما بلغه « رمسيس الثانى » من شهرة فى التاريخ ففى خلال حكمه فرض اسمه وشخصيته على عصره وعلى العصور التالية ، وملأ الدنيا كلها بآثاره .

وقال الدكتور احمد بدوى :

«إن أهم ما يلفت النظر حقا فى أخبار ما قام به من حملات ، أنه قد أمن شمال الوادى (دلتاه) حتى (استطاع أهله أن ينعموا فى سلام) بعد أن كانوا مهددين بعصابات للنهب من قراصنة البحر ،الذين انتهزوا فرصة موت عاهل مصر الكبير « سيتى الأول » فأكثروا من الإغارة على الشمال ، حتى بات أهله فى رعب(٣)».

التدهور فى أواخر عهده :

ولقد أكثر رمسيس الثانى » من الزواج، وزادت بذلك ذريته عن أى ملك آخر ،وشهدت الأيام الأخيرة من حكمه تدهوراً فى الإمبراطورية، ويرجع ذلك إلى ضعفه لشيخوخته ، وتنافس الأمراء العديدين .

ومات رمسيس شيخا معمرا بعد أن حكم سبعة وستين عاما، ملأ فيها سمع الدنيا وبصرها بأعماله المجيدة وانتصاراته الباهرة ، وما حققه لمصر من هيبة وعظمة فى صدر شبابه(٤) .

---

(١) د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٤٥ ـ ٣٥٣ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) د. أحمد بدوى: **فى موكب الشمس** ج ٢ ص ٨٥٧.
(٤) د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٥٦ .

الملك مرنبتاح (منفاح) «١٢٢٢ — ١٢١١ ق . م . » :

كان يقرب من الستين عندما تولى العرش، وكانت مظاهر التدهور قد شملت البلاد فى أواخر حكم الملك « رمسيس الثانى » كما ذكرنا، وكانت البلاد والأمن فى حالة انهيار تام ، فبذل مرنبتاح » جهوداً موافقة خلال مدة حكمه فى إعادة الأمن والطمأنينة إلى البلاد، وفى القضاء على الفتن والمؤامرات التى كان يسعى لتدبيرها بعض أفراد الأسرة المالكة العديدين الطامعين فى العرش ، ومعهم بعض الحاشية والكهنة وحكام الأقاليم، كما نجح فى صد تيار هجرة الشعوب الأجنبية « الهندو أوربية » وأخمد الثورات التى قامت فى بعض الولايات المصرية بآسيا .(١)

ولقد انتصر فى حملته على الليبيين كما انتصر على بنى إسرائيل فى آسيـا .

وكانت قبائل بنى إسرائيل قد اشتركت فى الثورة العامة مع (أهالى غرب سوريا وفلسطين) التى كانت خاضعة لحكم مصر فى العام الثالث من عهده . وسجل انتصاراته على لوحة جاء فيها :

« شمل مصر فرح عظيم ، وتصاعدت منها أصوات السرور ، فأصبح الكل يلهجون بنصر (مرنبتاح) قائلين (ما أحب هذا الملك المنتصر ، وما أعظمه بين المعبودات ، وما أسعد هذا الحاكم ، اجلس مسرورا وتكلم أو سر بعيداً حيث أردت ، فلا خوف الآن فى قلوب الناس) تركت القلاع وشأنها ، وفتحت الآبار من جديد ، وأصبح الرسل ينتظرون حول القلاع مستريحين فى ظل جدرانها التى تقيهم حرارة الشمس حتى يتنبه الحراس من الداخل ....،أما الجنود فأصبحوا ينامون مستريحى البال ، وعاد حراس الحدود يشتغلون فى حقولهم كالعادة ، ...

(١) د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

ولا أثر للأصوات التى كانت تنادى فى صميم الليل ، قف أو أقدم ، كل شخص يروح ويغدو مغنيا ،ولم يعد الناس يتنهدون فى حسرة ، ومن زرع فسيجنى محصوله ويأكله ، حقا لقد رجع رع إلى مصر كيف لا ، فقد ولد ليدافع عنها ويحميها فى شخص الملك (مرنبتاح) ...، أما بنى إسرائيل فقد أتلفت بلادهم وخربت ، ولم يعد لهم محصول ، وأماخارو (فلسطين) فقد جعلتها مصر كأرملة ، واتحدت البلاد وخيم السلام على الجميع وأصبح (مرنبتاح) يوثق بحباله كل من يثور على النظام »[1].

يتضح من هذا النص أن مرنبتاح نجح فى القضاء على الاضطرابات فى الداخل وعلى الثورة العامة فى الخارج ، وبذلك أعاد إلى البلاد الأمن والطمأنينة .

الانهيار الكبير :

ولكن ما أن توفى هذا الملك العظيم حتى حدثت عدة اضطرابات شديدة واختلال كبير فى الأمن لدرجة الانهيار والفوضى ، بسبب التآمر على العرش من الكثيرين الطامعين فيه .

وظلت مصر دون حاكم بضع سنوات ، وتمزقت البلاد شر ممزق ، وأعلن بعض كبار حكام الأقاليم استقلالهم ، وقد أشارت إلى ذلك بردية « هاريس » التى سيأتى ذكرها فى نهاية هذا الفصل[2] .

خلفاؤه :

خلفه ثلاثة ملوك كان كل منهم يغتصب العرش اغتصابا ، وكان الأمن مختلا حين ذاك ، ولم يصل إلينا كيف تمكن كل منهم من الوصول إلى حكم البلاد وهم :

---

(١) د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، ج ٢ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٢) نفس المرجع : ج ٢ ص ٢٩٧ .

(ا) « أمون — مس » وكانت مدة حكمه قصيرة جدا ، وغير معروف كيف استولى على العرش، وكان الأمن مختلا والأحوال مضطربة للغاية حينذاك .

(ب) « مرنبتاح سيبتاح » : طال حكمه ست سنوات ، صمد فيها للصعوبات التى اكتنفت عهده ، وخلفه سيتى الثانى .

(ج) سيتى الثانى : حكم أيضاً ست سنوات ، هشم خلالها مقبرة سلفه واغتصبها لنفسه .

(د) رمسيس سى بتاح : كان ضعيفاً وترك العرش بعد بضع سنوات ، فتمزقت البلاد شر ممزق ، وأعلن الحكام استقلالهم ، وظلوا يحاربون بعضهم البعض ، فانتهز السورى « إرسو » فرصة الفوضى الشاملة واختلال الأمن ، وتمكن من الوصول إلى العرش ، فأساء إلى الشعب بالكيفية التى أوضحها « رمسيس الثالث » فى بردية « هاريس » التى سيأتى نصها .

وشاءت عناية الله إنقاذ البلاد من هذه الفوضى واختلال الأمن إلى أقصى الحدود ، وذلك على يد (ست نخت) الذى تولى العرش بعده واستعاد لها هيبتها ومجدها كما سنبينه فيما يلى :

الملك ست نخت وتوفير الاستقرار والأمن (١١٩٥ — ١١٩٢ ق . م)

حكم مصر نحو ثلاث سنوات ، بذل فيها جهوداً مثمرة ، أدت إلى استعادة الاستقرار والأمن إلى البلاد ، بعد أن طهرها من العصاة وشاعت الطمأنينة بين جميع أفرد الشعب .

وجاء فى بردية « هاريس » فيما كتبه « رمسيس الثالث » عن أعمال والده وصف موجز عن اضطراب الأمن والحالة السيئة التى كانت عليها البلاد قبل توليه العرش قال :

« إن مصر قد غزيت من الخارج ، وبقى الشعب سنوات عدة دون حاكم وانقضت أعوام اختل فيها الأمن واضطربت الأحوال الداخلية ، واشتدت الفوضى ، حتى قيل أن الرجل كان فيها يذبح جاره ، وإزاء هذه الفوضى الشاملة تمكن السورى « إرسو » من تنصيب نفسه ملكا على مصر ، فعاث فى الأرض فساداً ، ونهب ممتلكات أفراد الشعب ، وأهمل المعابد ، فاتفقت الآراء على اختيار « ست نخت » فكان رحيما بالناس ، وبذل جهوداً أدت الى اعادة الأمن والنظام ، وطهر الوطن من العصاة ، فاطمأن الجميع ، وشمل الأمن أرجاء البلاد ، وأصبح كل فرد آمنا على نفسه وماله .

وهكذا نشأت أسرة جديدة هى « الأسرة العشرين » التى أنقذت البلاد من الفوضى ، ونهضت بها نهضة كبرى ، ثم أخذت فى الاضمحلال على الوجه الذى سنوضحه فى الفصل التالى [1] .

---

(١) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ج ٢ ص ٢٣١ — ٢٣٦ ، و د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٦٠ — ٣٦٩ ، و د. أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج ٢ ص ٨٨٤ — ٨٩١ .

٨ — عصر اضمحلال الامبراطورية

في نهاية

الأسرة العشرين

(١١٩٥ — ١٠٨٠ ق . م)

الملك رمسيس الثالث (١١٩٢ — ١١٦٠ ق . م) :

ذكرنا أن والده الملك « ست نخت » أنقذ البلاد مما تردت فيه من التفكك والفوضى ، واختلال الأمن بدرجة فادحة ، وكان ابنه رمسيس الثالث خير عون لوالده المذكور في حسن إدارة البلاد وتنظيم شئونها، وبخاصة العمل على استقرار الحكم واستتباب الأمن ، وتنفيذ عدة اصلاحات كانت في أمس الحاجة اليها

ولما أستأنف الأجانب — شعوب الهندو أوربية — هجماتهم الخطيرة صدهم بالقوات المسلحة البرية والبحرية وانتصر عليهم بعد أن اجتاحوا بلاد « خيتا » وغيرها من البلاد بين آسيا الصغرى وشمال سوريا وقبرص والفرات .

وانتصر كذلك على الليبيين وحلفائهم في هجومهم بجيش كبير ، وانتهت هذه الموقعة بهزيمة ساحقة للمهاجمين، وتمكن الجيش المصري الباسل من أسر تسعة آلاف منهم استخدمهم في بناء الحصون ، كما غنم كثيراً من الماشية والأسلحة والأواني الفضية، وفر صاحب الليبيين وانقطعت أخباره .

وتوالت انتصارات « رمسيس الثالث » في عدة مواقع حربية أخرى أعاد بها لمصر الولايات التي كانت فقدتها في آسيا وأجلى شعوب البحر عن فلسطين ووصل بجيوشه الى الفرات . وقد وصف أنباء هذه الحملة بنقوش على جدران معبده في مدينة (هابو) .

ولئن كانت خزانة الدولة قد تأثرت كثيراً بسبب أعباء هذا الحروب المتعاقبة إلا أنها عوضت ما فقدته، بل امتلأت خزائنها من الولايات الأسيوية التي استعادتها ومما غنمته خلال المعارك الحربية التي أشرنا إليها، ومن مناجم الذهب والمعادن التي أعيد استثمارها .

وقد حكم أحدى وثمانين سنة ، كانت فترة صحو بين عهدين فاسدين ، وكان فى صدر شبابه آخر الملوك العظام الذين ذادوا عن الإمبراطورية ؛ كما كان آخر البنائين الذين تركوا آثاراً خالدة تشيد بهم .

الانحراف والانهيار:

ثم كان لانصرافه الى الملذات فى أواخر سنى حكمه ، أثر كبير فى انتشار الفساد بالبلاد ، كما أن اعتماده على الأجانب وتحكم هؤلاء فى شئون الدولة وزيادة نفوذ الكهنة ، أدى الى تدهور الحالة الاقتصادية حتى ارتفعت أسعار المعيشة وخاصة الحبوب بصورة لم يكن للشعب عهد بها من قبل ، مما اضطر عمال الجبانة الى الاضراب عن العمل مراراً لعدم صرف مستحقاتهم . . . (ذكرنا تفصيل ذلك فى الفصل الثالث من الباب الثانى) .

وقد كان لهذا الاضراب أثره السيء فى اضطراب الأمن ، مما شجع أحد الوزراء على تدبير مؤامره ضده فى أتريب بالدلتا ولم ينجح ، ومع ذلك فلم يتعظ الملك بهذا النذير ودبرت مؤامره لقتله ذكرت فى بردية (هاريس) ، وقد أوضحنا تفصيلاتها (بالفصل الرابع من الباب الثانى[1]) .

خلفاؤه من رمسيس الرابع الى رمسيس الحادى عشر : (١١٦٤ — ١٠٨٩ ق . م) :

خلف رمسيس الثالث على العرش ملوك ضعاف حكموا ثمانين عاماً انصرفوا فيها عن مهام الحكم ، وتركوا إدارة البلاد للوزير فى (منف) ، وكانت السلطة الحقيقية فى هذه الحقبة فى أيدى الكهنة الذين جعلوا هؤلاء الملوك ألعوبة فى أيديهم ، وقد قوى نفوذهم وزاد ثراؤهم وعلت كلمتهم فى البلاد حتى اعتلى العرش كبير كهنة أمون واسمه (حور يحور) وأسس الأسرة الحادية والعشرين .

ويمكن القول بأن (رمسيس) باستثناء الحقبة الأخيرة من عهده كان بحق آخر الملوك الحقيقيين للأسرة العشرين[2] .

---

(١) د . أحمد فخرى . **مصر الفرعونية** ص ٣٧٠ ـ ٣٧٩ .

(٢) د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، جـ٢ ص٢٣٧و٢٣٨ ود . أحمد فخرى :**مصر الفرعونية** ص ٣١٣ ـ ٣٢٢ .

الأمن فى عهـد الدولة الحديثة

رغم ما انتاب مصر من اضطراب وضعف فى أواخر (الدولة الحديثة) التى استمرت فى الحـكم قرابة (خمسمائة عام) ، فإن أغلب ملوكها كافحوا بعزيمة وسياسة حكيمة داخل البلادوخارجها ، وتمكنوا من استعادة السيطرةعلىالحـكم ونشر العدل والأمن فى البلادعلى الوجه الأكمل ، فحققوا الأمبراطوريه فى الخارج قرابة (مائة عام) .

ومن الفراعنة الذين سجل لهم التاريخ مجـداً خالداً (أحمس الأول) محرر البلاد من طغيان « الهـكسوس »[1] .

(وتحتمس الثالث) الذى قام بأعمال جسام ، وجهود فريدة لخدمة الوطن ، بما يعجز القلم عن وصفه،وأسس فى مصر أول وأقدم أمبراطورية فى التاريخ ، ولم تشغله حروبه المتعاقبة — التى ظفر فيها بالانتصارات الباهرة ، عن الاهتمام بالشئون الداخلية للبلاد على الوجه الأكمل[2] .

والعصامى القدير (حور محب) الذى أقام الدولة من عثرتها بعد فوضى الانقسامات الخطيرة والاضطرابات التى حدثت بسبب الديانة الجديدة «الاتونية» التى استحدثها (أخناتون) أول من نادى (بالتوحيد) فى العالم .

وقضى حور محب على كل ما كان يمس نظام الحكم ونزاهته باصلاحاته العديدة فى يقظةوخبرةوحزم[3] .

و(سيتى الأول) الذى نهج «حورمحب» بنجاح كبير ، وبدأ عصراً جديداً

---

(١) برستد : **تاريخ مصر من اقدم العصور** تعريب د . حسن كامل ص ١٤٨ — ١٦٤ .

(٢) نفس المرجع : ص١٨٧ — ٢١١ ،و د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٤ ص ٤٨٧ — ٥١١ ، ٥٢٨ ، ٥٤١ .

(٣) د . سليم حسن : **مصر القديمة** ، ج ٥ ص٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٨ — ٦١٢ ، و د . أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٣٣٨ و ٣٣٩ .

فى تاريخ البلاد، فسميت أولى سنى حكمه « عصر البعث » كما أحرز فى بلاد آسيا فتحاً جديداً ، وأعاد لمصر ما كانت قد فقدته من ولايات ، وقمع الثورات فى بلاد النوبة . . . الخ[1] .

و(رمسيس الثانى) الذى حكم نحو سبع وستين عاماً، فرض فيها أسمه وشخصيته على عصره والعصور التالية، وملأ الدنيا بآثاره العظيمة[2] :

و(مرنبتاح) الذى نهض بالدولة ، واستعاد ما فقدته بسبب تنافس الطامعين فى العرش ، فى أواخر سنى حكم « رمسيس الثانى »[3] .

ولقد ازدهرت البـــلاد فى عهد الملوك العظام أيما ازدهار وسعدت بالأمن والاستقرار ، وكان لرجال الشرطة فى ذلك جهد وحسن بلاء .

---

(١) نفس المرجع : ص ٢٩٣ — ٢٩٦ ، و د . نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الأدنى القديم** ، ج٢ ص ٢١٧ ، و د . سليم حسن : **مصر القديمة** ج٦ ص ٢٧ — ٦٣ .

(٢) المرجع نفسه : ج ٦ ص ١٩٨ — ٦٣٦ ، و د. نجيب ميخائيل : **مصر والشرق الادنى القديم** ، ج ٢ ص ٢٢٨ — ٢٣٠ ؛ و د. أحمد فخرى : **مصر الفرعونية** ص ٢٩٧ — ٣٠٦ ، و د . أحمد بدوى : **فى موكب الشمس** ج ٢ ص ٨٥٠ — ٨٨٣ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

٩ — العصر اللاحق

ضربات المستعمرين ، وحروب التحرير

من الأسرة الحادية والعشرون حتى نهاية العصر الفرعونى

(١٠٨٠ — ٣٤١ ق . م)

الأسرة الحادية والعشرون (١٠٨٠ — ٩٥٠ ق . م):

أسس «حريحور» هذه الأسرة، وكان يتصف بالدهاء وبعد النظر ،وقد استفاد خبرة من تقلده عدة وظائف هامة،فقد كان وزيراً وكاهناً أول لأمون وقائداً أعلى للجيش ، ولكنه تولى العرش طاعناً فى السن، وكانت مدة حكمه قصيرة، قام فيها بمحاولات للقضاء على الفتن والثورات التى كانت منتشرة فى ذلك الحين،فى أعقاب الانهيار الذى حدث فى أواخر عهد الملك « رمسيس الثالث » وفى عهود خلفائه ، إذ سارت أمور الدولة من سيء إلى أسوأ طوال مدة حكمهم التى بلغت ثمانين عاماً تقريباً ، تفشت فيها الفوضى والفساد واختل الأمن واضطرب النظام ، فانسلخت الأمارات المصرية فى آسيا وإفريقيا تباعاً وتقلص نفوذ مصر بالخارج واقتصر على فلسطين شمالا وبلاد النوبة جنوباً ، وقد قضى كل ذلك على مواردها .

ولقد تمكن « حريحور » وخلفاؤه من تثبيت أقدامهم فى الحكم قرابة قرن وربع ، ولكنهم لم يسيطروا فى الغالب إلا على الجزء الجنوبى من مصر ، أما الجزء الشمالى من الدلتا حتى أسيوط فقد استقل بشئونه مدة طويلة تحت امرة حاكم يرجع أصله إلى أسرة من « تانيس » صان الحجر « شرق الدلتا » .

الأسرتان الثانية والعشرون والثالثة والعشرون

(٩٥٠ — ٧٣٠ ق . م)

بدأت تظهر سيطرة الليبيين الذين نزح أجدادهم إلى مصر بكثرة منذ أكثر من قرنين، وكانوا قد اندمجوا في المصريين واعتنقوا دياناتهم وعملوا في الجيش والحرس الملكي، ثم تمكنوا في النهاية من السيطرة الكاملة على مصر، لدرجة أنهم عهدوا بالدفاع عن الحدود إلى متطوعين من الليبيين أما الجنود الوطنيون فكانت مهمتهم المحافظة على الأمن الداخلي للبلاد .

ولكن الكهنة كانوا مستقلين بالحكم في طيبة تمام الاستقلال من الوجهتين الدينية والإدارية .

وبرز من الليبيين زعماء أقوياء أصبحوا ذوي مكانة عالية وأحدهم «شاشنق» الذي كان يعيش في بلدة « إهناسيا » كزعيم لأسرة ليبية قوية متمصرة .

وقد تمكن من الاستيلاء على العرش (٩٥٠ — ٩٢٩ ق.م) وجعل مقره « تل بسطة » في شرق الدلتا مكونا الأسرة ٢٢ ، وما أن تولى الملك حتى أخذت مصر السفلى الطابع الليبي تماماً ، فأصبح على رأس كل مدينة حاكم ليبي يتصرف في شئونها . كما حصل الليبيون على وظائف مرموقة في البلاط الملكي .

وكان « شاشنق » كأسلافه لا يسيطر إلى على الوجه البحري كما ذكرنا ولكنه كان في الظاهر ملكا على مصر شمالها وجنوبها، واستمر الحال على هذا مع من خلفوه .

ثم قوي نفوذ حكام الأقاليم، ولكن كان كل منهم يخشى اعتداء جاره ، فأخذ يعمل على زيادة قوته فتفشت الفوضى وحدثت ثورات متعاقبة واضطرب الأمن في كافة أنحاء البلاد ، وضعف سلطان الملوك وقوى نفوذ حكام الأقاليم وطمع كل منهم في الوصول إلى العرش فأخذ يعمل على ازدياد قوته خشية اعتداء جاره .

وفى النهاية تمكن أحدهم « پادى ست » من الوصول إلى العرش وجعل مقره فى « تل بسطة » وأسس الأسرة (الثالثة والعشرين) فى الوقت الذى كان فيه الملك السابق ما زال فى « صان الحجر » مما أدى إلى قتال عنيف بين الاسرتين الحاكمتين .

وكان توالى الحوادث فى ذلك العهد غامضا ومربكا وحالة الأمن مضطربة .

الأسرة الرابعة والعشرون

وانهيار الحالة الداخلية بالبلاد

(٧٣٠ — ٧١٥ ق . م)

انهارت الحالة الداخلية بالبلاد ، ورغم النكبات التى حلت بالدلتا خاصة ظلت طيبة محتفظة بشىء من الهدوء تحت حكم كهنتها ، وبعد وفاة الملك «شاشنبق » الخامس تنافس على الملك عدة أمراء ، كان أهمهم وأكثرهم قوة وطموحا « تاف — نخت » مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين وكان ينافسه أربع ملوك الأول : بتل بسطه ، والثانى بالاشمونين والثالث بتانيس ، والرابع بإهناسيا ، فبذل تاف نخت جهده نحو إعادة وحدة البلاد ، وتمكن تدريجيا من اخضاع الدلتا بأكملها ، وقد واصل اهتمامه بإنقاذ مصر من الفوضى فتوطد الأمن فى عهده .

وبينما هو يواصل الاهتمام بانقاذ البلاد من الفوضى التى عاشت فيها اجتاح مصر من الجنوب جيش من نباتا بالسودان بقيادة «الملك پعنخى » فلم يقو جيش مصر المرهق على صده .

الصحوة

الأسرة الخامسة والعشرون

(٧١٥ — ٦٥٦ ق . م)

تمكن « بعنخى » من الجلوس على عرش مصر مؤسسا للأسرة الخامسة والعشرين، ووطد صلته بكهنة طيبة نحو عشرين عاما، وقام بكثير من الإصلاحات الضرورية للبلاد، ثم قامت فى مصر ثورة عارمة قادها الملك السابق « تاف نخت» بمعاونة « نمرود » أمير الأشمونين، ولكن لم يكتب لها النجاح وتمكن « بعنخى» من قمعها، كما عمل على إخضاع أمراء الشمال والجنوب لحكمه، ونادى بنفسه ملكا لمصر والسودان .

لكنه قد خدع بما أظهره له الأمراء من الولاء، فلم يترك حاميات لتدعيم حكمه فى هذه الامارات ، فانتهز « تاف نخت » هذه الفرصة وعاود نشاطه بشجاعة واقدام وهب مرة أخرى يعاونه جميع الأمراء ومضوا فى كفاح مرير ومقاومة عنيفة من جميع طبقات الشعب حتى تمكنوا فى النهاية من طرد « بعنخى » وتشتيت جيشه وأصبح « تاف نخت » عنوانا للبطولة، فولاه الشعب ملكا على البلاد فى الشمال والجنوب وتوطد نفوذه واستتب الأمن .

الملك باك ان رنف (٦٥٦ — ٦٥٠ ق . م .) :

بعد موت « تاف نخت » تلاه على العرش ابنه « باك أن رنف » الذى حكم ست سنوات قام فيها بعدة اصلاحات فى الدلتا ، وكان مشرعا عظيما أجاد سن القوانين والتعمق فى أحكامها .

وخلفه على العرش الملك « شاباكا » ثم « الملك شبكتو » وآل الملك أخيراً إلى «طهرقا » واستمر الأمن بحالة مرضية .

الغزو الأشورى:

عندما تولى الملك « طهرقا » العرش اعتنى بالإصلاح الداخلى، وأقام فى صان

الحجر لكى يكون قريباً من الحدود لدرء الخطر الأشورى الذى كان متوقعاً وأخذ يدبر المؤامرات ضد الاشوريين لإحداث ثورات فى فلسطين وفينقيا لعلها تؤدى إلى انسحابهم من فلسطين، وقد سبب لهم ذلك متاعب جمة دفعتهم إلى مهاجمة مصر بجيش كبير، وتمكنوا من الاستيلاء عليها رغم دفاع القوات الوطنية المجيد وعمل « نكاو » أحد الأمراء المصريين على التقرب من ملك الأشوريين حتى وثق به فأعاده إلى إمارة «صان الحجر» كما منح ابنه « بسماتيك» إمارة «اتريب».

الأسرة السادسة والعشرون

(٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م .)

الملك بسماتيك يوطد الأمن (٦٦٣ — ٦٠٩ ق . م .)

ظلت مصر تناضل ضد الحكم الأشورى بعزم قوى لا يلين وعقد « بسماتيك » العزم على طرد الأشوريين بمساعدة إغريق مدربين أمده بهم صديقه « جيجى » « ملك ليديا » بكامل أسلحتهم ومعدات القتال ، وبهذا أمكنه التغلب عليهم فاندحروا وولوا هاربين ، وتعقبهم فى فرارهم حتى فلسطين واجتث شرورهم كما فعل « احمس » الأول فى حربه ضد « الهكسوس » عام (١٥٧٠ ق . م .) .

ثم قام الملك « بسماتيك » بعدة اصلاحات كان لها أحسن الأثر فى ازدهار البلاد ورخائها واستقرار الحكم والأمن فيها. وقد أخضع حكام الأقاليم لنفوذه القوى وانشأ جيشاً واسطولا من الجنود المصريين والجنود الأجانب المرتزقة — وتمتعت مصر فى حكمه السعيد — بتحريرها من الغاصب ، واستقلالها واستقرار الحكم والأمن فيها .

الملك نخاو الثانى : (٦٠٩ — ٥٩٤ ق . م .) :

قام بحملات خارج الحدود لم يوفق فيها، فانصرف إلى الشئون الداخلية وفى مقدمتها إيفاد بعثة اكتشفت ساحل افريقية ، وإحياء مشروع إنشاء قناة توصل

البحر المتوسط بالبحر الأحمر، وكانت هذه القناة قد انشئت فى عهد الدولة الحديثة ولكن كان الأهمال يخيم عليها من حين لآخر، وهو نفس مشروع قناة السويس الحالى. وظل الأمن مستتبا .

خلفاء نخاو الثانى :

خلفه فى الحكم ابنه « بسمتك الثانى » لمدة سبع سنوات تقريباً ، لم يقم خلالها بجهود مثمرة لبلاده ، بل ازدهرت كثيراً التجارة اليونانية ، كما زاد عدد الجنود الاغريق فى البلاد، فكان للجالية اليونانية الحظ الأوفر فى عهده .

واح-اب-رع (ابريس) (٥٨٨ — ٥٦٨ ق . م .) .

عرف المؤرخون هذا الملك باسم « ابريس » وفى عهده استولت جيوش بابل على أورشليم التى كانت موالية لمصر، وأسرت العديد من اليهود ، وفر الكثيرون منهم إلى مصر، فاكرم ابريس مثواهم، وحظوا بتسهيلات جمة فى معيشتهم، وأصبحت لهم جالية فى مختلف الجهات .

وكان ابريس يميل إلى اليونانيين ، فسئم المصريون هذا الإيثار للاجانب وأخذوا يتحينون الفرص لوضع حد لذلك ، وفى عهده كانت الحالة مضطربة والأمن غير مستقر .

ولقد استنجدت ليبيا بمصر لمعاونتها فى التخلص من متاعب الجالية اليونانية فأرسل ابريس إليها جيشاً من الجنود المصريين — وبسبب خيانة اليونانيين وقع الجيش المصرى فى كمين وكاد يونانيو ليبيا أن يفنوه ، فثار المصريون كما أعلن الناجون من الجيش المصرى عصيانهم ، فأوفد إليهم ابريس قائداً مصرياً للعمل على تهدئة الحالة وكان هذا القائد رجلا عظيما ووطنيا صادق الوطنية واسمه أمازيس فانتهز هذه الفرصه وقبل مبايعة الشعب والجنود الناجين له بالملك، بينما كانت مصر ناقمة على الملك ابريس ولم يقف بجانبه سوى اليونانيين الذين لم يتمكنوا من مقاومة شعور الشعب الثائر، وكانت النتيجة فتور عزيمة اليونانيين وأسر ابريس ولكن (أمازيس) أحسن معاملته وظل يحكم مصر معه ثلاث سنوات إلى أن

ظهرت خيانته حيث استعان ببعض اليونانيين فوقعت الحرب بين الملكين ، مما أدى إلى انفجار الشعب ضد اليونانيين ، ثم مات إيريس فأكرم أحمس رفاته وأودعه مثواه بعناية تامه .

اما زيس (وتشريع من اين لك هذا ؟) « ٥٦٨ — ٥٢٥ ق . م » :

بذل هذا الملك الوطنى العظيم جهودا موفقه بفطنة وسعة أفق كللت بنجاح كبير ، فقضت مصر فى أيامه عهدا مزدهراً فى كل النواحى وأثرت من التجارة ثراءعظيما فشملها الرخاء والأمن بعدالركود الذى سببته ثورة الشعب ضداليونانيين وممالاة الملك السابق لهم والفتن التى حدثت ،ولما كانت قوة أثينا قد تعاظمت فى البحر الأبيض فقدأملت عليه لباقته الابتعاد عن ذلك الحرج ،فعمل فى نفس الوقت على إرضاء الشعور الوطنى الجريح ، بأن الغى الحاميات اليونانية التى كانت على الحدود وأحل محلها حاميات مصرية واحتفظ باليونانيين لأعمال أخرى فى منف . كذلك قام بجمع التجار اليونانيين فى مدينه « نوكراتيس » وسمح لهم بإحالتها إلى مدينة شبه يونانية ، فأقاموا فيها معابدهم وأسواقهم ، فازدهرت وأصبحت مركزاً هاماً لتبادل الاتجار بين مصر وأثينا ، فأرضى بذلك شعور التجار المصريين الذين ضايقهم ثراء اليونانيين فى منافستهم لهم ، وتمكنت المودة والصفاء بين الطرفين وهدأت الأحوال واستقر الأمن .

إلى جانب تنفيذ هذا العمل السياسى الكبير بحذق وكياسة ، اتخذ الحيطة التامة فى تدبير خطط ووسائل تحصين الحدود ، فأنشأ الحاميات العديدة على الشواطىء ،وشجع على الهجرة إلى سيوه والواحات البحرية والخارجية ، لكى يجعل منها حصونا أمامية إذا ماتعرضت للمهاجمة من يوناني ليبيا — ثم قام باحتلال قبرص لكى يكون متأهبا للدفاع ضد أى هجوم قد يطرأ أيضاً من الجيوش البابلية ولكن هذا الخطر ظل متجمداً باقى مدة حكمه ، وشاءت المقادير أن يطول حكمه ثلاثة وأربعين عاماً ، رفع فيها مكانة مصر عالية فى رخاء وأمن تامين ، يخطب العالم ودها وانتهت حياته كريماً عظيما ، إذ تعرضت مصر لكارثة الغزو الفارسى فى أول عهد خليفته « بسمتك الثالث » .

وقد عمل « بسماتيك » و « نخاو » و« امازيس » (أحمس الثانى) جاهدين على إحياء القديم ، وإعادة مصر إلى نهضتها وحضارتها .

وتعتبر الأسرة السادسة والعشرون بعصر بعثاً قديماً ، ولكن هذه النهضة لم تستمر طويلا — إذ أغار قمبيز على مصر عام (٥٢٥ ق.م) واستولى عليها رغم المقاومه الباسلة من الجيش المصرى ووقعت عدة اضطرابات شديدة أدت إلى اختلال الأمن لدرجة قصوى .

وقد أشار أبو التاريخ «هيرودوت» إلى أنه فى عهد الملك أمازيس صدر قانون يلزم كل مصرى بأن يقدم كل سنة إقراراً بما يملك ، ومصادر رزقه ، ووسائل تعيشه ، وإذا لم يقدم هذا الإقرار ، أو قدم بيانات مزورة ، أو لم يثبت شرعية مصادر ثروته، يكون عرضة لتوقيع عقوبة الاعدام عليه .

وجدير بالذكر فى هذا المجال أن التشريع المذكور هوماتطبقه القوانين الحديثة على الأفراد(٤) .

(١) هيرودوت: الطبعة الفرنسية الفقرة ١٧٧ من الكتاب الثانى ، باريس سنة ١٩٤٨

مـــدوجزر

الفترة بين قمبيز والاسكندر الأكبر

(٥٢٥ — ٣٣٢ ق . م)

الأسرات السابعة والعشرون حتى الثلاثين

الأسرة السابعة والعشرون (٥٢٥ — ٤١٥ ق . م)

قمبيز فى مصر :

إن المصادر المصرية عن الفتح الفارسى قليـــــلة ، ولـكن يوجد بمتحف « الفاتيكان » تمثال لأمير الأسطول المصرى « وچارست » الذى عاصر وقت الفتح ، وجاء فى النقوش التى على هذا التمثال أن الأجانب الغاصبين قد أساؤوا معاملة مصر وآلهتها خصوصا فى مدينة «صا الحجر» مما أثار شعور المواطنين، فقاموا بثورة قوية، وانتشرت الفوضى واختل الأمن وتمكن الأمير المذكور من إقناع « قمبيز » بتحسين معاملة المصريين،فأمر « قمبيز » بطرد المعتدين إلى خارج البلاد ، كما أمر بإصلاح المعابد ومنع الجنود من الاقتراب منها ، مما يشير إلى أن هؤلاء الجنود كانوا قد عسكروا فى هذه المعابد بعد نهب محتوياتها .

وذكر « هيرودت » المؤرخ اليونانى أن جنـود « قمبيز » عاثوا فى مصر فساد وأساؤوا معاملة الآلهة والـكهنة .

ولم يكتفى « قمبيز » باحتلاله لمصر ، بل وجه جيشاً إلى « ليبيا » فهلك هذا الجيش عن آخره جوعاً وعطشاً فى الصحراء الغربية .

وكان هو قد قام فى نفس الوقت على رأس جيش آخر لفتح « اثيوبيا » طمعاً فى ثروتها وذهبها ، وعند وصوله إلى « مروى » التقى بجيوشها التى انزلت به هزيمة نـكراء ردته بفلول جيشه خائر القوى .

وقد ذكر « هيرودت » أن قمبيز » أصيب بالجنون عندما أصابه هذا الفشل الذريع ، فدفعه ذلك إلى ارتكاب فظائع عديدة .

والمعروف أنه بعد ما أصابته الهزيمة فى الحملتين ترك مصر إلى بلاده، ولكنه مات فى سوريا أثناء الطريق .

وكان العالم القديم يؤمن بنبوءات الوحى التى ترد من المعابد . وكان حكام وقواد اليونان يحجون إلى أمون ويسألون الكهنة عن المستقبل ، ومن بين هذه النبوءات تلك التى خرجت من معبد أمون فى سيوه عن قمبيز ، إذ فى طياتها أعلن أن غزو الفرس سيفشل ، وأن قمبيز سيهزم ويلاقى سوء المصير .

وكانت هذه النبوءة إيحاء شدّد العزائم ودعا إلى اتحاد الإغريق ومصر لمحاربة الفرس ، واعتزم قمبيز إثبات عدم أهمية كهنة طيبة ، فبعث بجيشه إليهم لقتلهم وهدم المعبد .

ذكر « هيرودت » أنه عندما زار مصر بعد خمسة وسبعين عاماً من طرد الفرس له علم من كهنة أمون أنه بينما كان قمبيز على رأس جيشه فى الطريق ــ بعد الواحات الخارجية فى اليوم الرابع لزحفه ــ أمطرهم أمون بانتقامه فداهمتهم زوبعة رملية عاصفة طمرت الجيش تحت الرمال، وأن هذا الجيش ما زال مطموراً تحت رمال الصحراء الغربية حتى الآن .

دارا بن قمبيز (٥٢٢ — ٤٨٥ ق . م) :

عمل على تخفيف وطأة الجور والظلم الذى كان عليه أبوه « قمبيز » وألغى بعض القوانين وبخاصة التى كانت تقضى بمصادرة إيرادات أكثر معابد مصر واسترشد بالقوانين المصرية الموضوعة حتى حكم « أحمس الثانى » واستعان فى إصلاحاته « بداريوس » الذى حضر لمصر عام ٥١٨ ق . م وكان رائده مراعاة شعور الناس ، وتقديم القرابين للالهة ، وتسمى كثيرون من الفرس بأسماء مصرية واعتنقوا ديانتها ، فكانت نتيجة هذه الإصلاحات والإجراءات الإنسانية هدوء الأحوال وتحسين حالة الأمن .

وقد واصل دارا السياسة الإنسانية ، فأصلح سد النهر عند منف ، وعمل على

ضمان ميادين اقتصادية وتجارية للفرس ليخرجها شيئاً فشيئاً من أيدى اليونانيين، وأمر بمتابعة العمل القليل الذى كان باقياً فى القناة التى كان قد بدأها « نخاو الثانى » قبلا ، فتم توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر ، وبذلك أمكن للسفن اختراق هذا الطريق القصير بين البحرين .

وكان لهذا الطريق أثر حسن فى رواج التجارة حينذاك، ولكن لم يستسلم الشعب للغاصب ولم تغريه بعض الاصلاحات ، فإن الشعلة الوطنية ظلت تتأجج نيرانها فيه ، ثم قامت الدلتا بثورة عارمة ضد الفرس سببت لهم خسائر فادحة فاستقبلها اليونانيون بالسرور العظيم .

وهدد داريوس بسحق المصريين والإغريق ، ولكنه فى العام التالى مات دون أن يتمكن من ذلك .

واستمر جهاد المصريين ضد الفرس يقوى ويشتد مع خلفاء « دارا » .

وكان اليهود يمعنون فى الخيانة والغدر كعادتهم ، فيعاونون الغاصبين ضد المصريين فى نضالهم الشريف ، فانتقم الشعب منهم أثناء ثورته العارمة فى « إلفنتين » حيث كانوا يقيمون فهدموا معبدهم وشتتوا بعض أفراد جاليتهم .

ولقد عثر فى خرائب « إلفنتين » على صور مراسلات من زعمائهم موجهة للحاكم الفارسى يشكون ما أصابهم، وعرضوا عليه أموالا وألف أردب شعير مقابل السماح لهم بإعادة بناء هذا المعبد فى مكانه .

خلفاء دارا واستمرار الجهاد ضد الفرس :

زادت وطأة الثورة المصريه شدة عام ٤٦٠ ق . م ، وكان على رأسها أميران مصريان أمكنهما الحصول على عون قوى من أثينا ، وقد كانت هذه المساعدة ذات أثر فعال فى انتصار المصريين ضد جيوش الفرس الكبيرة التى ظلت محاصرة ثمانية عشر شهراً ، ولكن النجدات وصلتها فمكنتها من فك الحصار ، وتعذر على المصريين وحليفتهم استمرار القتال فعاد الأسطول اليونانى إلى بلاده ، ولكن ظلت الثورة الكبرى مستمرة فى مصر ضد الفرس بقيادة أحد الأميرين المذكورين

« أمون — حر » الذى ظل ينازل الفرس ويزيد الشعور الوطنى حماسةوتأججا ، خصوصاً وأن تاريخ الفرس بمصر اقترن بالظلم والعسف واختلال الأمن ، وعندئذ اقتربت الامبراطورية الفارسية من النهاية ، وفى نفس الوقت أخذت فى مصالحة المصريين ووضع حد للأثر السيىء الذى أحدثته قسوتهم فى معاملتهم .

الأسرة الثامنة والعشرون

(٤٠٤ — ٣٩٨ ق . م)

استقلال مصر :

لقد واصل الشعب المصرى الكفاح والنضال بعزم قوى ضد الغاصب وسط القلاقل والاضطرابات الشديدة فى عام ٤١٠ ق .م ولقد أصبحت الثورة الكبرى فيه عامة ، وتشكل حربا مستمرة إلى أن تمكنت مصر من التخلص من الحكم الفارسى الجائر،وأنتزعت حريتها وحصلت على الاستقلال عام ٤٠٤ ق . م .

الملك أمون حر :

وإزاء الخدمة الوطنية العظيمة للأمير « أمون حر » التى أدت إلى تحرير البلاد واستقلالها — قدر له المصريون ذلك واختاروه ملكا مؤسسا للأسرة الثامنةوالعشرين (٤٠٤ — ٣٠٨ ق . م) .

وبالنسبة لليهود فإنه أحسن إليهم وتركهم يعيشون بين المصريين بسلام .

الأسرة التاسعة والعشرون

(٣٩٨ — ٣٧٨ ق . م)

الملك نايف عاود ـ رود (نفرتيس) :

خلف الملك « أمون حر » زميله فى حرب التحرير الملك نايف — عاود — رود (٣٩٨ — ٣٩٢ ق . م) المعروف لدى اليونانيين بأسم « نفرتيس » وقد حكم نحو ستة أعوام بذل فيها جهدا موفقاً فى الاصلاح الداخلى واستتباب الأمن .

الملك هكر :

وتلا الملك هكر « أخوريس » (٣٩٢ — ٣٨٠ ق . م) فناضل إلى جانب اليونان ، وعاونها بالمال والعتاد — يتضح ذلك من النقوش العديدة التى عثر عليها بجهات كثيرة فى مدينة هابو ومحاجر طرة والكاب، ويذكر المؤرخون أنه لاقى فى آخر أيامه متاعب جمة ، وقد يكون مات مقتولا أو أسيراً .

الملك نفرتيس الثانى :

لم يتجاوز حكمه الأربعة أشهر .

الأسرة الثلاثون

(٣٧٨ — ٣٤١ق .م)

الملك نخت — نيف الأول :

كان أحد حكام الأقاليم وتمكن من الاستيلاء على الحكم وجلس على عرش مصر ، وأسس الأسرة الثلاثين (٣٧٨ — ٣٥٩ ق . م) وكانت أحوال البلاد إذ ذاك غير مستقرة والأمن مزعزعا .

وكان الإغريق قد خيبوا آمال المصريين لتلونهم أثناء نزاع مصر مع الفرس وتناسوا وقوف ملوك مصر إلى جانبهم طوال نضالهم مع الفرس ، فأخذالمصريون يضيقون ذرعا بهم وازداد حقدهم عليهم عندما هجم الفرس مرة أخرى على مصر بجيش كبير تبين أنه يضم فرقة من الإغريق قوامها ٢٠ ألف جندى ، ولكن الله جلت قدرته سلط على المغيرين مياه فيضان النيل عند بدء توغلهم فى الدلتا وعرقل جهودهم، وتمكن المصريون من صدهم وهزيمتهم هزيمه ساحقة ، فتقهقروا ثم فروا مولين الأدبار إلى آسيا .

الملك جدحر (نختنبو الثانى) .

ثم ساد الهدوء فى أنحاء البلاد وتحسنت حالة الأمن كثيراً ،عنى الملك « نختنبو الأول » أثناء الهدوء الذى شمل البلاد بعد أندحار الفرس بتنفيذ عدة مشاريع

أصلاحية وخلف آثاراً عديدة فى الوجهين البحرى والقبلى .وفى أواخر أيام حكمه أشرك معه فى الحكم أبنه « چدجر » ثم انفرد جدجر بالحكم بعد وفاة والده عام ٣٩١ ق . م ، ومن الغريب أنه ماأن جلس على العرش حتى اتصل بالإغريق وحالفهم وعمل على تأليف جيش منهم ضمه إلى الجيش المصرى وفرض ضرائب فادحة على الأهالى ثم ألغى امتيازات الكهنة واستولى على مافى المعابد من نفائس لمجابهة التكاليف الطائلة للجنود ،ثم عين أخاه وصياً على العرش،وقام على رأس هذا الجيش الكبير يرافقه أبنه « نختنبو » . وليس من شك أن الملك چدجر كان موضع سخط الكهنه — اسلبه كنوز المعابد وإلغاء امتيازاتهم ، وموضع سخط المواطنين جميعاً لفرضه الضرائب الفادحة عليهم ، ولتحالفه مع الإغريق بعد أن ثبت لهم أنهم ليسوا موضعا للثقة .

وليس من شك أيضاً أن هذا الملك كان موضع سخط أخيه الذى تركه وصيا على العرش وابنه « نختبنو » المرافق له فى الحملة العسكرية .

فما أن تخطى الملك « چدجر » حدود البلاد بجيشه حتى تركهابنه « نختنبو » وعاد سراً إلى مصر تلبية لطلب عمه الوصى على العرش ليخلف أباه فى حكم البلاد .

ولما علم «چدحر » بذلك،وشعر بخيانة ابنه وخيانة أخيه ،تماسكهاليأس والتجأ إلى ملك فارس ، وعاد الجنود الإغريق إلى بلادهم .

وبمجرد وصول « نختنبو » إلى مصرفوجىء بمؤامرة دبرها أحدسلالة الأسرة التاسعة والعشرين منتهزا فرصة الشقاق فى الأسرة المالكة ، ولكنه تمكن من القضاء على هذه الفتنة ، وجلس على العرش باسم «نختنبو» الثانى ، واتبع سياسة حكيمة طوال مدة حكمهالتى بلغت نحو ست عشرة سنة كانت فترة زاهرة ، فشمل البلاد الهدوء والرخاء والأمن والطمأنينة .

ولقد حاول الفرس استرداد مصر فى عام ٣٥١ ق . م بالهجوم على الدلتا فباءوا بالفشل،وكرروا هذهالمحاولة بعدبضع سنوات برا وبحرا بجيش جرار وأسطول

كبير ، ولم تقو قوات الدفاع المصرية على صدهم ، فاستولوا على منف ، وفى هذا الوضع لم يبق أمام الملك المصرى « نختنبو » إلا السفر إلى الصعيد حيث حكم عامين آخرين .

الفرس فى مصر للمرة الثانية (٣٤١ — ٣٣٢ ق . م .) :

وفى عام ٣٤١ ق . م هجم على مصر جيش فارسى آخر ، تمكن من إتمام فتح مصر وحكم البلاد حكماً غاشماً .

طرد الفرس :

ثار الشعب المصرى الأبى ضدهم بقيادة « خباشا » أحد أمراء الدلتا الذى أعلن نفسه ملكا على مصر ، فأيده الشعب واعترف به كهنة منف ، وقد عثر فى السرابيوم على تابوت مدرج مؤرخا فى العام الثانى من حكمه ، كما عثر على تمثال معروف باسم تمثال الستراب من بداية عهد البطالمة ، ذكر به : « إن المصريين كانوا دائمى الثورة طيلة الأعوام الثمانية التى قضاها الفرس فى احتلالهم الثانى لمصر » .

الاسكندر الأكبر والفتح المقدونى (٣٣٢ ق . م .) :

فى ذلك الوقت أخذ يظهر نجم الاسكندر فى حملاته الخطيرة الناجحة فى آسيا وكان « تاف نخت » معه فى معركة « أسوس » التى تمت فيها هزيمة دارا الثالث ملك الفرس ، فاستنجد به لانقاذ مصر من الكوارث الواقعة عليها من الحكم الفارسى ، فبمجرد انتهاء معركة « أسوس » زحف الاسكندر على مصر ، ودخلها بسهولة لأن المصريين رحبوا به على اعتبار أنه جاء لإنقاذهم مما يعانوه من أعدائهم الفرس .

وكان الاسكندر على جانب كبير من حسن التقدير للموقف ، وكان يشعر بكراهية المصريين للفرس لسوء المعاملة ، فأحسن هو سياسته معهم واحترم تقاليدهم ودياناتهم وقدم للآلهة المصرية القرابين ، واتخذ كافة الاجراءات المتبعة نحو تتويجه ملكا على مصر بما يطابق التقاليد المصرية ، وواصل باقى تصرفاته

السليمة فى كافة الشئون ، مما جعل المصريين يزدادون محبة له باستمرار ، وبعد فترة قصيرة أنشأ ميناء جديداً على ساحل البحر المتوسط سمى باسمه فى مكان المدينة الصغيرة « رافودة » وكانت وما زالت الاسكندرية ثغرا عظيما من المدن الهامة على شاطىء البحر المتوسط ، ثم توجه الاسكندر إلى معهد أمون فى سيوه ، فرحب به كبير كهنته كابن «أمون» وتركت هذه الزيارة التاريخية عظيم الأثر فى نفسه حتى مماته .

ولم يمكث الاسكندر الأكبر فى مصر إلا مدة قصيرة، حاول خلالها أن يواصل تودده إلى المصريين بشتى السبل على الوجه الذى أوضحناه ، وبعد ذلك العهد دخلت مصر فى دور جديد من أدوار تاريخها ، خصوصاً بعد تأسيس البطالمة ، ثم انتقلت مصر من العهد الفارسى إلى الاسكندر المقدونى ، ولكنها لم تطأطىء هامتها أبدا ، ولم تفقد حيويتها بل قاومت الغاصبين ، وناضلت باستمرار بإباء وشمم فى سبيل تحرير البلاد نضالا عنيفاً ضد أعدائها ، وكثيراً ما كان الشعب يثور بقيادة أمرائه وملوكه ، كما فعل الملك « سقنن رع » آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة عام ١٥٧٠ ق . م حيث قاد الشعب ضد حكم « الهكسوس » الغاشم وقتل فى هذه الموقعة ، وقام ابنه « أحمس » الأول بطردهم وتعقبهم بجيشه المظفر إلى عقر دارهم بآسيا ، وبالمثل الملك «بسماتيك» الذى لم يكتف بالانتصار بجيشه الباسل على الأشوريين ، بل استمر فى تعقبهم حتى فروا إلى فلسطين .

وهكذا أثبت الشعب المصرى دائماً أنه دائب الصمود والنضال ومقاومة الغاصب على مر الزمن بأية تضحية مهما كبرت، اعتزازا بوطنيته وتاريخه المجيد[١] .

مراجع هذا الموضوع:

(١) **مصر الفرعونية** . للدكتور أحمد فخرى ، **ومصر والشرق الأدنى القديم** للدكتور نجيب ميخائيل ، **وفى موكب الشمس** : للدكتور أحمد بدوى ، **ومصر القديمة** للدكتور سليم حسن ، **ومصر والحياة المصرية فى العصور القديمة** ، لإرمان ، ورانكه : تعريب الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، والأستاذ محرم كمال ، **وتاريخ مصر القديم** لبرستيد تعريب الدكتور حسن كمال .

وإذا كنا قد لمسنا ببلادنا فى العصر الحديث التطور السريع ، والنهضة الكبرى ، التى شملت إدارة الشرطة وأجهزتها كسائر الهيآت الأخرى للدولة ، حتى أصبحت بحق تضارع مثيلاتها فى أرقى الدول ، فإننا سنرى فى هذا الكتاب أن بذور هذا النبوغ والتفوق كانت متوفرة بشعبنا فى العصور القديمة .

وقد أثبت الشعب المصرى فى شتى مراحل التاريخ ، أن مجتمعاته زاخرة بالحركة والتجديد ، تتجاوب مع سير التاريخ وسنة التطور ، محتفظة بشخصيتها المستقلة ، دون أن تذوب فى غيرها .

وبفضل إيماننا العميق بوطننا وعزيمتنا القوية ، أمكن تحقيق الكثير من أمانينا الوطنية ، وبهرنا العالم بمجد خالد وآثار رائعة ، لها أهميتها التاريخية وعظمتها الكبرى ، حينما كانت مناطق أخرى فى العالم لا تزال فى مرحلة التطور ، وكان الشعب المصرى رائد فى الفن والفكر والحكم والسياسة .

وقد كان فيها لمصر صفحات مجد وفخار ، وفيها دروس فى الوطنية والقومية.

ولقد أجمع المؤرخون من المصريين والأجانب على أن وادى النيل كان معهداً للحضارة البشرية الأولى ، ومنه انتشرت حتى عم أثرها فى النهاية الكثير من بلاد المشرق وبلاد المغرب على السواء .

وقد سجلت صفحات التاريخ لمصر مواقفها الخالدة فى الدفاع عن الوطن ضد الغزاة ، فما كان يغمض لها جفن حتى تطهر البلاد منهم ، مهما طال الزمن واشتد النضال .

وقد امتصت بلادنا الكثير من الحضارات والمفاهيم وصاغتها فى قوالب جديدة ، وأضفت عليها من روحها وأصالتها ، وطبعتها بطابعها الخاص .

ولئن كانت قد مرت علينا فى تاريخنا فترات من الضعف ، فإنها لم تستطع أن تطفىء الجذوة المتأصلة فى قلب الشعب ، وهى التى كفلت له أن يرتفع فوق الأحداث ، ويتكشف طريقه فى أحلك الساعات ، فاحتفظ لنفسه بأصالته وحيويته وقدرته على الحياة الكريمة .

ولما كان حاضرنا امتداداً لماضينا ، فلقد قاومنا الاستعمار ومظالمه بأشكاله المختلفة عبر التاريخ ، وأثبت الشعب قدرته على تخطى كل العقبات ، دون أن يهدأ أو يستكين ، بل ظل يقاوم بتضحيات كبيرة على مر الزمن ، وكان تاريخنا حافلا ببطولات بذلت فيها دماء ذكية ، وأورثت الأجيال نوزا يحتذى به.

تقـــويم

الأسرات المصرية فى التاريخ القديم

العصر الثينى

(٣٢٠٠ ق.م — ٢٧٨٠ ق . م)

الأسرة الأولى : ٣٢٠٠ ق . م — ٢٩٨٠ ق . م

الأسرة الثانية : ٢٩٨٠ ق . م — ٢٧٨٠ ق . م

الدولة القديمة

(٢٧٨٠ ق . م — ٢٢٨٠ ق . م)

الأسرة الثالثة : ٢٧٨٠ ق . م — ٢٦٨٠ ق . م

الأسرة الرابعة : ٢٦٨٠ ق . م — ٢٥٦٠ ق . م

الأسرة الخامسة : ٢٥٦٠ ق . م — ٢٤٢٠ ق . م

الأسرة السادسة : ٢٤٢٠ ق . م — ٢٢٨٠ ق . م

عصر الانتقال الأول

(٢٢٨٠ ق . م — ٢٠٥٢ ق . م)

الأسرة السابعة :
الأسرة الثامنه : ٢٢٨٠ ق . م — ٢٢٤٢ ق . م

الأسرة التاسعة : ٢٢٤٢ ق . م — ٢١٣٣ ق . م

الأسرة العاشرة : ٢١٣٣ ق . م — ٢٠٥٢ ق . م

الدولة الوسطى

(٢١٣٤ ق . م — ١٧٧٨ ق . م)

الأسرة الحادية عشرة : ٢١٣٤ ق . م — ١٩٩١ ق . م
الأسرة الثانية عشرة : ١٩٩١ ق . م — ١٧٧٨ ق . م

عصر الانتقال الثانى

(١٧٧٨ ق . م — ١٥٧٠ ق . م)

الأسرة الثالثة عشرة : ١٧٧٨ ق . م — ١٦٢٥ ق . م
الأسرة الرابعة عشره : ١٧٧٨ ق . م — ١٥٩٤ ق . م
« الخامسة « : ١٦٧٥ ق . م — ١٥٦٧ ق . م
« السادسة « : ١٦٧٠ ق . م — ١٥٦٧ ق . م
« السابعة « : ١٦٦٠ ق . م — ١٥٧٠ ق . م

الدولة الحديثة

(١٥٧٠ ق . م — ١٠٨٠ ق م)

الاسرة الثامنة عشرة : ١٥٧٠ ق . م — ١٣٠٤ ق . م
الاسرة التاسعة عسرة : ١٣٠٤ ق . م — ١١٩٥ ق . م
الاسرة العشرين : ١١٩٥ ق . م — ١٠٨٠ ق . م

العصر المتأخر

(١٠٨٠ ق . م — ٣٣٢ ق . م)

الأسرة الواحدة والعشرين : ١٠٨٠ ق . م — ٩٥٠ ق . م
« الثانية « : ٩٥٠ ق . م — ٧٣٠ ق . م
« الثالثة « : ٨١٧ ق . م — ٧٣٠ ق . م

الأسرة الرابعة والعشرين : ٧٣٠ ق . م — ٧١٥ ق . م
« الخامسة « : ٧١٥ ق . م — ٦٥٦ ق . م
« السادسة « : ٦٦٣ ق . م — ٥٢٥ ق . م
« السابعة « : ٥٢٥ ق . م — ٤٠٤ ق . م
« الثامنة « : ٤٠٤ ق . م — ٣٩٨ ق . م
« التاسعة « : ٣٩٨ ق . م — ٣٧٨ ق . م
« الثلاثون : ٣٧٨ ق . م — ٣٤١ ق . م
« الحادية والثلاثين : ٣٤١ ق . م — ٣٣٢ ق . م

أسماء الملوك

الذين ورد ذكرهم فى الكتاب لارتباط عصورهم

بالشرطة والأمن

عصر الأسرات المبكر

أو

العصر الثينى

(٣٢٠٠ — ٢٧٨٠ ق . م)

عصر الاسرة الاولى : (٣٢٠٠ — ٢٩٨٠ ق . م)

١ — الملك مينا
٢ — الملك عحا
٣ — الملك جر
٤ — الملك جت

٥ — الملك دن

٦ — الملك سمرخت

٧ — الملك قع .

عصر الأسرة الثانية : (٢٩٨٠ — ٢٧٨٠ ق . م)

٨ — الملك پر ـ اب ـ سن

٩ — الملك خع سخم

١٠ — الملك خع سخموى

الدولة القديمة

(٢٧٨٠ — ٢٢٨٠ ق . م)

عصر الأسرة الثالثة : (٢٧٨٠ — ٢٦٨٠ ق.م)

١١ — الملك زوسر

عصر الأسرة الرابعة : (٢٦٨٠ — ٢٥٦٠ ق . م)

١٢ — الملك سنفرو

١٣ — الملك خوفو

١٤ — الملك خفرع

١٥ — الملك منكاورع

عصر الأسرة الخامسة : (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق . م)

١٦ — الملك ساحورع

١٧ — الملك إسيسى

عصر الاسرة السادسة : (٢٤٢٠ — ٢٢٨٠ ق . م)

١٨ — الملك تتى
١٩ — الملك بى الأول
٢٠ — الملك بى الثانى

فترة الأنتقال الأولى

أو

الفترة الأولى

(٢٢٨٠ — ٢٠٥٢ ق . م)

عصر الاسرة السابعة : (٢٢٨٠ — ٢٢٤٢ ق . م .)

عصر الاسرة الثامنة : « « «

عصر الاسرة التاسعة : (٢٢٤٢ — ٢١٣٣ ق . م .)

٢١ — الملك (أختوى الأول)

عصر الاسرة العاشرة : (٢١٣٣ — ٢٠٥٢ ق . م .)

٢٢ — الملك أختوى الرابع (واج كارع)
٢٣ — الملك مريكارع
٢٤ — الملك أختوى الخامس

الدولة الوسطى

(٢١٣٤ — ١٧٧٨ ق . م .)

عصر الاسرة الحادية عشر : (٢١٣٤ — ١٩٩١ ق . م)

٢٥ — الملك إينيوتف الأول .
٢٦ — الملك إينيوتف الثانى

٢٧ — الملك إينيوتف الثالث

٢٨ — الملك منتوحتب الأول

٢٩ — الملك منتوحتب الثانى

٣٠ — الملك منتوحتب الثالث

عصر الاسر الثانية عشر : (١٩٩١ — ١٩٧٨ ق . م .)

٣١ — الملك أمنمحات الأول

٣٢ — الملك سنوسرت الأول

٣٣ — الملك أمنمحات الثانى

٣٤ — الملك سنوسرت الثانى

٣٥ — الملك سنوسرت الثالث

٣٦ — الملك أمنمحات الثالث

فترة الأنتقال الثانية

أو

عصر الفترة الثانية

(١٧٧٨ — ١٥٧٠ ق . م .)

عصر الاسرة الثالثه عشر : (١٧٧٨ — ١٦٢٥ ق . م)

٣٧ — الملك سخم — رع — خو — تاوى

٣٨ — الملك سمنخ — تأوى — سخم — كارع

٣٩ — الملك سواج — إن — رع

٤٠ — الملك نحسى

عصر الاسرة الرابعة عشرة : (١٧٧٨ — ١٥٩٤ ق . م)

٧٦ ملكا « فى عهد الهكسوس » .

عصر الأسرة الخامسة عشرة : (١٦٧٥ — ١٥٦٧ ق . م)

٤١ — ملكاً فى عهد « الهكسوس » .

عصر الاسرة السادسة عشرة : (١٦٧٠ — ١٥٦٧ ق . م)

٣٢ — ملكا فى عهد « الهكسوس » .

عصر الاسرة السابعة عشرة : (١٦٦٠ — ١٥٧٠ ق . م) .

٤٢ ملكا « فى عهد الهكسوس » .

٤٣ — الملك سقنن رع .

٤٤ — الملك كامس .

الدولة الحديثة

(ا) عصر بناة الامبراطورية

الاسرة الثامنة عشرة . (١٥٧٠ — ١٣٢٠ ق . م) .

٤٥ — الملك أحمس الأول

٤٦ — الملك امنحوتب الأول

٤٧ — الملك تحتمس الأول

٤٨ — الملك تحتمس الثانى

٤٩ — الملكة حتشبسوت

٥٠ — الملك تحتمس الثالث

٥١ — الملك امنحوتب الثانى

٥٢ — الملك تحتمس الرابع

(ب) عصر أخناتون (العمارنة)

وانهيار الإمبراطورية

أيام العمام : (١٣١٧ — ١٣٠٤ ق . م)

٥٣ — الملك أمنحوتب الثالث

٥٤ — الملك أمنحوتب الرابع « أخناتون »

٥٥ — الملك سمنخ كـارع

٥٦ — الملك توت عنخ أمون

٥٧ — الملك آى

عصر الاصلاح الداخلي

٥٨ — الملك حورمحب

عصر استعادة الإمبراطورية

وتوطيد الأمن

الاسرة التاسعة عشر (١٣٠٤ — ١١٩٥ ق . م) :

٥٩ — الملك رمسيس الأول

٦٠ — الملك سيتى الأول

٦١ — الملك رمسيس الثانى

٦٢ — الملك مرنبتاح

٦٣ — الملك آمون مس — أس

٦٤ — الملك سيتى الثانى

٦٥ — الملك رمسيس سى بتاح

٦٦ — ست نخت

عصر اضمحلال الإمبراطورية
فى نهاية
الأسرة العشرين
١١٩٥ — ١٠٨٠

٦٧ — الملك رمسيس الثالث

٦٨ — ٧٥ — من رمسيس الرابع إلى رمسيس الحادى عشر

العصر اللاحق
ضربات المستعمرين ، وحروب التحرير
الأسرات من ٢١ إلى ٣٠
(١٠٨٠ — ٣٤١ ق . م)

الأسرة الحادية والعشرون : (١٠٨٠ — ٩٥٠ ق . م)

٧٦ — الملك حريحور

الأسرة الثانية والعشرون (٩٥٠ — ٧٣٠ ق . م)

٧٧ — الملك شُشنق الأول

٧٨ — الملك أوسركون الثانى

٧٩ — الملك تـكلوت الثانى

الأسرة الثالثة والعشرون (٨١٧ — ٧٣٠ ق . م) :

٨٠ — الملك — يا — دى — باست

٨١ — الملك حور — سا — إيسى

٨٢ — الملك با — دى — إيسى

الأسرة الرابعة والعشرون :

٨٣ — الملك تف نخت

٨٤ — الملك — باك — أن رنف

الصحوة

الأسرة الخامسة والعشرون (٧١٥ — ٦٥٦ ق . م) :

٨٥— الملك بعنخى

٨٦— الملك تاف — نخت « مرة أخرى » .

٨٧ — الملك نمرود

٨٨ — الملك باك — أن رنف

٨٩ — الملك شاباكا

٩٠ — الملك شبتكو

٩١ — الملك طهرقا

٩٢ — الملك ثانويت أمانى

٩٣ — الملك نخاو

الأسرة السادسة والعشرون (٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م) :

٩٤ — الملك بسماتيك

٩٥ — الملك نخاو الثانى

٩٦ — الملك واح — ايب — رع (أبريس)

٩٧ — الملك أمازيس (أحمس الثانى)

مـــد وجزر

الفترة بين قمبيز والاسكندر الأكبر

(٥٢٥ — ٣٣٢ ق . م)

الأسرة السابعة والعشرون (٥٢٥ — ٤١٥ ق . م) :

٩٨ — قمبيز

٩٩ — دارا الأول بن قمبيز

خلفاء دارا ، وجهاد المصريين ضد الفرس

استقلال مصر

الأسرة الثامنة والعشرون (٤٠٤ — ٣٩٨ ق . م) :

١٠٠ — الملك أمون — حر

الأسرة التاسعة والعشرون (٣٩٨ — ٣٧٨ ق . م) .

١٠١ — الملك نايف — عاو — رود (نفرتيس)

١٠٢ — الملك هكر — (أخوريس)

الأسرة الثلاثين (٣٧٨ — ٣٤١ق . م) :

١٠٣ — الملك — نخت — نبف الأول

١٠٤ — الملك جدحر

١٠٥ — الملك نخت حاد — جى الثانى

الفرس فى مصر — للمرة الثانية

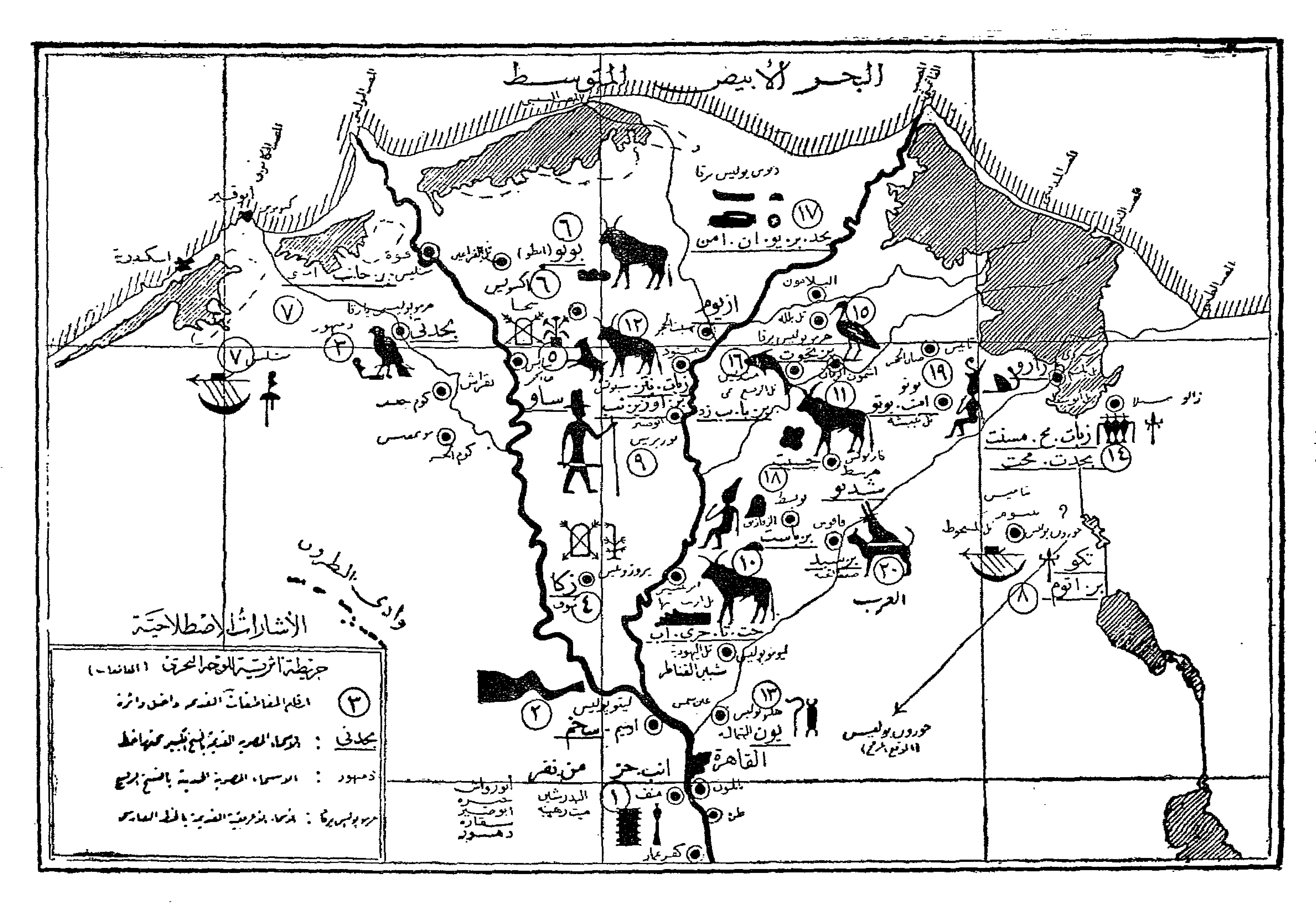
(٣٤١ — ٣٣٢ ق . م)

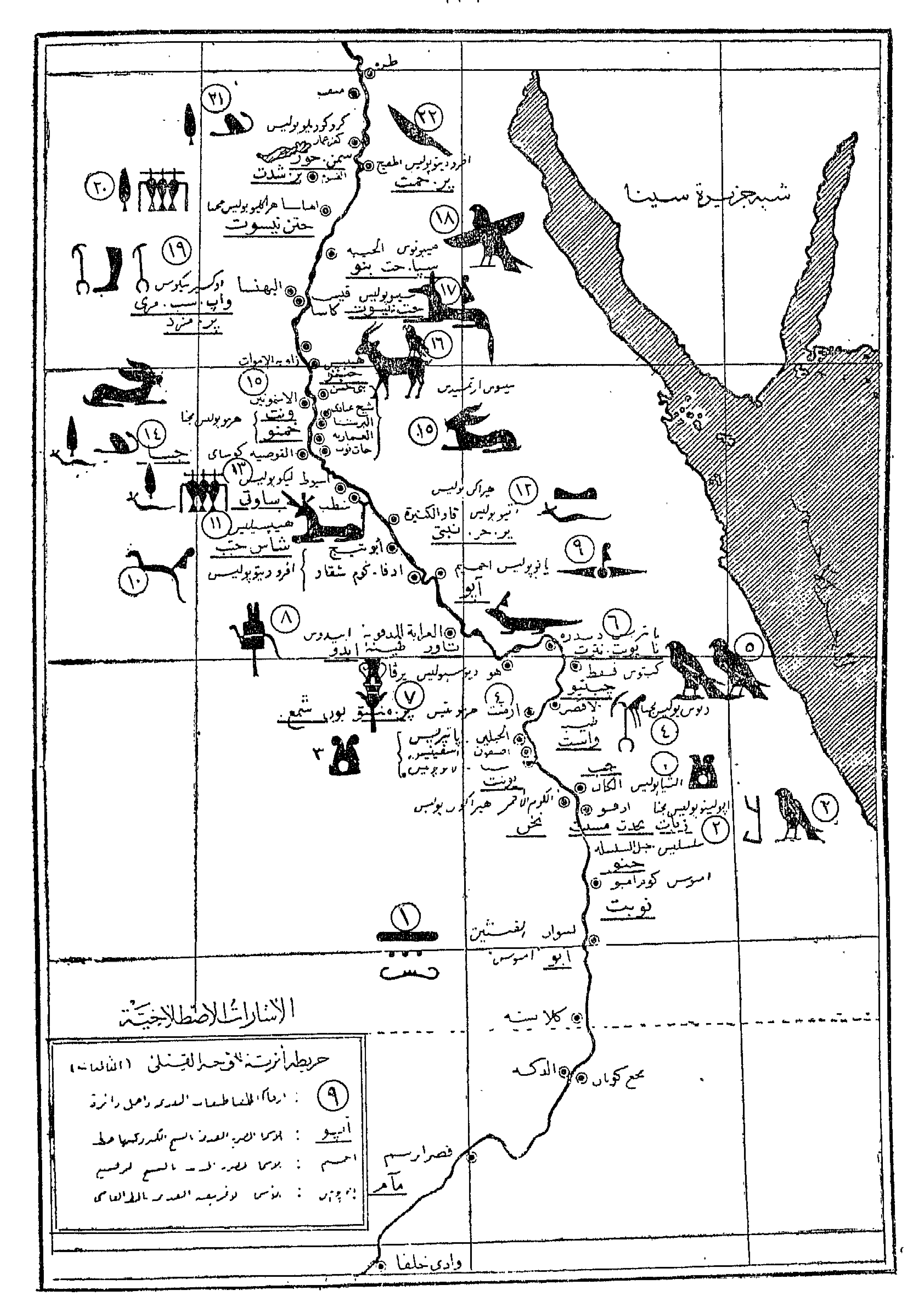
١٠٦ — الملك خباشا

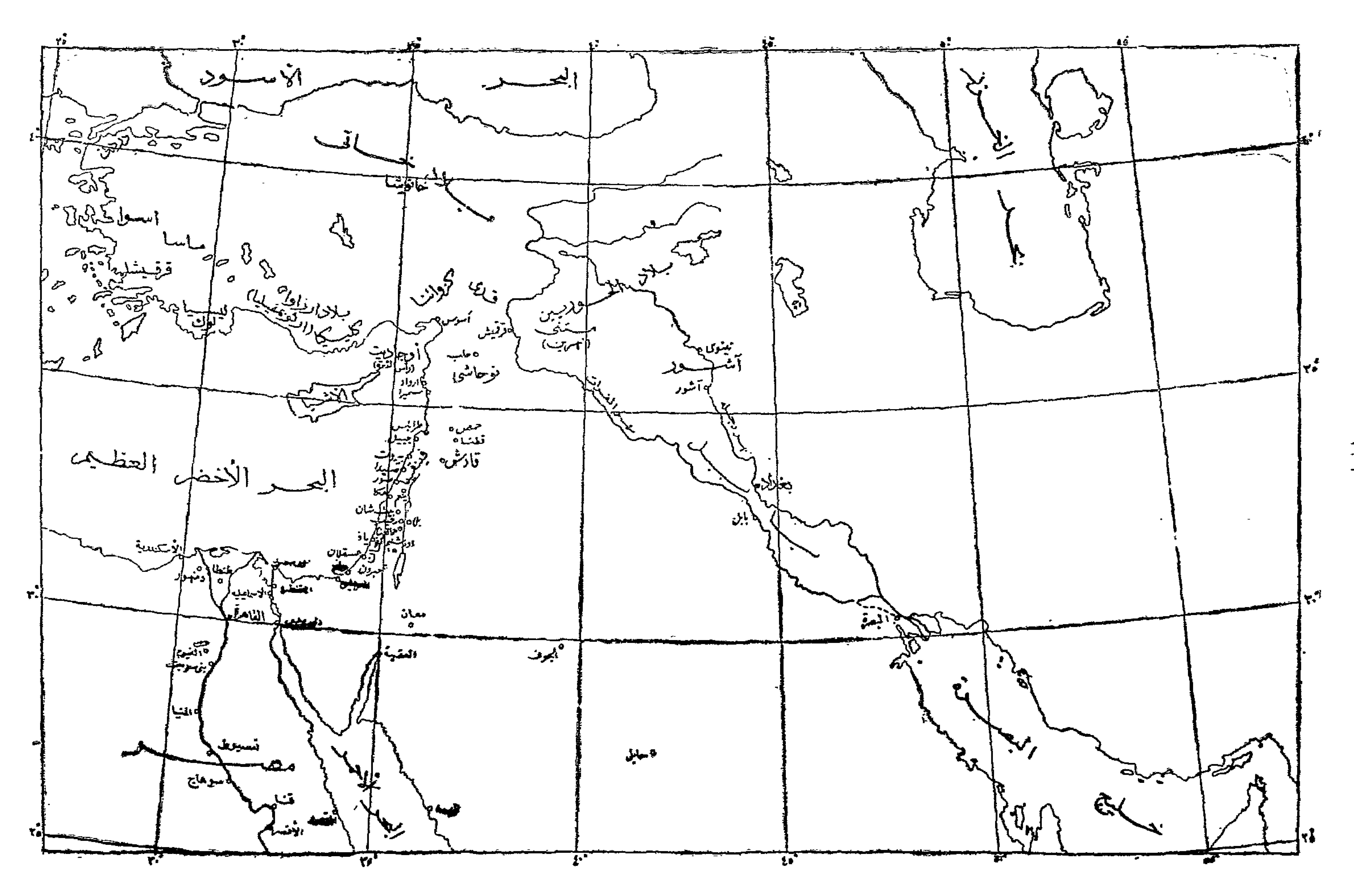
(طرد الفرس)

الفتح المقدوني

(٣٣٢ ق . م)


البحر الأبيض المتوسط
اسكندرية
ابوقير
وادي النطرون
الإشارات الاصطلاحية
جريطة أثرية للوجه البحري
القاهرة
العرب
منف
كفر عمار
البدرشين
ميت رهينة
أبو رواش
أبو صير
سقارة
دهشور


شبه جزيرة سينا
الاشارات الاصطلاحية
طره
منف
كروكوديلوبوليس
افروديتوبوليس
اطفيح
اهناسيا
حتن نيسوت
البهنسا
اوكسيرنكوس
واب سب مري
ميمونوس
سبا
حت بنو
سينوبوليس
قيس
كاسا
زاوية الاموات
الاشمونين
هرموبوليس
ونت
خمنو
حات نوب
هيراكونبوليس
القوصية
كوساي
اسيوط
ليكوبوليس
ساوتي
شطب
هيبسيليس
شاس حتب
قاو الكبيرة
انتيوبوليس
ابو تيج
افروديتوبوليس
ادفا
كوم شقاد
اخميم
بانوبوليس
ابو
العرابة المدفونة
ابيدوس
تاور
طينة
ابدو
دندرة
هو
ديوسبوليس
قفط
كبتوس
الاقصر
طيبة
واست
ديوسبوليس
ارمنت
هرمنتيس
الجبلين
باثيريس
اسفون
جب
الكاب
الكوم الاحمر
هيراكونبوليس
نخن
ادفو
ابولينوبوليس
جبل السلسلة
امبوس
كوم امبو
نوبت
اسوان
الفنتين
ابو
كلابشه
الدكه
قصر ابريم
وادي حلفا



البحر الأسود
البحر الأخضر العظيم
ماسا
حلب
نوحاشي
حمص
قطنا
قادش
آشور
نينوى
بغداد
بابل
البصرة
معان
الجوف
حايل
العقبة
الإسكندرية
القاهرة
المنيا
أسيوط
مصر
سوهاج
قنا

المـــراجع

(حسب الحروف الأبجدية)

العربية :

١ — د . أحمد بدوى : فى موكب الشمس جزء أول، وجزء ثان

٢ — د . أحمد فخرى : مصر الفرعونية

٣ — د . زكى عبد المتعال : التراث القانونى المصرى القديم

٤ — د . سليم حسن : مصر القديمة ، الأجزاء ١ — ٨

٥ — د . محمد أبو المحاسن عصفور : علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم

٦ — د . محمد أنور شكرى : حضارة مصر والشرق القديم

٧ — الأستاذ محمد صابر : مصر تحت ظلال الفراعنة

٨ — د . مصطفى عامر : تاريخ الحضارة المصرية فى العصر الفرعونى جزء أول

٩ — د . نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الأجزاء من ١ـ٤

الأجنبية المعربة :

١٠ — إرمان ورانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، تعريب د.عبد المنعم أبو بكر والأستاذ محرم كمال

١١ — برستد : انتصار الحضارة تعريب د . أحمد فخرى .

١٢ — برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور تعريب د . حسن كمال .

١٣ — برستد : فجر الضمير ، تعريب د . سليم حسن

١٤ — جون ولسون : الحضارة المصرية ، تعريب د . أحمد فخرى

١٥ — دريوتون ، وفانديه : مصر ، تعريب الأستاذ عباس بيومى

١٦ — ديودور الصقلى : مصر فى القرن الأول ق . م . ، تعريب الأستاذ وهيب كامل

١٧ — شارف (الكسندر) ، تاريخ مصر من فجر التاريخ ، تعريب د . عبد المنعم أبو بكر

١٨ — ول ديورانت : قصة الحضارة : تعريب الأستاذ محمد بدران ج١، ج٢.

الأجنبية :

1— Gardiner (Sir Alan) Egypt of the Pharaohs Vol I XXII,

2— James Gramer : *The World's Police*, Londnn 1964.

3— Jean Yoyette in a *Dictionary Civilization* London 1964.

4— Herodote · *Histoire*, Livre II Collection Universites da France Paris 1948.

5— Dr. Marcel Leclère, *Histoire de la Police* Paris 1947.

6— Wilson (J.A) *The Burden of Egypt* 2nd edition 1954.

كتب أخرى للمؤلف

● – **كتاب (الدليل لعمد ومشايخ البلاد والعاملين فى الأمن العام والضبطية القضائية) طبعة سادسة حديثة ، وكان أول ضابط عربى فى الشرطة ، وضع مؤلفا فى الأمن العام والضبطية القضائية :**

قررت وزارة الداخلية هذا الكتاب ، بأن أمرت باعادة طبعه ، وأخذت من طبعته الثانية « أربعة آلاف نسخة » وزعتها على رجال الأمن فى مختلف أنحاء الدولة ، وأصدرت عنه منشوراً دوريا (رقم ٥١ أمن عام فى ٢١ يوليو سنة ١٩٢٥) وجهته لمديرى الأقاليم تحثهم فيه على وجوب انتفاع رجال الحفظ بما جاء بهذا الكتاب والاستفادة منه على خير الوجوه فى دورات تدريبية.

كما أن وزارة التربية والتعليم عنيت به وقررته فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٥ كمرجع (لمادة التربية الوطنية) بمكتبات المعاهد العليا والمدارس الثانوية والفنية والإعدادية ، والمعلمين العامة ، كما تقرر بمكتبات « كليات ومعاهد الأزهر الشريف فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦ » .

● – **كتاب (ضابط الشرطة) عام ١٩٢٧ :**

كان ضابط الشرطة يرزح تحت نير نظم جائرة فرضت عليه من رواسب الاستعمار ، فضلا عن أنها كانت ضارة بصالح العمل ، فعدد فى هذا الكتاب المشاكل التى كانت تعترض قيام الضابط بالواجب الوطنى الذى يمليه روح العصر ومقتضياته ، وقد أوضح وسائل العلاج بجرأة نادرة .

ومما يستحق التنويه أن أكثر مقترحاته نالت العناية وأخذت طريقها فى التنفيذ ، وخاصة فى العهد الأخير الذى تقلد فيه الضباط المراكز الرئيسية بوزارة الداخلية « وزير الداخلية ، نائب الوزير ، وكلاء الوزارة ، مدير عام مصلحة الأمن العام ووكيليه ، وباقى المديرين العامين ووكلائهم بالوزارة وفروعها فى المحافظات .

● — رسالة (سلامة الدولة ، فى تعاون الشعب والبوليس على حفظ الأمن والنظام واحترام القانون) [حصل على جائزة عنها من الدولة عام ١٩٣٦] .

● **— رسالة فى (انظمة البوليس الالمانى الحديثة وما يمكن اقتباسه منها فى مصر) :**

قدمها لوزارة الداخلية فى أكتوبر سنة ١٩٣٦ أثر عودته من إحدى رحلاته العلمية فى الخارج ، وعنيت الوزارة بما جاء فيها ، وقد ساهمت فى النهوض بكلية الشرطة وبالأمن العام .

● **— كتاب « التربية النظامية والرياضية والاجتماعية » :**

قررت رئاسة القوات المرابطة تدريسه وطبعه على نفقتها بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٤٠ .

● **— رسالة فى (الاصلاح الاجتماعى — حماية الطفولة) :**

اعتبرتها لجنة التحكيم فوق مستوى المباراة ، وقررت طبعها ثم قامت بتوزيعها على الهيئات العلمية المختلفة وعلى جميع المكتبات العامة سنة ١٩٤١ .

● **— رسالة محمد (عليه الصلاة والسلام) والأمن العام :**

نشرت تباعا سنة ١٩٤٤ بمجلة المساجد التى تصدرها وزارة الأوقاف العمومية بالعدد الثالث وما بعده ، وكذلك بمجلة الشبان المسلمين ابتداء من العدد التاسع من نفس السنة .

● **— كتاب (التدريب العسكرى للشرطة) :**

كان أول ضابط عربى فى الشرطة وضع مؤلفا عربيا فى هذا الموضوع ، وقد قررت وزارة الداخلية تدريسه لطلبة كلية الشرطة واتباع تعاليمه بجميع قوات الأمن فى كافة المحافظات ، وأعيد طبعه بالمطبعة الأميرية على نفقة الوزارة فى ثوب جديد متطور يتفق مع روح العصر واحتياجات الشرطة لغاية سنة ١٩٥٤ .

● **— تمثيلية الشريد :**

مثلتها فرقة (التمثيل بالإذاعه اللاسلكية) و (كلية الشرطة) و (المسرح الشعبى التابع للشئون الاجتماعية ، وقد قام بتمثيلها تباعا فى المحافظات .

● كتاب « رعاية الشباب ، بالتربية القومية والرياضية والاجتماعية » طبعة رابعة — أصدرته الدار القومية للطباعة والنشر عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ واقتنته مكتبات (الكليات الجامعية ، والمعاهد العالية ، والمدارس بمختلف مستوياتها)، ومكتبات «مجالس المحافظات ومجالس المدن والقرى،والساحات الشعبية والرياضية والمراكز الاجتماعية ، وهيئات الشباب ، ودور الثقافة بالمحافظات .»

وكذلك ببعض الدول العربية الشقيقة ، حتى لقد حرصت المملكة الليبية على شراء ألف نسخة من هذا الكتاب عام ١٩٦٧ .

الفهرس

الموضوع الصفحة

الباب الثانى

(الشرطة)

(وظيفتها وأقسامها)

الباب الثالث

فى مصر القديمة

تصويب

رقم السطر	خطأ	صواب	رقم الصفحة
١٤	ولـكتى	ولـكنى	٥
١٧	وعصو	وعضو	١٥
١٥	وشجاتهم	وشجاعتهم	١٧
٣	أوئل	أوائل	٣٦
١١	بمقبره	بمقبرة	٤٧
٣ بالهامش	ى ٩	ص ٩٠	٥٣
١٤	الهيئة	الهيبة	٥٤
١٢	ق	فى	٥٥
٩	فى	فى	٥٧
٥	لإداريين	الإداريين	٦٠
٢	كماءة	كفاءة	٦١
السطر الأخير	وجطبعة ثانية ٩٦٦ ٤ ص ٩٤	و ج طبعة ثانية ٩٦٦ ص ٩٤	٦٣
١و٢	سيىء	سيء	٦٨
٢	الهم م	الهام	٧٣
نهاية الصفحة أسفل الصورة «امنحتبه بن جابو»		تمثال حكيم العصر «امنحتبه بن جابو»	
٤ (فوق الصورتين)	تطور الجنيد	تطور الجند	٧٩
	الشكل ٢٥	٢٤	١٢٦
	من مقبرة حيتى	من مقبرة خيتى	١٥١
	الأشكال من رقم (١٢ إلى ٢١)	تصحح (٢٥ إلى ٣٤)	١٧٤

المطبعة الفنية الحديثة
٥٠ شارع الأصبغ الزيتون ت ٨٦٤٨٧١

كمل طبع هذا الكتاب فى يوم الأربعاء ٣٠ ربيع الأول ١٣٨٨ — ٢٦ يونيو ١٩٦٨

تعريف بالمؤلف

- تولى التدريس بكلية الشرطة ثم قيادتها زهاء عشرين سنة كان آخرها فى عام ١٩٤٥ .

- تدرج فى المناصب الشرطية والإدارية إلى أن عين :
  مديراً لمديريات « قنا ، فسوهاج ، فالبحيرة ، فالمنوفية حتى عام ١٩٥٠ » .

- قامت مديرية البحيرة - وهو مديراً لها - بالاكتتاب بثمن سرب من الطائرات قدم هدية للجيش أثناء حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ - وقد خصص للتدريب بكلية الطيران « للطلبة المصريين وطلبة الدول العربية والإفريقية » .

- عهد إليه المعاونة فى تأسيس القوات المرابطة (١٩٣٩/١٩٤١) وأشرف على معسكراتها وتدريباتها ، وقد تخرج منها نحو ٥٠ ألف جندى من مختلف المحافظات .

- أشرف على المعسكر الجامعى عام ١٩٤٠ ، وقد تدرب فيـه خمسون من أساتذة الجامعات .

- اختير لعضوية لجنة الدستور عام ١٩٥٤/٥٣ .

- ألقى عدة أحاديث بالإذاعة بتكليف من وزارة الداخلية فى موضوعات : « النظام وأثره فى نهضة الأمم ، ووجوب تعاون الشعب والشرطة على حفظ الأمن والنظام واحترام القانون ، وآداب المرور ، ومفاداة أخطار الطريق ، وحديث عن وسائل محو الأمية بتكليف من وزارة الشئون الاجتماعية .

- فاز بجائزة من الدولة عام ١٩٣٦ فى مسابقة عن « تعاون الشعب والبوليس على حفظ الأمن والنظام واحترام القانون » .

- له عدة مؤلفات مبينة بنهاية الـكتاب ، كذلك عدة بحوث تتصل بالنظم العسكر والإدارية ، والأمن العام ، والضبطية القضائية ، كما تتناول التربية القومية والر والاجتماعية ، ووسائل رعاية الشباب ؟

الناشر

الثمن ٧٥ م

صمم الغلاف الفنان الكبير الأستاذ النابغة احمد عثم